# نُورُ ٱلْاقْتِبَاسْ

مِنْ

# مِشْكَاةِ وَصِيَّةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ لابْنِ عَبَّاس

دار اللباب

مكتبة شهيد علي باشا في اسطنبول (صل)

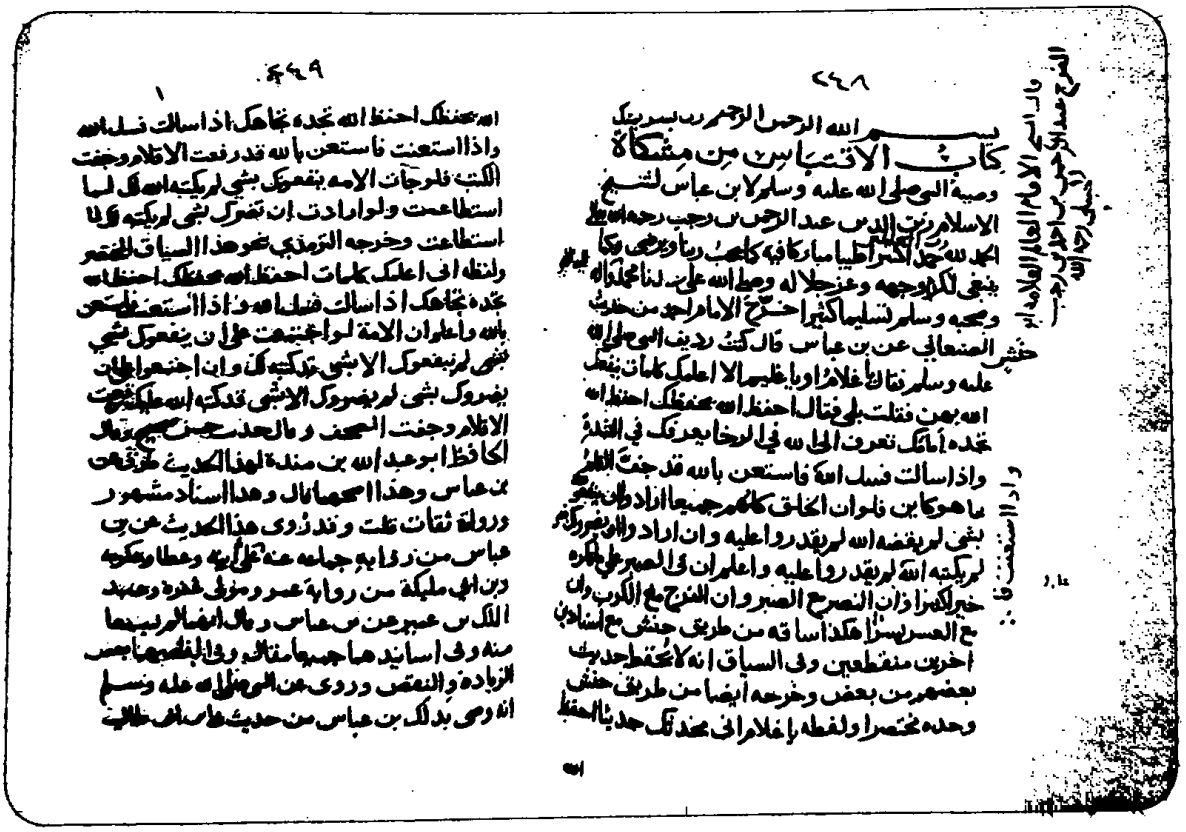

مكتبة شستربتي (ش)

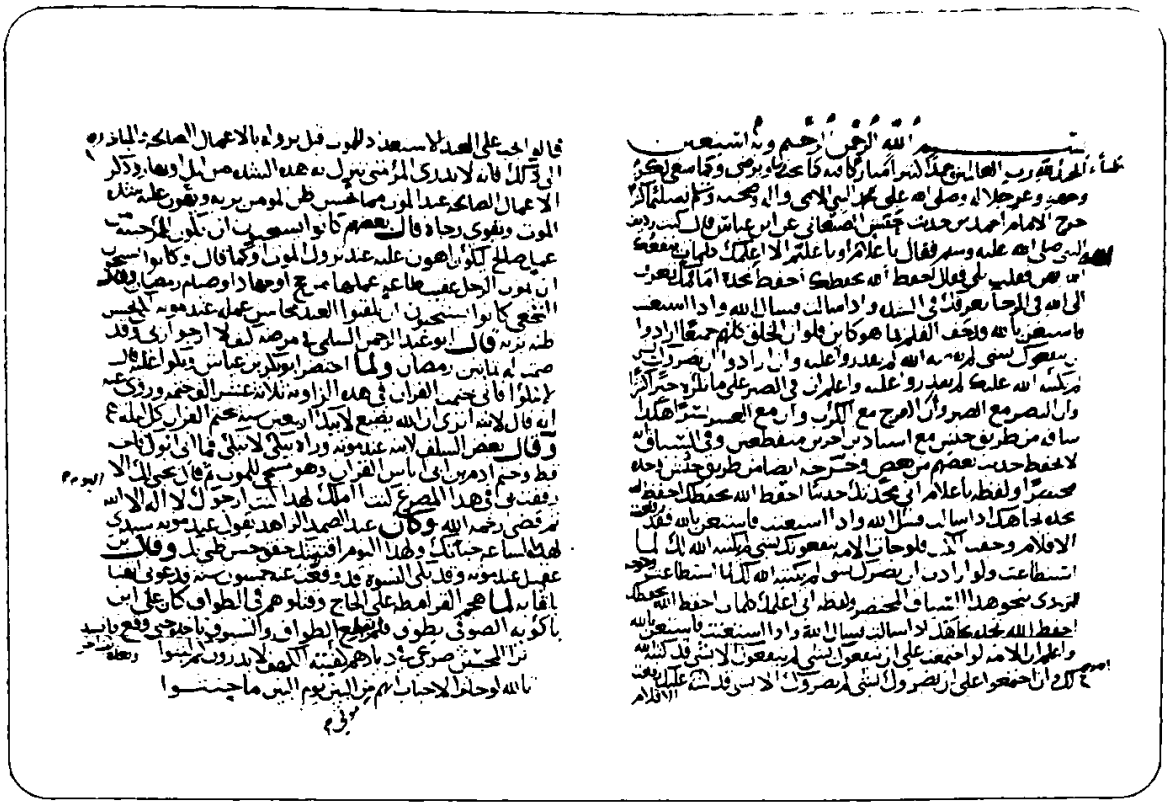

مكتبة برنستون (ب)

دار الكتب الوطنية بتونس (ت) وهي مخرومة في أولها

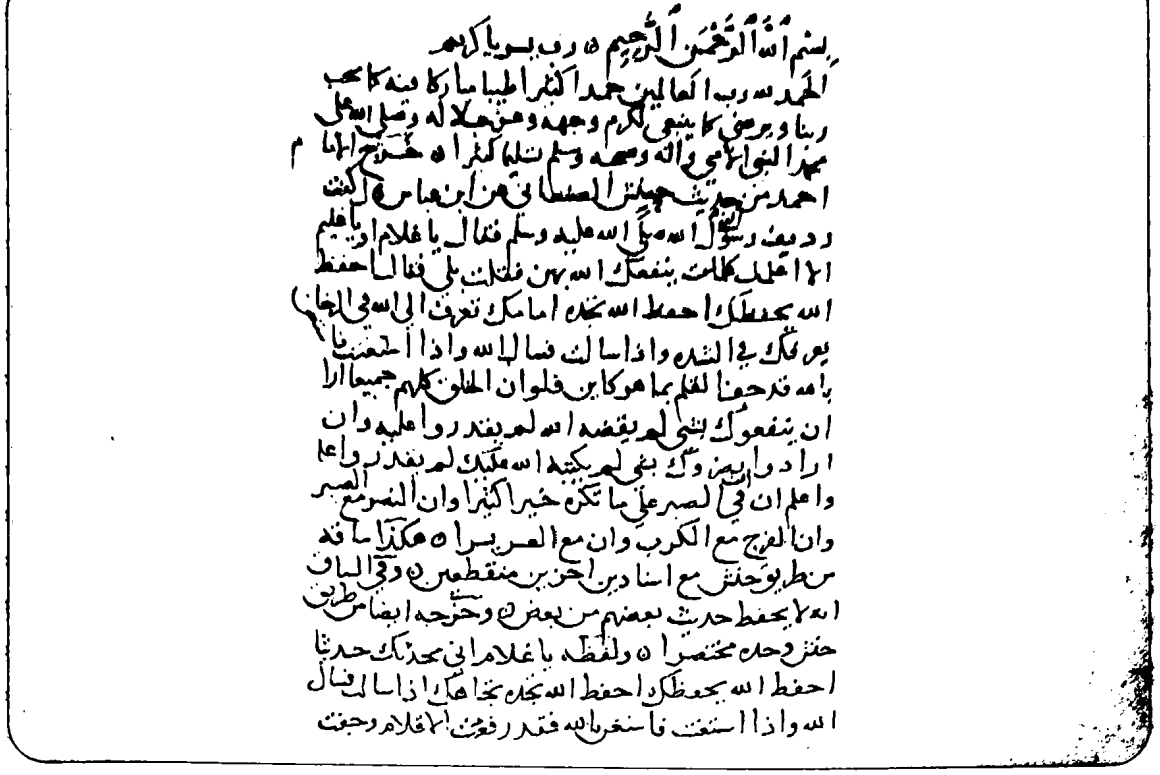

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ رب يسر يا كريم
الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب
ربنا ويرضى كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على
سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ٥ خرج الإما م
احمد من حديث حنش الصنعاني عن ابن عباس قال كنت
رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام او يا غليم
الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى فقال لي
احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء
يعرفك في الشدة واذا سألت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله
قد جف القلم بما هو كائن فلو ان الخلق كلهم جميعا ارادوا
ان ينفعوك بشيء لم يقضه الله لم يقدروا عليه وان ارادوا
واعلم ان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر
وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ٥ هكذا ساقه
من طريق حنش مع اسنادين آخرين منقطعين ٥ وفي الباقي
انه لا يحفظ حديث بعضهم من بعض ٥ وخرجه ايضا من طريق
حنش وحده مختصرا ٥ ولفظه يا غلام اني محدثك حديثا احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده تجاهك اذا سألت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله
قد جف القلم وجفت الكتب فلو جاءت الامة لينفعوك بشيء لم يكتبه
الله لك لما استطاعت ذكره الترمذي بنحو هذا السياق المختصر ولفظه
اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت
فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت
على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا
على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام
وجفت الصحف وقال حديث صحيح وقال ابو عبد الله بن منده
لهذا الحديث طرق عن ابن عباس وهذا اصحها قال وهذا اسناد مشهور
ورواته ثقات قلت قد روي هذا الحديث عن ابن عباس من رواية جماعة
منهم علي وابنه وعطاء وعكرمة ومن رواية عمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر
ابن ابي مليكة عن ابن عباس وقيل انهما لم يسمعا منه وفي اسانيدها كلام
مقال وفي الفاظها بعض الزيادة والنقص رواه عن النبي صلى الله عليه
وسلم الله ويس بن مالك بن عباس من حديث علي بن ابي طالب وابي سعيد

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

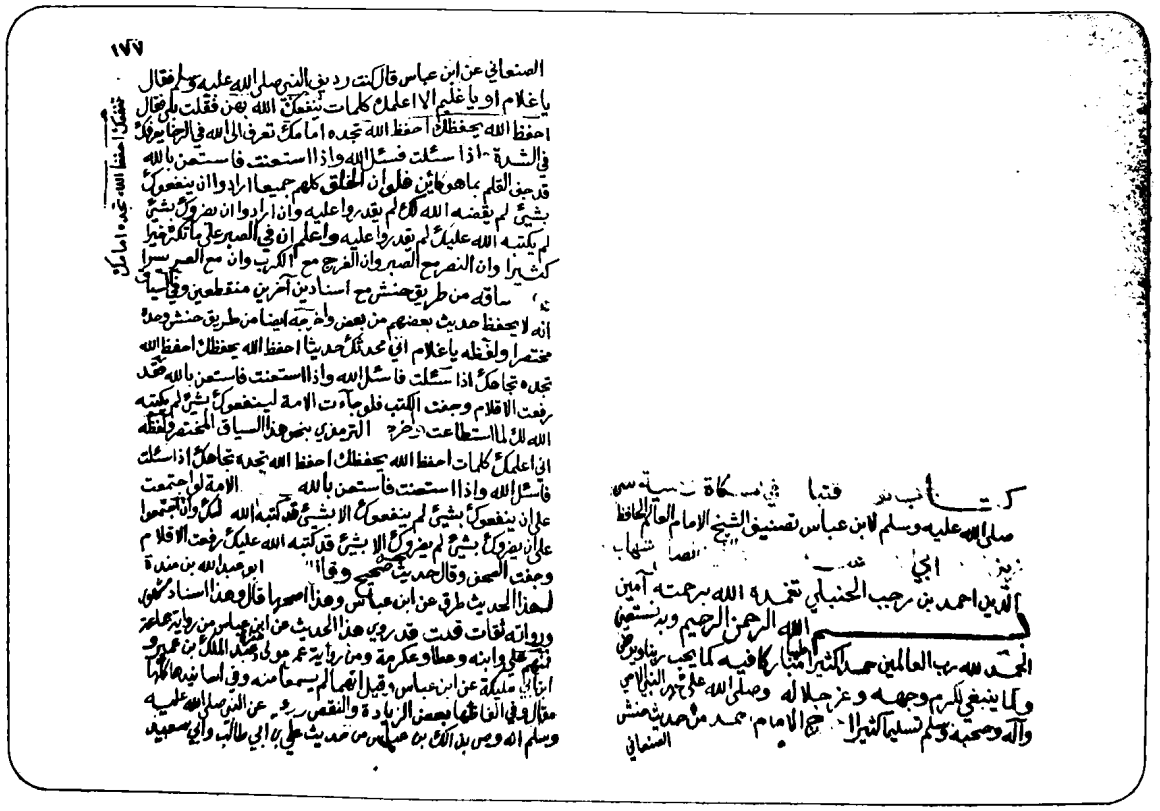

١٧٧

الصنعاني عن ابن عباس قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا غلام او يا غليم الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى فقال
احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك
في الشدة واذا سألت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله
قد جف القلم بما هو كائن فلو ان الخلق كلهم جميعا ارادوا ان ينفعوك
بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه وان ارادوا ان يضروك بشيء
لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم ان في الصبر على ما تكره خيرا
كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا
ساقه من طريق حنش مع اسنادين آخرين منقطعين وفي الباقي
انه لا يحفظ حديث بعضهم من بعض واخرجه ايضا من طريق حنش وحده
مختصرا ولفظه يا غلام اني محدثك حديثا احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده تجاهك اذا سألت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله قد
رفعت الاقلام وجفت الكتب فلو جاءت الامة لينفعوك بشيء لم يكتبه
الله لك لما استطاعت ذكره الترمذي بنحو هذا السياق المختصر ولفظه
اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت
فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت
على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا
على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام
وجفت الصحف وقال حديث صحيح وقال ابو عبد الله بن منده
لهذا الحديث طرق عن ابن عباس وهذا اصحها قال وهذا اسناد مشهور
ورواته ثقات قلت قد روي هذا الحديث عن ابن عباس من رواية جماعة
منهم علي وابنه وعطاء وعكرمة ومن رواية عمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر
ابن ابي مليكة عن ابن عباس وقيل انهما لم يسمعا منه وفي اسانيدها كلام
مقال وفي الفاظها بعض الزيادة والنقص رواه عن النبي صلى الله عليه
وسلم الله ويس بن مالك بن عباس من حديث علي بن ابي طالب وابي سعيد

كتاب نور اقتباسا في مشكاة وصية سيد
صلى الله عليه وسلم لابن عباس تصنيف الشيخ الامام العالم الحافظ
زين ابي الفرج شهاب
الدين احمد بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى
ولما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي
وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ٥ خرج الامام احمد من حديث حنش
الصنعاني

مكتبة جامعة الرياض ثم جامعة الملك سعود (س)

كتاب نور الاقتباس من مشكاة وصية
النبي لابن عباس تصنيف الشيخ الإمام العالم الحافظ
زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الصالح شهاب
الدين أحمد بن رجب الحنبلي تغمدهما الله برحمته آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما
ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا. خرج الإمام أحمد من حديث هشيم الصنعاني عن ابن عباس
قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات
ينفعك الله بهن قلت بلى فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك
تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله وإذا
استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم
جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقدره الله لك لم يقدروا عليه وإن أرادوا أن
يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم أن في الصبر على ما تكره
خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا
هكذا ساقه من حديث هشيم مع اختلاف بين أسانيد أخرى منقطعة وفي
السياق الله لا يحفظ حديث بعضهم به بعض وأخرجه أيضا من طريق
هشيم وجوه مختصرا ولفظه يا غلام إني محدثك حديثا احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت

# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة التحقيق

الحمد لله رب النَّاس، أنعم على الإنسان بتواتر الأنفاس، وخلق له مرهف الإحساس؛ ليميز به بين ما لا بأس به وما فيه الباس، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وعميه الحمزة والعباس، وعلى صحبه الأبرار خير الناس، وعلى من اقتفى أثرهم على المحجة البيضاء دون شك أو التباس.

**أما بعد:**

فقد أوصى رسول الله ﷺ ابنَ عمه عبدَ الله بن العباس ـ وكان غلاماً ـ بوصية من جوامعِ الكَلِم وبدائع الحِكم، وهي من معالم الهدي النبوي في إرشاد الفتية وتعليمهم، برَبْطٍ محكمٍ متينٍ بين الإيمان والسلوك، والعلم، والعمل.

وقد شرح الحافظُ ابن رجب رحمه الله هذه الوصية الجليلة بأسلوبه الماتع في شرح الحديث بالحديث وأقوال السلف والعارفين رضي الله عنهم.

وهذه الطريقة النبوية الشريفة هي التي تفتقر إليها نُظُم التعليم المعاصرة، التي يظهر فيها الفصل بين العلم والعمل، ولا يتلازم فيها السلوك مع الإيمان! مما تكون عاقبته جفاءً في التصور والسلوك؛ ينتج عنه نماذج مُختلَّة من تَدَيُّن صوري لا يجاوز العلم إلى صواب العمل أو تَدَيُّن صوري آخر يهتم بظاهر العمل دون حقيقة الإخلاص والتوجه إلى الله تعالى فيه.

وأشنع من هذا وذاك: تدَيُّنٌ مبتدع، يبرأ دينُ الإسلام منه، يجعل القرآنَ تابعاً لأهواء الإنسان، ولا يُقِرُّ بأن الإنسان عليه أن يتبع هدايات القرآن!

ولو التجأ الحيارى إلى هذه الوصية النبوية، واعتصموا بالجملة الأولى منها: «احفظ الله يحفظك» لكانت لهم منجاة من أودية التيه والضلال!

احفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه يحفظك الله في مصالح دنياك، ويحفظك في دينك وإيمانك من الشبهات المردية والبدع المضلة والشهوات المحرمة، ويتوفاك على الإسلام. فكيف لو قاموا بالوصية كلها؟ وكيف لو انتهجوا السنة النبوية كلها؟!

اللهم إنا نشهد أن رسولك محمداً ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فجزاه الله تعالى خير ما جزى نبياً عن أمته، صلى الله وسلم وبارك عليه وزاده فضلاً وشرفاً وتكريماً لديه.

***

هـذا الكتاب أشار إليه المصنف رحمه الله في كتابه «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٦٢) لما شرح حديث ابن عباس رضي الله عنه هذا من ضمن أحاديث الأربعين النووية، وهو الحديث التاسع عشر، فقال: «ولقد أفردت لشرحه جزءًا كبيرًا، ونحن نذكر هاهنا مقاصده على وجه الاختصار، إن شاء الله تعالى».

وذكره للمصنف: ابنُ عبد الهادي في «الجوهر المنضَّد» (ص: ٥٠)، وسماه «نور الاقتباس في وصية النبي ﷺ لابن عباس»، وتبعه من نقل عنه من المؤرخين.

وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٤٣٩)، واسمه عنده: «نور الاقتباس في مشكاة وصية ابن عباس».

وأشار إليه الصنعاني في «سبل السلام» في شرح حديث ابن عباس (١٣٨٥ من «بلوغ المرام»)، وقال: «وهو حديث جليل أفرده بعض علماء الحنابلة بتصنيف مفرد، فإنه اشتمل على وصايا جليلة».

وقد اعتمدت ـ والاعتماد على الله ـ في تحقيق هذا الكتاب على سبع نسخ خطية:

**١ ـ نسخة شهيد علي باشا في اصطنبول، ورمزها (صل)**، وهي الرسالة الثانية من مجموع برقم (٥٤٣) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ.

وهي في (٣٤) لوحة (من ١٣/ أ إلى ٤٧/ ب) مسطرتها (١٨ ـ ١٩) سطراً.

وجاء عنوانها في أول ورقة من المجموع: «شرح حديث ابن عباس: يا غليم».

وهي بخط محمد بن محمد بن محمد بن عبد الدائم الباهي الحنبلي، فرغ منها يوم الجمعة ٦ جمادى الأولى ٧٨٧ بمصر، وذلك قبل وفاة المصنف رحمه الله بثماني سنين.

وقد أكلت الأرضة بعض أطراف النسخة.

وهي بخط عالم جليل، وفي حياة المصنف، لذلك ينبغي أن تكون أصلاً، ولكن مع ذلك أثبتُّ ما في غيرها في مواضع، لاقتضاء الصواب ذلك.

وفي آخرها: «طالعه وفرغ منه مالكه: محمد بن عمر بن أحمد السفيري عفا الله عنهم بمنه وكرمه، وذلك في شهر شوال من شهور سنة ٩٣٤».

والسفيري مترجم في «الكواكب السائرة» للغزي (٢/ ٥٤).

**٢ ـ نسخة شستربتي، ورمزها (ش).**

وهي الرسالة الثانية من مجموع برقم (٤٩٥١)، يسبقها رسالة: «معلم الطرفين فيما للعلماء والفقراء من الشرفين» لعيسى بن محمد بن قراجا السهروردي.

وجاء العنوان فيها: «الاقتباس مِنْ مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس» وهي في (٣٩) لوحة (من ١٢٥/ أ إلى ١٦٣/ ب).

بخط علي بن عمر بن أحمد بن محمود المقري الدمشقي، فرغ منها يوم الأحد ٢٩ المحرم سنة ٨١٦، وهي مخرومة قبل آخرها مقدار ثلاث ورقات، ومقابلة ومصححة، وخطها نسخي جيد.

**٣ ـ نسخة برنستون، ورمزها (ب).**

وهي الرسالة الأولى من مجموع مكتبة جامعة برنستون (مجموعة يهودا) رقم (٧٩٣)، ورقم الحفظ (٤١٦١)، ومصورتها في مركز جمعة الماجد برقم (٢٤٠٥٠١).

وجاء العنوان في الورقة الأولى من المجموع: «كتاب نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس» وتقع في (٣٢) ورقة.

وجاء في آخرها قيد الفراغ من نسخها وهو خامس ذي العقدة سنة (٨١٦هـ).

وهي نسخة مقابلة ومقروءة ـ كما جاء في آخرها ـ على الشيخ الإمام العالم علاء الدين أبي الحسن علي بن زيد ... على الشيخ داود الحنبلي على مؤلفه الإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب تغمده الله برحمته. وأجاز لنا جميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه. واتفق ذلك في [...] من شهر ذي الحجة الحرام سنة ست وأربعين وثمانمئة. قاله وكتبه محمد بن محمد [...] غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

ثم جاء في آخر قيد السماع هذا: صحيح ذلك. وكتبه علي بن زيد عفا الله عنه.

**٤ ـ نسخة تونس، ورمزها (ت).**

وهي الرسالة الحادية عشرة من مجموع برقم (١٥٧) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ.

وجاء العنوان في الورقة الأولى من المجموع «نور الاقتباس... مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس» ـ وموضع النقط ذهب مع طرف الورقة ـ.

وهي في (٢١) لوحة (من ١٠٢/ ب إلى ١٢٣/ أ)، وهي مخرومة مقدار أوراق من أولها.

لم يُذكر اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، لكن رسالةً أخرى من المجموع نفسه فُرغ منها سنة ٨٥٢.

ويوجد في آخرها إجازة نصها:

«الحمد لله وكفى، أما بعد: فقد قرأ علي ولدي أحمد وفقه الله تعالى لكل صالحة، وجنبه الله كل موبقة، جميع هذا الكتاب المجموع إلى آخره، في مجالس آخرها في أوائل سنة أربع وتسعين وثمان مئة، وأذنت له أن يروي عني ذلك، وجميع ما يجوز لي وعني روايته، بشرطه المعتبر عند أهل الأثر. كتبه علي بن البهاء البغدادي[1] عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع مشايخه، وعن جميع المسلمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين يا رب العالمين».

---

(١) من علماء الحنابلة، بغدادي ثم دمشقي، له ترجمة في «الضوء اللامع» للسخاوي (٥/ ٢٠٧)، و«الجوهر المنضد» لابن عبد الهادي (ص: ١٠٤)، و«القلائد الجوهرية» لابن طولون (١/ ١٣٩)، ولم يذكروا وفاته، ولد قريباً من ٨١٨.

أما ابنه فهو مترجم في «الكواكب السائرة» للغزي (١/ ١٤٠) توفي ٩٢٩ رحمهما الله تعالى.

كُتب بعد ذلك بخط مغربي:

«والصلاة الدائم ـ كذا ـ والتسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. انتهى بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد.».

وهذه النسخة قريبة جداً من نسخة الفاتح (ف)، وقد تأخر وصولها إلينا، ولذلك رجعنا إليها في المواطن المهمة.

**٥ ـ نسخة الفاتح، ورمزها (ف).**

وهي الرسالة الأخيرة ـ الثامنة عشرة ـ من المجموع رقم (٥٣١٨) بمكتبة الفاتح في اصطنبول ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ

وجاء عنوان الرسالة في أول المجموع: «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس»، وكذلك في خاتمة الرسالة التي قبلها: «يتلوه كتاب نور الاقتباس....».

وهي في (٤٧) لوحة (من ٢٢٩/ ب إلى ٢٧٥/ أ) ومسطرتها: ١٩ سطراً.

ناسخها وناسخ المجموع: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي، بتاريخ الثلاثاء ٥ ربيع الأول سنة ٨٩٣.

**٦ ـ نسخة مكتبة جامعة الرياض (ثم جامعة الملك سعود)، ورمزها (س).**

وهي الرسالة الثامنة من مجموع رقمه (١٦٣٧) ـ وقد تقدم التعريف به في المقدمات ـ، وعنوان الرسالة فيها: «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس».

وهي في (٥٢) صفحة (من ١٧٦ إلى ٢٢٨)، أسطرها بين (٢٤ ـ ٢٧).

ناسخها: عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن ربيعة الربيعي.

تاريخ نسخها: الأربعاء ٢٦ رجب ١٣٣٣. وهي مصححة ومقابلة.

**٧ ـ نسخة مكتبة الرياض السعودية، ورمزها (ط)**، وهي الرسالة السابعة من مجموع رقمه (٥٢٧/ ٨٦) من (ص: ٨٨ إلى ١١٤). ـ وقد تقدم التعريف به في المقدمات ـ، وكانت في حوزة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، وعنوان الرسالة فيها: «نور الاقتباس مِنْ مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس».

لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكنه في حدود (١٣٣٦) كما في رسائل أخرى من المجموع.

ونظراً لتأخرها ـ وكونها مأخوذة ـ على الغالب ـ من (س) ـ لم نقابل بها، لكن استفدنا منها في إثبات عنوان الكتاب.

* وثمة نسخة أخرى وقفنا عليها وهي:

ـ نسخة جامعة ييل برقم (٦٧٣ ـ مجاميع) في (٣٨) لوحة، كان الفراغ من نسخها جمادى الآخرة ١٢٥٥، وهي مقابلة مع التحري، ولم نعتمد عليها لتأخرها.

ـ نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء اليمن، رقم (٢٤٦).

وطبع الكتاب طبعات كثيرة: من أقدمها طبعة المكتبة الماجدية بمكة المكرمة ١٣٤٧، وطبعة جماعة التعاون العلمي بمصر ١٣٦٥، وأجودها: طبعة الشيخ محمد بن ناصر العجمي جزاه الله خيراً.

**تنبيه**: جاء العنوان في (ش) و(ط): «من مشكاة»، وفي (ب) و(ف) و(س) وغيرها من النسخ المعتمدة في المطبوعات: «في مشكاة».

وقد أثبتُّ في العنوان (مِنْ)، فإن المشكاة هي الكُوَّة من الجدار التي يكون فيها السراج، والاقتباس يكون منها لا فيها، والاقتباس من المشكاة كناية عن الاقتباس من السراج. والله الهادي للصواب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب

**محمد مجير الخطيب الحسني**

* * *

# بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم

## رب يسر بمَنّك[1]

قال الإمامُ العلَّامةُ الحافظُ أبو عبدِ الرَّحمنِ بنُ الإمامِ العالمِ العلَّامةِ أحمدَ بنِ رَجبٍ، بلَّغه اللهُ مِن فضلِهِ الأماني[2]:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، حَمداً كثيراً طيِّباً مُباركاً فيه، كما يحِبُّ ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكَرمِ وجهِه وعِزِّ جلاله، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ النبيِّ الأميِّ وآلِه وصحبِه وسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

**خَرَّجَ الإمامُ أحمدُ مِنْ حديثِ حَنَشٍ الصَّنعانيِّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قال: كنتُ رِدْفَ[3] النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: «يا غُلامُ ـ أو يا غُلَيِّمُ ـ ألا أُعلِّمُكَ كلِماتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهنَّ؟» فقلتُ: بلى، فقال: «احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفظِ اللهَ تجِدْه أمامَكَ، تَعرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، وإذا سَألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ، قَدْ جَفَّ القَلَمُ بما هُو كَائِنٌ، فلو أنَّ الخَلْقَ كلَّهُم جَميعاً أَرادُوا أن يَنْفَعوكَ بشيءٍ لم يَقْضِه اللهُ[4] لم يَقْدِرُوا عليهِ، وإنْ أرادُوا أنْ يَضُرُّوك بشيءٍ لم يَكْتُبْه اللهُ عليكَ لم يَقْدِرُوا عليه، واعلمْ**

---

(١) من (ش)، وفي (ف): «رب يسر يا كريم» وفي (س) بدلها: «وبه نستعين». وفي (ب): «وبه أستعين».

(٢) من الأصل، وفي (ش): «قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي رحمه الله». ولا شيء في (ف) و(س) و(ب).

(٣) من الأصل موافقاً للمسند، وفي سائر النسخ: «رديف».

(٤) في (س): «يقضه الله لك».

**أنَّ في الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ خيراً كثِيراً، وأنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ معَ العُسْرِ يُسراً».**

هَكذا ساقَه مِنْ طَريقِ حَنَشٍ معَ إسنادَيْنِ آخَرين مُنْقَطِعَين، وفي السِّياقِ أنَّه لا يُحْفَظُ حديثُ بعضِهم مِنْ بَعْض[1].

وخَرَّجَه أيضاً مِنْ طَريقِ حَنَشٍ وَحْدَه مُختَصراً، ولفظُه: «يا غُلامُ، إنِّي مُحدِّثُكَ حَدِيثاً: احفَظِ اللهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْه تُجاهَكَ، إذا سَأَلتَ فاسأَلِ اللهَ، وإذا استَعَنْتَ فاستعِنْ باللهِ، فقدْ رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَفَّت الكُتُبُ، فلو جَاءت الأُمَّةُ يَنْفَعُونَكَ بِشيءٍ لمْ يكتُبْه اللهُ لكَ لما استطَاعَتْ، ولو أرادَتْ أَنْ تَضُرَّكَ بِشَيءٍ لم يكتُبْه اللهُ لك لما استَطاعَتْ»[2].

وخَرَّجَهُ التِّرمِذِيُّ بنحوِ هذا السِّياقِ المختَصَرِ، ولفظُه: «إنِّي أُعَلِّمُكَ كلماتٍ: احفظِ اللهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْه تُجاهَك، إذا سَأَلتَ فاسأَلِ اللهَ، وإذا استَعَنْتَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٨٠٣) عن شيخه أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، وأبو عبد الرحمن له فيه ثلاثة أسانيد:

١ـ عن كهمس بن الحسن، عن الحجاج بن الفرافصة رفعه أو أسنده إلى ابن عباس، وهو منقطع.

٢ـ عن همام بن يحيى أسنده إلى ابن عباس، وهو منقطع.

٣ـ عن عبد الله بن لهيعة ونافع بن يزيد المصريان، عن قيس بن حجاج، عن حنشٍ الصنعاني عن ابن عباس، وهو متصل، قال أبو عبد الرحمن: ولا أحفظ حديث بعضهم من بعض.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٦٣). عن يحيى بن إسحاق، عن ابن لهيعة، عن نافع بن يزيد أن قيس بن الحجاج حدثه أن حنشاً حدثه.... وأخرجه الإمام أحمد أيضاً (٢٦٦٩) عن يونس، عن ليث، عن قيس بن الحجاج، عن حَنَشًا الصنعاني به.

وكتب ناسخ (ف) سطراً ونصفاً سبق قلم ثم ضرب عليه، ومع ذلك أثبتها بعض الناشرين!

فاستَعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ على أَنْ ينفَعُوكَ بشيءٍ لم ينفَعُوكَ إلا بشيءٍ قَدْ كَتَبه اللهُ لكَ، وإنْ اجتَمَعُوا على أن يَضُرُّوكَ بشيءٍ لم يضُرُّوكَ إلا بشيءٍ قَدْ كَتَبهُ اللهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1] وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

قال[2] الحافظُ أبو عبدِ اللهِ بنُ مَنْدَه: لهذا الحديثِ طُرقٌ عن ابنِ عَبّاسٍ، وهذا أصحُّها. قالَ: وهذا إسنادٌ مشهورٌ، ورواتُه ثِقَاتٌ[3].

قلت: قَدْ رويَ هذا الحديثُ عن ابنِ عبَّاسٍ من روايةِ جماعةٍ[4] منهم[5]: عليٌّ ابنُه[6]، وعطاءٌ[7]،.....

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

(٢) في الأصل دون واو، وفي سائر النسخ: «وقال».

(٣) قاله ابن منده عقب إخراجه الحديث من طريق ابن وهب عن ليث عن قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس، في كتاب «التوحيد» (٢٤٨).

(٤) في (ش) و(ف): «جماعة عنه».

(٥) في (ف) و(س) و(ب): «فمنهم». ووقع في سياق الأسماء اضطرابٌ في النسخ، والمثبت من (ش)، وهو الصواب وسقط من (صل): «عبد الملك بن عمير»، وأخَّر «ابن أبي مليكة» وذلك خطأ. وكذلك سقط من (ف): «عبد الملك»، وأخر «ابن أبي مليكة». وأما في (س) فلم يسقط شيء لكن أخر «ابن أبي مليكة» ولا يستقيم تأخيره لأن اللذين لم يسمعا من ابن عباس هما عُمر وعبدُ الملك.

(٦) أخرجه الشجري في «أماليه» (ترتيب الأمالي الخميسية (٢٣٩٣)). من طريق أبي كريب، عن عُمر بن بَزِيع، عن الحارث بن الحجاج، عن أبي معمر قال: حدثني علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه.... وعمر والحارث وأبو معمر: مجاهيل. كما في تراجمهم من «الميزان»، للذهبي. وأما ابن عبد البر، فقد سمى أبا معمر عَبَّاد بن عبد الصَّمَد، وهو متروك الحديث كما في سند ممائل في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٠٣) (٩٣).

(٧) رواه عن عطاء جماعة منهم:

ـ يعقوب ابنه، عند الخليلي في «الإرشاد» (٨٩)، وعند السِّلَفي في الرابع والعشرين من «المشيخة البغدادية» (نسخة الأسكوريال/ ٢٣٤). =

وعكرمةُ[١]، وابنُ أبي مُليكة[٢]، ومنْ رِوايةِ عُمرَ مَولى غُفْرَة[٣]،.....

= ـ عبد الواحد بن سليمان، في «مسند ابن الجعد» (٣٤٤٥)، و«الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا (٦)، وعند الطبراني في «الكبير» (١١٤١٦)، والفريابي في «القدر» (١٥٨)، والآجري في «الشريعة» (٤١٣)، وابن بشران في (أماليه) (١٣٣٢).

ـ المثنى بن الصباح، عند عبد بن حميد (المنتخب ٦٣٦)، وأبي نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٧٤ ـ ٢/ ٢٧٦) وقرنه بالحجاج بن الفرافصة. قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: سنده ضعيف.

ـ ابن جريج: عند السهمي في «تاريخ جرجان» (٢٦)، وابن عدي في ترجمة نوفل بن سليمان.

(١) رواه من حديث عكرمة: الطبراني في «الدعاء» (١٩٧٢)، وانظر ما سيأتي من حديث عمر مولى غفرة.

(٢) رواه عنه عيسى بن محمد القرشي. أخرجه: الفريابي في «القدر» (١٥٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٩٧)، والطبراني في «الكبير» (١١٢٤٣)، وفي «الدعاء» (٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٤٢)، وأبو نُعيم في «معرفة الصحابة» (٤٢٨٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٤٥)، والبيهقي في «الآداب» (٧٥٨)، وفي «شعب الإيمان» (٩٥٢٩). ومن طريق الطبراني أخرجه الضياء في «المختارة» (١١/ ١١٧ ـ ١١٨) وذكر قول أبي حاتم الرازي في عيسى بن محمد: ليس بالقوي. قال العقيلي: «وقد روي هذا الكلام عن ابن عباس من غير طريق، أسانيدها لينة، وبعضها أصلح من بعض».

(٣) رواه عن عمر مولى غفرة:

ـ إسماعيل بن عياش: عند الطبراني في «الكبير» (١١٥٦٠) ـ وأدخل عكرمة بن عمر وابن عباس ـ وعلقه كذلك ابن أبي عاصم في «السنة» (٣١٧). وأخرجه العقيلي (٣/ ١٧٨)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٣٠٧) من طريقه دون ذكر عكرمة. قال العقيلي: «وهذا المتن يروى عن ابن عباس وغيره عن النبي ﷺ بأسانيد لينة».

ـ عيسى بن يونس، ولم يذكر عكرمة عند: هناد بن السري في «الزهد» (٥٣٦)، والفريابي في «القدر» (١٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٢٨).

ـ علي بن القاسم الكندي، عند ابن بشران (١٨٨) وسمى مولى غفرة عاصم بن رجاء! وفي حاشية مخطوطة الظاهرية ولم يثبته محققه: «صوابه والله أعلم: عاصم بن رجاء عن عمر مولى غفرة، وفي أصل الشيخ كما كتبته في النسخة».

وعبدِ الملك بن عُمَير[١] عَنْ ابنِ عبَّاس، وقيل إنَّهما لم يَسْمَعا مِنْهُ[٢].

وفي أسانِيدها جميعِها[٣] مَقَالٌ[٤]، وفي ألفاظِها بعضُ الزِّيادة والنَّقْصِ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه وَصَّى بذلكَ ابنَ عَبَّاسٍ مِنْ حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ[٥]،

---

(١) أخرجه ابن شاهين في الخامس من «الأفراد» (٨٥) بطرف منه، وقال: فرد غريب من حديث عبد الملك بن عمير لا أعلم رواه عنه غير شهاب بن خراش، وأخرجه الدارقطني كما في «أطراف الغرائب والأفراد» لابن طاهر (٢٤٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٤١)، وقال: هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس رضي الله عنهما إلا أن الشيخين رضي الله عنهما لم يخرجا شهاب بن خراش ولا القداح في الصحيحين وقد روي الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا.

(٢) ذكر العقيلي في «الضعفاء» قيل لعمر مولى غفرة: سمعت من ابن عباس؟ قال: أدركت زمانه.
وقال أبو حاتم الرازي (الجرح والتعديل ٦/ ٤١٣): لا أعلمه سمع من ابن عباس شيئاً.

(٣) في (س): «كلها».

(٤) ومما لم يذكره المصنف رحمه الله هنا:
ما رواه الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس. أخرجه أبو عبيد في «الخطب والمواعظ» (١٢٤)، والطبراني في «الدعاء» (٤٣)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٣٠٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣١٤). وعلقه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣١٨). وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١٥٠٤) فلم يذكر عبيد الله. وفيه الحجاج بن الفرافصة: صدوق يهم.
ما رواه الحسن عن ابن عباس أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٤/ ٣١)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ٨٩٣). وهو منقطع.
ما رواه محمد بن كعب القرظي. أشار إليه البيهقي في «القضاء والقدر» (٣٠٧) وهو رواية شاذة من حديث عمر مولى غفرة.
ما رواه عبد الله بن ثابت العنبري، عن عمرو بن دينار عن ابن عباس. أخرجه وكيع الضبي في «أخبار القضاة» (ص: ٢٩١)، ولم أجد عبد الله بن ثابت، وأخشى أن يكون مُصحَّفاً.

(٥) أخرجه ابن بشران في «أماليه» (٧١٦) من طريق عنبسة بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن الحسن عن =

وأبي سعيدٍ الخُدريِّ[١]، وسَهْلِ بنِ سَعْدٍ[٢] وغيرِهم مَنَ الصَّحَابَةِ[٣]، وفي أسانيدها أيضاً مقالٌ.

---

= أمه فاطمة بنت الحسن، عن أبيها، عن جدها علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس: «احفظ الله يحفظك...».

وعنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة الأموي، قال أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٤٠٣): متروك الحديث، كان يضع الحديث.

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٠٩٩) وفي معجمه (٩٦)، وابن عدي في «الكامل» ـ ترجمة يحيى بن ميمون ـ، واللالكائي في «شرح أصول أهل السنة والجماعة» (١٠٩٦)، والآجري في «الشريعة» (٤١٤)، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٠٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٦/ ١٨٩) ومداره على يحيى بن ميمون التمار البصري، اتهم بوضعه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٧)، ومن طريقه أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (١٦٠٣)، والتنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/ ١١٥ ـ ١١٦). وشيخ ابن أبي الدنيا أبو سعيد عبد الله بن شبيب الربعي المديني من سُرَّاق الحديث.

(٣) منهم عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

ومدار حديثه على علي بن أبي علي الهاشمي، وهو اللَّهبي المديني. قال أبو حاتم وأبو زرعة: منكر الحديث. كما في «الجرح والتعديل» (٦/ ١٩٧). يرويه عن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم. رواه عنه: يعقوب بن حميد بن كاسب: عند أبي عاصم في «السنة» (٣١٥)، والطبراني في «الكبير» ١٣ (١٨٥)، وعنه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٠٤٤). ووقع في هذه الكتب: علي بن علي، واستدرك محققوها [ابن] من المراجع كـ«جامع المسانيد» و«مجمع الزوائد».

خالفه: عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، فرواه عن علي بن أبي علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه! أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام! أخرجه التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/ ١١٢).

خالفهما: عبد الله بن ميمون القداح المكي فرواه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال لي ابن عباس... فذكره. أخرجه عبد الغني المقدسي في أول جزئه «التوكل». وابن ميمون القداح هو راوي حديث شهاب بن خراش عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس المذكور سابقاً! وهو منكر الحديث متروك، فلا يصح حديثاه. =

وذكرَ العُقَيليُّ أنَّ أسانيدَ الحديثِ كلَّها لَيِّنَةٌ[١]، وبعضُها أصلَحُ مِنْ بَعْضٍ[٢].

قلتُ: وأجودُ أسانيدِه مِنْ روايةِ حَنَشٍ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ، التي ذَكرناهَا، وهو إِسنادٌ حَسَنٌ لا بأسَ به، وقد استوفينَا ذِكْرَ طُرُقِ الحديثِ[٣] معَ الكلامِ عليها في كتابِ «شَرْحِ التِّرمذِيِّ»[٤].

---

= ومنهم الفضل بن العباس رضي الله عنهما.

ذكر البلاذري في «أنساب الأشراف» (٤/ ٢٣) أن النبي ﷺ قال له ذلك.

(١) في حاشية (ف): «كَيِّسَة». وهذا تصحيف. وفي (س): «أسانيد هذا الحديث كلها لينة».

(٢) «الضعفاء»، للعقيلي (٣/ ٥٣).

(٣) في (س): «هذا الحديث».

(٤) شرح الترمذي كتاب جليل، احترق في فتنة تيمورلنك سنة ٨٠٣ ولم يبق منه سوى «شرح علل الترمذي» وهو من أعظم كتب المصنف رحمه الله. وقد شرح المصنف رحمه الله هذا الحديث باختصار في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٥٩) وهو الحديث التاسع عشر من الأربعين النووية، وأحال إلى كتابه هذا. وقال هناك: «فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة».

وقال الإمام الحافظ أبو طاهر السِّلَفي في «الرابع والعشرون من المشيخة البغدادية» (لوحة ٢٣٤ من نسخة الأسكوريال): «وقد روى هذا الحديث اثنا عشر رجلاً من التابعين عن ابن عباس» وقد سبق ذكر عشرة منهم وقفت على الطرق إليهم. وأما رواية حنش الصنعاني، فلها عنه طريقان:

١ـ يزيد بن أبي حبيب: أخرجها الفريابي في «القدر» (١٥٧) وعنه الآجري في «الشريعة» (٤١٢).

٢ـ قيس بن الحجاج الكلاعي المصري، وعنه الإمام الجليل الليث بن سعد، روي عنه من طرق كثيرة، عند ابن وهب في «القدر» (٢٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦)، وأبي يعلى (٢٥٥٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥)، والفريابي في «القدر» (١٥٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٩٨٨)، وفي «الدعاء» (٤٢)، والدينوري في «فوائد العراقيين» (٩)، وابن منده في «التوحيد» (٢٤٨)، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٠٥) (١٥٠٨)، واللالكائي (١٠٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٢)، وفي «القضاء والقدر» (٢٨٧)، وعلقه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣١٦).

ورواه عن قيس أيضاً: ابن لهيعة ونافع بن يزيد، عند: أحمد في «المسند» (٢٨٠٣) (٢٧٦٣)، والترمذي (٢٥١٦)، والطبراني في «الكبير» (١٢٩٨٩)، والفريابي في «القدر» (١٥٦)، والبيهقي =

ومقصودُنا هاهُنا الكلامُ على معنى الحديثِ وشرحِ ألفاظِه، فإنَّه تضمَّن وصايا عظيمةً، وقواعدَ كُلِّيةً مِنْ أهمِّ أمورِ الدِّين وأَجَلِّها، حتى قالَ الإمامُ أبو الفرجِ [ابنُ الجَوزِيِّ رحمه الله][1] في كتابِه «صَيْدِ الخاطِرِ»: تدبَّرتُ[2] هذا الحديثَ فأَدْهَشَني وكدتُ أَطيشُ، ثمَّ قالَ: واأسفَا من الجَهْلِ بهذا الحَديثِ وقِلَّةِ الفَهْمِ[3] لِمَعْناه[4].

***

فقولُه ﷺ: «احفَظِ اللهَ يحفَظْكَ» يعنِي: احفَظْ حُدُودَ اللهِ وحُقُوقَه وأوامِرَه ونواهِيَه، وحِفْظُ ذلكَ هو الوقوفُ عندَ أوامِره بالامتثالِ، وعندَ نواهيه بالاجتِنابِ، وعندَ حُدودِه فلا تَتَجاوزْ ولا تَتَعدَّ مَا أَمَر[5] به إلى مَا نهى عنه، ودَخَل[6] في ذلكَ فعلُ الواجباتِ جميعاً، وَتْركُ المحرَّماتِ كُلِّها، كما في حديثِ أبي ثَعْلبةَ المرفوعِ: «إنَّ اللهَ فرَضَ فرائضَ فلا تُضَيِّعُوها، وحَرَّم حُرُماتٍ فلا تَنْتَهِكوها، وحَدَّ حُدُوداً فلا تَعْتَدوها، [وسَكتَ عَنْ أشياءَ فلا تَبْحَثُوا عنها][7].

---

= في «الشعب» (١٠٤٣)، وفي «الأسماء والصفات» (١٢٦)، واللالكائي (١٠٩٤)، والسمرقندي في «تنبيه الغافلين» (٣٢٣).

(١) من (س) ولا توجد في سائر النسخ.

(٢) في (س): «قد تدبرت».

(٣) في (ش) وحاشية (س): «التفهم».

(٤) لم أجد هذا الكلام لابن الجوزي في «صيد الخاطر» المطبوع، ولم أجده لغيره، ونقله المصنف وأبهم قائله في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٦٢).

(٥) ضبطت في (ش): فلا تُتَجاوَز ولا يُتَعَدّى ما أمر به...

(٦) في (ف): «فدخل».

(٧) «وسكت عن أشياء فلا تبحثوا عنها» زيادة من (س). والحديث هو الثلاثون من الأربعين النووية قال النووي: حسن رواه الدارقطني وغيره. وقد رواه الطبراني في «الكبير» ٢٢ (٥٨٩)، والدارقطني في «السنن» (٤٣٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٧)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٢ ـ ١٣) وغيرهم.

وذلكَ كلُّه يدخلُ في حِفْظِ حُدودِ اللهِ، كما ذكَرَه اللهُ تعالى في قوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] الآية، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢ ـ ٣٣] وفُسِّرَ الحفيظُ هاهُنا بالحافظ لأوامِرِ اللهِ، وفُسِّرَ بالحافظِ لذُنُوبِهِ حتى يَرجعَ منها، وكلاهما يَدْخُلُ في الآيةِ، ومَنْ حَفِظَ وصيَّةَ اللهِ لعبادِه وامتَثَلها فهو داخلٌ أيضاً، والكلُّ يرجعُ إلى معنى واحِد.

وقَدْ وَرَدَ في بعضِ ألفاظِ حديثِ يومِ المزيدِ في الجنَّة: إنَّ اللهَ تعالى يقولُ لأهلِ الجنَّةِ إذا استدعَاهُم إلى زِيارَتِه، وكشَفَ لهم الحُجُبَ: «مرحَباً بعبادي الذين حَفِظُوا وصيَّتي، ورَعَوا عَهْدِي، وخَافُوني بالغَيْبِ، وكانوا مِنِّي على كلِّ حالٍ مُشفِقين»[(١)].

فأمرُه ﷺ لابنِ عباسٍ بحفظِ اللهِ يدخل فيه هذا كله[(٢)].

**ومِنْ أَعْظَمِ ما يَجِبُ حِفْظُه مِنَ المأمُوراتِ: الصلواتُ الخَمْس.** قالَ تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩][(٣)]، وقالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ حافَظَ عليها كانَ له عِنْدَ اللهِ عَهدٌ أنْ يُدخِلَه الجنَّة»[(٤)] الحديث، وفي حديثٍ آخر: «مَنْ حافظَ عليهنَّ كُنَّ له نُوراً وبُرهاناً ونجاةً يومَ القِيامةِ»[(٥)] الحديث.

---

(١) من مراسيل محمد الباقر رضي الله عنه، أخرجه بطوله: ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٥٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١١) وهو معضل.

(٢) في (س): «أن يحفظ» وفي حاشيتها نسخة توافق سائر النسخ، وفي (ش): «يدخل في هذا كلِّه».

(٣) وفي (ف) و(س): «على صلاتهم يحافظون» وهي في سورة المعارج: ٣٤.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٦٩٣) (٢٢٧٠٤)، وأبو داود (١٤١٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ولفظه: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة... ». وما هنا تصرف بالمعنى.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٦٥٧٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

**وكذلكَ الطَّهارةُ**، فإنَّها مِفتاحُ الصَّلاةِ، وقال النبيُّ ﷺ: «لا يحافِظُ على الوضوءِ إلا مؤمنٌ»[١]، فإنَّ العبدَ تنتَقِضُ طهارتُه ولا يعلَمُ بذلكَ إلا اللهُ، فالمحافظةُ على الوضوءِ للصَّلاةِ[٢] دليلٌ على ثبوتِ الإيمانِ في القَلْب.

**وممّا أمرَ اللهُ تعالى بحِفْظِه: الأيمانُ**. لمَّا ذكرَ كَفَّارةَ اليمينِ قالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] فإنَّ الأيمانَ كثيراً ما تَقَعُ مِنَ النَّاسِ، وموجباتُها مختلِفةٌ، فتارةً يجبُ بها كفارةُ يمينٍ، وتارةً يجبُ بها كفارةٌ مغلَّظَةٌ، وتارةً يلزمُ بها المحلوفُ عليهِ مِنْ طلاقٍ ونحوِه، فمَنْ حَفِظَ أَيمانَه دَلَّ على دُخولِ الإيمانِ في قلبِه.

وكانَ السَّلَفُ كثيراً يُحافِظُونَ على الأَيمانِ، فمنهم مَنْ كانَ لا يحلِفُ باللهِ ألبتَّة، ومنهم مَنْ كان يتورَّعُ حتَّى يكفِّرَ عمَّا شَكَّ في الحِنْثِ فيه[٣].

ووصَّى الإمامُ أحمدُ عندَ موتِهِ أَنْ تُخْرَجَ عنهُ كفَّارةُ يمينٍ، وقالَ: أظنُّ أنِّي حنِثْتُ في يمينٍ حَلَفْتُها[٤].

وقدْ رُويَ عن أيوبَ النبيِّ عليهِ السَّلام كانَ إذا مَرَّ باثنينِ يحلفانِ باللهِ ذَهَبَ فكفَّر

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٦٦) بلاغاً، والإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٧٨) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: «والصلاة».

(٣) في (ش) وهامش (ب): «الحلف فيه» وفي (س): «فيما شك فيه الحنث».
وذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٨٤٧) عن وكيع: أن أبا حنيفة رحمه الله كان قد جعل على نفسه أن لا يحلف بالله في عرض كلامه إلا تصدق بدرهم فحلف فتصدق به، ثم جعل على نفسه إن حلف أن يتصدق بدينار فكان إذا حلف صادقاً في عرض الكلام تصدق بدينار.

(٤) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٥٨).

عنهُما يمينَهما، لئلَّا يأثمانِ وهما لا يَشعُرانِ[١]، ولهذا لمَّا حَلَفَ على ضَرْبِ امرأته مِئَةَ جَلْدةٍ أفتاهُ اللهُ بالرُّخْصَةِ لِحفْظِه[٢] لأيمانه وأيمان غيره.

وقَدْ اختلفَ العلماءُ هلْ تتعدَّى الرخصةُ إلى غيرهِ أم لا[٣].

وقالَ يزيدُ بنُ أبي حَبيب: بلغَني أَنَّ مِنْ حَمَلةِ العَرْشِ مَنْ يسيلُ مِنْ عَينيهِ أمثالُ الأنهارِ مِنَ البُكاءِ، فإذا رَفَعَ رأسَه قالَ: سبُحانَكَ ما تُخْشى حَقَّ خَشْيَتِكَ، فيقولُ اللهُ تعالى: لكنَّ الذينَ يحلِفُون باسمي كاذِبينَ لا يَعْلَمُونَ ذلِكَ[٤].

وَقَدْ وردَ التشديدُ العظيمُ في الحَلِفِ الكاذِبِ، ولا يصدُرُ كَثْرةُ الحَلِفِ باللهِ والحلفِ به كاذِباً إلا مِنَ الجَهْلِ باللهِ وقِلَّةِ هيبَتِه في الصُّدور.

**ومما يلزمُ المؤمنَ حفظُه: رأسُه وبطنُه**، كما في حديثِ ابنِ مسعودٍ المرفوعِ: «الاستحياءُ مِنَ اللهِ حَقَّ الحياءِ: أنْ يحفظَ الرأسَ وما وَعى، ويَحفظَ البطْنَ وما حَوى» خَرَّجَهُ الإمامُ أحمدُ والتِّرمِذي[٥].

---

(١) مما رواه نعيم بن حماد عن المبارك في «الزهد» (٢/ ٤٩) من مراسيل الزهري. وأخرجه ابن حبان (٢٨٩٨)، والحاكم (٢/ ٥٨١ ـ ٥٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. من حديث أنس رضي الله عنه. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٢٠٨): وهذا غريب رفعه جدًا، والأشبه أن يكون موقوفاً.

(٢) تصحفت في (ف) إلى «لحلفه».

(٣) قال مجاهد رحمه الله: هي لأيوب عليه السلام خاصة، وقال عطاء: هي للناس عامة. كما في تفسير الآية ٤٤ من سورة (ص) من «الدر المنثور» للسيوطي. وإلى خصوصها ذهب الإمام مالك رحمه الله وأهل الرأي، وإلى كونها عامة ذهب الشافعي رحمه الله، كما ذكر القرطبي في تفسير تلك الآية.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٤١١) ولعله من الإسرائيليات.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٦٧١) بلفظ الغائب «فليحفظ». والترمذي (٢٤٥٨) بلفظ =

وحفظُ الرأسِ وما وَعى يدخُلُ فيه حفظُ السَّمْعِ والبَصَرِ واللِّسانِ مِنْ المُحرَّماتِ، وحفظُ البطنِ وما حَوى يتضمنُ حِفْظَ القَلْبِ عنِ الإصرارِ على مُحَرَّم، وقد جمعَ اللهُ ذلكَ كلَّه في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويدخلُ في حِفْظِ البَطْنِ وما حَوى حفظُه مِنْ إدخالِ الحرامِ إليهِ مِنَ المأكولاتِ والمشرُوبات.

**ومما يَجِبُ حفظُه من المنهيَّات: اللسانُ والفَرْجُ**(١)، وفي حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عَن النبيِّ ﷺ: «مَنْ حَفِظَ ما بينَ لحييهِ وما بينَ رِجليهِ دَخَلَ الجنَّةَ». خرَّجه الحاكمُ(٢).

وخرَّجَه البخاريُّ مِنْ حديث سَهْلِ بنِ سَعْدٍ عنِ النبيِّ ﷺ، ولفظه: «مَنْ يَضْمَنْ لي ما بينَ لَحييهِ ورِجلَيهِ أضمنْ لهُ الجنَّةَ»(٣).

وفي مُسندِ الإمامِ أحمدَ عنْ أبي مُوسى، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ حَفِظَ ما بَيْنَ فَقْمَيهِ وفَرْجِه دَخَلَ الجنَّةَ»(٤).

---

= المخاطب: «أن تحفظ» وهو الذي أورده المصنف رحمه الله. وإسنادهما واحد، قال الترمذي، حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد.

قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٤٨): أبان والصباح مختلف فيهما، وقد ضُعِّف الصباح برفعه هذا الحديث، وصوابه: عن ابن مسعود موقوفاً عليه.

(١) في (ف) و(ب): «حفظ اللسان والفرج».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٧)، وقال: صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٩٥٥٩). والفقمان: هما اللحيان، وهما طرفا الفم: الفك الأعلى والفك الأسفل، والمراد حفظ الفم عن التكلم بما لا ينبغي، وعن أكل ما لا ينبغي.

وقد أمرَ الله تعالى بحفظِ الفُرُوجِ خاصَّةً، ومدحَ الحافِظين لها، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠][1]، وقالَ تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقالَ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧].

وقَدْ رُوِيَ عَنْ أبي إدريسَ الخَولانِيِّ: أنّ أولَ ما وَصَّى اللهُ بِهِ آدمَ عندَ إهباطِه إلى الأرضِ بحفظِ فَرْجِه، أنْ لا يضَعَه إلا في حَلالٍ[2].

**وقولُه** ﷺ «**يحفَظْك**» يعني أنَّ مَنْ حَفِظَ حدودَ اللهِ وراعى حُقوقه حَفِظَه الله، فإنَّ الجزاءَ مِنْ جنسِ العَمَلِ كما قالَ تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]،

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في (الجواب الكافي) المعروف باسم «الداء والدواء» (ص: ٣٤٧) «وأمر تعالى نبيه ﷺ أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم، وحفظ فروجهم، وأن يُعلمهم أنه مشاهد لأعمالهم، مطلع عليها ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]

ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر: جعل الأمرَ بِغَضِّه مقدَّماً على حفظ الفَرْج، فإن الحوادث مبداها من النظر، كما أن معظم النار من مستصغرِ الشرر، فتكون نظرة، ثم خطرة، ثم خطوة، ثم خطيئة.

ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينَه: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات». اهـ.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر النساء بما أمر به الرجال من غضِّ البصر وحفظ الفَرْج، وزادَ أمرَهُنَّ أن ﴿لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

فإبداءُ المرأة زينتها منافٍ لمقصِد حفظ الفَرج وغضِّ البصر الذي أُمِرَ به الرجال والنساء سواءً.

(٢) لم أجد الأثر عن أبي إدريس رحمه الله، ولكن أخرج نحوه الطبراني في «الأوائل» (٢) مما رواه ليث بن أبي سُليم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفاً، ولفظه: «أول ما خلق الله من الإنسان فرجه، فلما تم خلقه قيل له: لا تنزله إلا في حِلِّه».

وأخرجه بألفاظ مقاربة نحوه: ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٧٥)، وفي «الورع» (١٣٣) والمروذي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥١٢).

وقالَ: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقالَ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وحِفْظُ الله تعالى لِعبدِهِ يتضمَّنُ نوعين:

أحدُهما حفظُهُ له في مصالحِ دُنياهُ كحِفْظِه في بَدَنِه ووَلَدِه وأَهلِه ومالِه[١].

وفي حديثِ ابنِ عُمَرَ قالَ: لَمْ يكنْ رسولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هؤلاءِ الدَّعواتِ حينَ يُمسِي وحينَ يُصبِح: «اللَّهمَّ إني أسألكَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ، اللَّهمَّ إني أسألكَ العفوَ والعافيةَ في دِيني ودُنياي[٢]، وأهلِي ومالِي، اللَّهمَّ استر عَورَاتي وآمِنْ رَوعاتي[٣]، واحفَظْنِي مْن بينِ يَدَيَّ ومِنْ خَلْفِي، وعَنْ يَميني وعَنْ شِمالي، ومِنْ فَوقي وأعوذُ بعظَمَتِكَ أنْ أُغتالَ مِنْ تحتي». خرَّجَهُ الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَهْ[٤].

وهذا الدُّعاءُ منتزعٌ ـ واللهُ أعلم ـ مِنْ قولِه عَزَّ وجَلَّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. قالَ ابنُ عباسٍ: همُ الملائكةُ يحفظونَه بأمرِ اللهِ، فإذا جاءَ القَدَرُ خَلَّوا عَنْه[٥].

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ: إنَّ مَعَ كلِّ رجلٍ مَلَكين يحفظانِه ممَّا لم يُقَدَّرْ، فإذَا جَاءَ القَدَرُ خَلَّيا بَيْنَه وبَيْنَه، وإنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ[٦].

---

(١) وسيأتي النوع الثاني بعد كلام طويل.

(٢) في (س): «ودنياي وآخرتي» واللفظة زائدة لا توجد في الحديث.

(٣) المثبت من (ش) و(س) موافقاً لمطبوع مسند الإمام أحمد، وفي (صل): «استر عوراتي، وآمن روعتي»، وفي (ف) و(ب): «استر عورتي، وآمن روعتي».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٤٧٨٥)، وأبو داود (٥٠٣٥)، والنسائي (١٠٣٢٥)، وابن ماجه (٣٨٧١).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٥٩)، والطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٤٥٨)، وابن أبي حاتم (١٢١٩٦)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٩٦٣).

(٦) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٤)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٦).

وقالَ مجاهِدٌ: ما مِنْ عَبْدٍ إلا لَه مَلَكٌ يحفظُه في نَومِه ويَقَظَتِه مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ والهوَّامِّ، فمَا مِنْ شيءٍ يأتِيه إلا قالَ: وراءَك، إلا شَيئاً أَذِنَ[1] اللهُ فيهِ فيصِيبُه[2].

ومِنْ حِفْظِ اللهِ للعبدِ أنْ يحفَظَه في صِحَّةِ بَدَنِه وقوَّتِه وعَقْلِه ومالِه.

## [فائدة: في أنَّ العالِمَ وجامعَ القرآنِ لا يخْرَفان][3]

قالَ بعضُ السَّلَف: العالِمُ لا يَخْرَف[4].

وقالَ بعضُهم: مَنْ جَمَعَ[5] القرآنَ مُتِّعَ بعَقْلِه[6].

---

(١) في (س): «قد أذن».

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٥). ومعنى وراءَك: ارجع وراءَك.... يقوله المَلَك لمن يقصد السوء بالعبد من جن أو إنس أو هوام...

(٣) ما بين معقوفين كتب على حاشية (صل)، وليس من صلب الكتاب، لكن أثبتناه تنبيهاً على تلك الفائدة.

(٤) سئل أبو حاتم الرازي ـ «علل الحديث» (٢٨٢١) ـ عن حديث رواه العلاء بن زَيدَل، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «إن العالم لا يخرف» فقال: العلاء ضعيف الحديث، متروك الحديث. قد وجدنا مَنْ يُنْسَب إلى العلم: المسعوديَّ، والجريري، وسعيد بن أبي عروبة، وعطاء بن السائب، وغيرَهم. اهـ. يريد أن هؤلاء قد اختلطوا وتغير حفظهم، وهذا يشكل على هذه الرواية التي لا تصح.
وينسب هذا القول: «إن العالم لا يخرف» لابن طاوس، كما في «العلل ومعرفة الرجال لأحمد» (٥٦٣)، وغيره كـ«حلية الأولياء» (٤/ ١٠). قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٣٨): فالمراد بكون العالِم لا يخرف أنه لا يصل إلى خرَف العوام من عود الكبير كالطفل في سائر أحواله، بل أقبح منه، فهذا هو الذي تصان عنه العلماء بالله.

(٥) في (س): «حفظ». مضبباً فوقها.

(٦) أخرجه ابن عدي في ترجمة رشدين بن سعد من «الكامل»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٤٥٩) وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه، ورِشْدين متكلَّم فيه، وقد ذكره المصنف في «شرح علل الترمذي» (١/ ٩٦) في المشتغلين بالتعبد الذين يترك حديثهم، لانشغالهم بالعبادة عن الحفظ، فكثر الوهم في حديثهم من رفع الموقوف ووصل المرسل. =

وتأوَّلَ بعضُهم على ذلكَ قولَه تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ - وهو أرذل العمر - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٥ - ٦][1].

وكانَ أبو الطَّيِّب الطَّبريُّ[2] قدْ جَاوَزَ المائةَ سنةٍ وهو مُمَتَّع[3] بعقلِه وقوَّته،

---

= تنبيه: مَنْ جَمعَ القرآن أي حَفِظه، بينه وبين العالِم عموم وخصوص من وجه، فمن العلماء من جمع القرآن، ومنهم من لم يجمع القرآن، وممن جمع القرآن من ليس بعالم. وعلى فرض صحة معنى الأثرين وإن لم يصح إسنادهما، فيكون للعلماء جملة حفظٌ عن الوصول إلى الخرف المزري ولو طرأ عليهم الاختلاط والتغير، كما حصل لبعض حفاظ الحديث، ويكون لمن جمع القرآن مزيَّة زائدة وهي أن يمتَّع بعقله، والأمر يحتاج إلى استقراء طبقات القراء، هل فيهم من تغيَّر بأخرة! والله تعالى أعلم.

(١) أخرج الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٨) من طريق عاصم الأحول عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قرأ القرآن لم يُردَّ إلى أرذل العمر، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال: الذين قرؤوا القرآن، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥١٣) ذلك من وجوه عن ابن عباس، وعن عكرمة من قوله، وإبراهيم، وقتادة.

(٢) هو الإمام الجليل أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري، القاضي، الشافعي، ولد سنة ٣٤٨، وتوفي ببغداد سنة ٤٥٠ رحمه الله تعالى عن مئة وسنتين. قال تلميذه الإمام أبو إسحاق الشيرازي: لم يختل عقله ولا تغير فهمه، يفتي مع الفقهاء ويستدرك عليهم الخطأ ويقضي ويشهد، ويحضر المواكب إلى أن مات. انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» للخطيب (٩/ ٧٤٥)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٥/ ١٢). ونقل الخطيب سؤال أبي بكر بن بكران الشامي القاضي، للقاضي أبي الطيب وقد عُمِّر: لقد مُتِّعت بجوارحك أيها الشيخ! فقال: ولم لا؟ وما عصيت الله بواحدة منها قط.

والقصة التي أوردها المصنف رحمه الله هنا نادرة عزيزة لا توجد في مظان ترجمة الإمام أبي الطيب بهذا السياق. وقد خلّط الوعاظ فيها كثيراً فلينتبه له.

(٣) في (ف): «المائة سنة» وفي (س): «المائة السنة» وفي (س): «متمتع».

فوَثَبَ يوماً مِنْ سفينةٍ كانَ فيها إلى الأرضِ وثبةً شديدةً، فعوتبَ في[1] ذلكَ، فقال: هذه جوارح حَفِظْناها عَن المعاصِي في الصِّغَر فحَفِظها اللهُ علينا في الكِبَر.

وعَكْسُ هذا: أنَّ الجُنيدَ رأى شَيْخاً يَسألُ النَّاسَ، فقالَ: إنَّ هذا ضَيَّعَ اللهَ في صِغَره فضيَّعَه اللهُ في كِبَره[2].

وقَدْ يحفظُ اللهُ العبدَ بصَلاحِه في وَلَده ووَلَدِ وَلَدِه كما قِيلَ في قولهِ تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] أنَّهما حُفِظَا بصَلاحِ أبيهِما[3].

قالَ[4] محمَّدُ بنُ المنكَدِر: إنَّ اللهَ ليحفَظُ بالرَّجُلِ الصَّالحِ وَلَدَه، وَوَلَدَ ولدِه، وقَرْيَته[5] التي هُو فيها، والدُّوياتِ التي حَوْلَها. فما يَزالونَ في حفظٍ مِنَ اللهِ وسترٍ[6].

---

(١) في (ف) و(س) و(ب): «على».

(٢) لم أجده عن الجنيد رحمه الله، وفي «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (ص: ٢٨٤) ذكرت القصة بهذا اللفظ عن محمد بن علي الكتاني رحمه الله. وفي الطبقات أيضاً (ص: ٣٦٩) من كلام أبي عبد الله التروغبذي محمد بن محمد بن الحسن: من ضيع أمر الله في صغره أذله الله في كبره.

(٣) جاء هنا لحقاً في (س)، ولا يوجد في سائر النسخ.

ومنه قولُ بعضِهم:

رأيتُ صلاح المرء يُصلح أهله ... ويُعديهم داءُ الفساد إذا فسدْ

ويشرفُ في الدنيا بفضل صلاحه ... ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

والبيتان لمحمود الوراق، كما في «الديباج» للختلي (١٣٥).

(٤) في (ف) و(س) و(ب): «وقال».

(٥) في (ش): «وتربته»، وهو تصحيف.

(٦) مدار هذا الأثر على محمد بن سوقة عن ابن المنكدر. روي عنه من ستة أوجه:

أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٠)، والحميدي في «مسنده» (٣٧٧)، وابن أبي شيبة (٣٦٥٦٤)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (٣٥٩)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٦٥). ولا ذكر للقرية عندهم. ولفظ كثير منهم: «إن الله يصلح بصلاح الرجل...». =

وقال ابنُ المسيّب لابنه: يا بُني لأزيدَنَّ في صَلاتي مِنْ أَجلِك، رجاءَ أنْ أُحفَظَ فيك، وتلا هذهِ الآيةَ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢][(١)].

وقالَ عُمر بنُ عبدِ العَزيز رحمهُ الله: ما مِنْ مؤمِن يموتُ إلا حَفِظَه اللهُ في عَقِبه وعَقبِ عَقِبه[(٢)].

وقالَ يحيى بنُ إسماعيلَ بنِ سَلَمةَ بنِ كُهَيل: كان لي أختٌ أَسنُّ مِنِّي، فاختَلَطَتْ، وذهبَ عقلُها، وتوحَّشَتْ، وكانتْ في غُرفةٍ في أقصى سُطُوحِنا فمكثَتْ بذلكَ[(٣)] بضعَ عشرةَ سنةً، [وكانتْ معَ ذهابِ عقلِها تحرِصُ على الطُّهورِ، وتتفقَّدُ الصَّلواتِ، وربما غُلِبتْ على عقلِها الأيامَ، فتحفظُ ذلكَ حتى تقضِيَهُ. قال][(٤)]: فبينا أنا نائمٌ ذاتَ ليلةٍ،

---

= وخالفه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي، وهو متروك، فرواه عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً. أخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤/ ٧٨). فلا يصح مرفوعاً.

(١) كتب ناسخ (س) في حاشيتها: «قصة عجيبة في معنى الحفظ بالصلاح». وفي (س): «إني لأزيدن». وهكذا وقع من الحافظ نسبة هذا إلى ابن المسيب، ولم أجده، وإنما وجدته عن سعيد بن جبير رحمه الله. أخرجه أبو نعُيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٧٩) من وجهين عنه. قال الراوي عن سعيد: رجاء أن يحفظ فيه.

(٢) أخرجه في ضمن قصة: ابن أبي الدنيا في «الاعتبار وأعقاب السرور» (٧١)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ٢٢٢) ولفظه: «ما من ميت يموت».

(٣) في (ش): «في ذلك».

(٤) ما بين معقوفين لا يوجد في كتاب الحافظ ابن رجب، وأضافه ناسخ (س) في حاشيتها، وكتب قبله: «وجدت هذه الزيادة في حكاية ذكرها ابن الجوزي في سيرة عمر». وهي موجودة في المصادر، وبإثباتها تكون العبرة من القصة أكبر.

إذا بابُ بيتي يُدَقُّ نِصفَ الليلِ، فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالتْ: كجَّةُ[١] فقلتُ: أُختي؟ قالت: أُختُك[٢]. ففتحتُ البابَ فدخلَتْ، ولا عهدَ لها بالبيتِ مِنْ[٣] أكثر من عشر سنين. [فقلتُ لها: يا أُختاه خير، قالت: خير. ][٤] فقالتْ: أُتيتُ الليلةَ في منامِي فقيلَ لي [السلامُ عليكِ يا بخة ـ كذا ـ فقلتُ: وعليكَ السلامُ، فقيلَ لي: ][٥] إنَّ اللهَ قدْ حَفِظَ أباكِ إسماعيلَ لسلمةَ جدِّك، وحفظكِ لأبيكِ إسماعيل، فإنْ شِئْتِ دعوتِ الله فأزال[٦] ما بِك، وإن شِئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، فإنَّ أبا بكر وعُمر قد شَفَعا لك إلى اللهِ عزَّ وجلَّ بحُبِّ أبيكِ وجدِّك إيَّاهُما، فقلتُ: فإذَا كانَ لا بُدَّ مِن اختيارِ أحدِهما، فالصَّبرَ على مَا أنا فيهِ[٧] والجنَّةَ، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لواسع لخَلقِه[٨] لا يتعاظَمُه شيءٌ، إنْ شاءَ أنْ يجمَعَهُما لي فَعَلَ. قالتْ فقيلَ لي: إنَّ الله تَعالى قد جَمَعهُما لكِ، ورضيَ عنْ أَبيكِ وجدِّكِ بحبِّهِما أبا بكرٍ وعُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما. قومِي فانزِلي، فأذهبَ اللهُ عز وجل ما كانَ بها[٩].

---

(١) اللفظة مهملة في (صل) وفي (ش): «كِجَّةُ»، وفي (ف) و(س): «كجه»، وفي حاشية (س) إشارة إلى نسخة: «بخة»، وكذلك أثبته محقق «تاريخ دمشق». وفي «القاموس»: كُجة: لعبة يأخذ الصبي خرقة فيدورها، كأنها كرة. والله أعلم بحقيقة الاسم وحقيقة معناه.

(٢) في حاشية (س): «قلت: لبيك».

(٣) المثبت من (ف)، وفي (س): «منذ»، وسقطت من (صل) و(ش) و(ب).

(٤) ما بين معقوفين زيادة من حاشية (س).

(٥) ما بين معقوفين زيادة من حاشية (س).

(٦) في (ف) و(ب): «فذهب»، وفي (س): «فأذهب».

(٧) «فيه» سقطت من (صل) و(ف) و(ب).

(٨) في (صل): «واسع لخلقه»، وفي (ف)، و(س) و(ب): «بخلقه».

(٩) في حاشية (س): «بلغ مقابلة». والأثر: أخرجه الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» (٦/ ١٨٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٣٥٥) من طبعة مجمع اللغة العربية، من طريق ابن حبيب في كتاب «عقلاء المجانين» (ص: ٢٩٤).

ومتى كانَ العبدُ مشتغِلاً بطاعةِ اللهِ عز وجل فإنَّ اللهَ تعالى يحفَظُه في تلكَ الحالِ، كما في مُسنَدِ الإمامِ أحمدَ، عَنْ حُميدِ بن هِلالٍ، عن رجلٍ قالَ: أتيتُ النبيَّ ﷺ فإذا هُو يُريني بَيتاً، فقال: «إنَّ امرأةً كانتْ فيهِ، فخرجَتْ في سَرِيَّةٍ منَ المسلمينَ، وتركتْ ثِنتي عَشرةَ عَنْزاً، وصِيْصِيَتَها كانتْ تنسجُ بها[١]، قال: ففقَدَتْ عَنزاً لها، وصِيْصِيَتَها، فقالت: يا ربِّ إنَّكَ قدْ ضَمِنْتَ لمنَ خرجَ في سبيلكَ أنْ تحفظَ عليهِ، وإنِّي قدْ فقدتُ عَنْزاً مِنْ غَنمي[٢] وصِيْصِيَتي، وإني أَنشُدُكَ عَنْزِي وصِيْصِيَتي». قالَ: فجعلَ رسولُ اللهِ ﷺ يذكرُ شِدَّةَ مناشَدَتِها ربَّها[٣] تبارك وتعالى. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «فأصبَحَتْ عنزُها ومثلُها، وصِيْصِيَتُها ومثلُها، وهاتِيكَ فأتِها إنْ شئتَ». قال: قُلْتُ بلْ أُصَدِّقُكَ[٤].

وكانَ شيبانُ الرَّاعي يرعى غَنَمه[٥] في البرِّيَّةِ، فإذا جاءَت الجمعةُ خَطَّ عليها خَطًّا، وذهبَ إلى الجُمعةِ ثم يَرْجِعُ وهي كما تَركها[٦].

وكانَ بعضُ السَّلف في يدِهِ الميزانُ يزنُ بها دراهِمَ، فسمعَ الأذانَ فنهضَ،

---

(١) في (صل): «التي كانت تنسج بها، وهي السنارة التي كانت تغزل بها وتنسج». وهي لا توجد في «المسند» ولا توجد في سائر النسخ، ولعل الناسخ أدرجها من حاشية للشرح. وفي حاشية (ف): «وهي الصنارة التي يُغزل بها، وشوك الحائك يسوي بها السداة واللحمة، ومنه: صيصية الديك في رجله. راموز».

(٢) في (صل): «أعنزي».

(٣) في (س): «لربها».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٦٦٤) من حديث رجل من الطُّفاوَة رضي الله عنه.

(٥) في (ف) و(ب): «غنماً».

(٦) ذكر القصة قوام السنة أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني في كتابه «سير السلف الصالحين» (ص: ١٠١٥). وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٧).

ونَفَضَها على الأرضِ، وذهبَ إلى الصَّلاةِ فلمَّا عادَ جَمَعَها فلم يذهبْ منها شيءٌ[١].

ومِنْ أنواعِ حفظِ اللهِ لمَنْ حَفِظَه في دُنياه: أنْ يحفَظَه مِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ يريدُه بأذى مِنَ الجِنِّ والإِنْس[٢]، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]. قالتْ عائشةُ رضي اللهُ عنها: يكفيهِ غَمَّ الدُّنيا وهمَّها[٣].

وقالَ الربيعُ بن خُثَيم: يجعلُ لهُ مخرَجاً مِنْ كُلِّ ما ضَاقَ على النَّاسِ[٤].

وكتبتْ عائِشَةُ رضي الله عنها إلى مُعاويةَ: إن اتقيتَ اللهَ كفَاكَ النَّاسَ، وإن اتقيتَ الناسَ لم يُغنوا عنكَ مِنَ اللهِ شَيئاً[٥].

وكتبَ بعضُ الخلفاءِ إلى الحَكمِ بنِ عمروٍ الغِفارِيِّ كتاباً يأمرُهُ فيهِ بأمرٍ يخالِفُ كتابَ اللهِ، فكتبَ إليه الحَكَمُ: إنِّي نظرتُ في كتابِ اللهِ فوجدتُه قبلَ كتابِ أميرِ المؤمنين، وإنَّ السماواتِ والأرضَ لو كانتا رَتْقاً على امرئٍ فاتَّقى اللهَ عزَّ وجَلَّ جعلَ اللهُ له مَخْرجاً، والسلام[٦]. وأنشد بعضهم في هذا المعنى:

---

(١) لم أقف عليه عند غير المصنف. وفي حاشية (س): «بلغ مقابلة».

(٢) في حاشية (س): «الجنة والناس».

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ٥٤٢) إلى ابن أبي حاتم في «تفسيره».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٧٧٩).

(٥) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٩١)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥٥٠)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٥٤). وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٨٦٧) وأبو داود في «الزهد» (٣٢٠).

(٦) الحكم بن عمرو الغفاري، صحابي جليل، استعمله زياد بن أبيه على خراسان. والخبر في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٢٨)، وفي «الكامل» لابن عدي في ترجمة (أوس بن عبد الله بن بريدة).

بتَقْـوى الإلـهِ نَجَـا مَـنْ نَجا ... وفـازَ وَصَـارَ إلـى مَـا رَجـا
ومَـنْ يتـقِ اللهَ يجعـلْ لـهُ ... كمـا قَـالَ مِـنْ أمـرهِ مَخْرَجـا
ويرزقْـه مِنْ حيـثُ لا يحتَسِـبْ ... وإنْ ضَـاقَ أَمـرٌ بـه فَرَّجـا[1]

وكتبَ بعضُ السَّلفِ إلى أخيهِ: أما بعدُ: فإنَّه مَن اتقى اللهَ فقدْ حَفِظَ نفسَه، ومنْ ضيَّعَ تقواهُ فقَدْ ضيَّعْ نفسَه، واللهُ الغنيُّ عنه[2].

ومِنْ عجيبِ حِفْظِ اللهِ تعالى لِمَنْ حَفِظَه[3]: أنْ يجعلَ الحيواناتِ المؤذيةَ بالطَّبْعِ حافظةً لهُ مِنَ الأذى وساعيةً في مَصَالحه، كما جَرَى لسفينةَ مولى النبيِّ ﷺ حيثُ كُسِرَ بهِ المركبُ، وخَرجَ إلى جزيرةٍ فرأى السَّبُعَ، فقال له: يا أبا الحارثِ أنا سفينةُ مولى رسول الله ﷺ فجعلَ يمشِي حولَه، ويدلُّه على الطَّريقِ حتى أوقعه[4] عليها، ثم جعلَ يُهَمْهِمُ كأنَّه يودِّعُه وانصرفَ عنْهُ[5].

---

(١) أنشد البيتين الأولين: ابنُ جميع الصيداوي في «معجم الشيوخ» (ص: ١٨١)، لأبي العتاهية، وفي «تاريخ أربل» لابن المستوفي (١/ ٢٤٣) نسبهما إلى المستنجد أمير المؤمنين. والبيت الثالث ليس في النسخ إلا في حاشية (ف) وحدها.

(٢) لم أقف عليه عند غير المصنف.

(٣) في حاشية (ف): «عجيب».

(٤) في (ف) و(س) و(ب): «أوقفه».

(٥) مدار الحديث على محمد بن المنكدر عن سفينة رضي الله عنه. ولعله لم يدركه (انظر ترجمة محمد بن المنكدر في «تهذيب التهذيب»، لابن حجر). رواه عنه:

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعنه أسامة بن زيد الليثي مولاهم المدني. ورواه عن أسامة جماعة منهم:

ـ عبيد الله بن موسى فأسقط من السند محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان. أخرجه الروياني في «مسنده» (٦٦٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٤٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٨) =

وكانَ أبو إبراهيمَ السَّايحُ قَدْ مَرِضَ في بَرِّيَّةٍ بقرب دَيْر، فقالَ: لو كنتُ عندَ [باب][1] الدَّيرِ لنزلَ الرُّهبانُ فعالَجُوني، فجاءَ السَّبُعُ فاحتَمَلَهُ على ظَهْره حتى وَضَعَهُ على بابِ الدَّيرِ فرآهُ الرُّهبانُ، فأسلَمُوا وكانُوا أربعَ مئةِ راهبٍ[2].

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ نائِماً في بُستانٍ وعندَهُ حيَّةٌ في فَمها طاقَةُ نَرْجِسٍ، فما زالتْ تَذُبُّ عنهُ حتى استيقَظَ[3].

---

= وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٦٩)، وفي «معرفة الصحابة» (٣٥١٠)، وفي «دلائل النبوة» (٥٣٥).

ـ وابن وهب، أخرجه الطبراني (٦٤٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٠٦) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٥).

ـ وعثمان بن عمر، وأسقط من السند محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان. أخرجه البزار (٣٨٣٨)، وأبو يعلى في «المفاريد» (ص: ٦٠٤)، وابن منده في «معرفة الصحابة» كما في «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٤٥٠).

ـ وجعفر بن عون. أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (ص: ٣١٦)، وفي «دلائل النبوة» (٦/ ٤٥).

ورواه عن ابن المنكدر: سعيد بن عبد الرحمن الجحشي، وعنه: معمر. أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٦)، واللالكائي في «الكرامات» (١١٤). وتصحّف فيهما الجحشي إلى الحجبي!! وسرى ذلك إلى المراجع، فلينتبه له.

ورواه عن ابن المنكدر: عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة. أخرجه أبو القاسم البغوي كما في «تهذيب الكمال» (٥/ ٤٥٠).

فائدة: ورواه عن سفينة رضي الله عنه: أبو ريحانة مختصراً، أخرجه البغوي كما في «البداية والنهاية»، لابن كثير (٥/ ٤٥٠).

(١) لا توجد في (صل) و(ش).

(٢) حَدَّث أبو إبراهيم بقصته إمام المسلمين أحمد بن حنبل كما في «طبقات الحنابلة»، لابن أبي يعلى (٢/ ١٨).

(٣) في حاشية (ف): «أعجب» وقد كتب قبلًا: «عجيب». وفي (س): «تذب عنه الذباب»، وليست في =

فَمَنْ حَفِظَ اللهَ حَفِظَهُ اللهُ مِنَ الحيواناتِ المؤذيةِ بالطَّبْعِ، وجعلَ تلكَ الحيواناتِ حافِظَةً له، ومَنْ ضَيَّعَ اللهَ ضَيَّعَهُ اللهُ، فضَاعَ[١] بين خَلْقِه، حتى يدخُلَ عليه الضَّررُ ممَّنْ كانَ يرجُو[٢] أنَّه ينفَعُه، ويصيرُ أخصُّ أهلِه بهِ وأرفقُهُم به يؤذِيهِ، كما قَالَ بعضُهم: إنِّي لأعصِي اللهَ فأعرِفُ ذلكَ في خُلُقِ خَادِمي وحمارِي[٣]، يعني أنَّ خادِمَه يسوءُ خلُقُه عليه، ولا يُطِيْعُه، وحِمَارُه يستَعْصِي عليهِ فلا يواتِيْهِ لرُكُوبِه.

فالخيرُ كلُّه مجموعٌ في طاعَةِ اللهِ، والإقبالِ عليه، والشَّرُّ كلُّه مجموعٌ في مَعْصِيَتِهِ والإعْرَاضِ عنه.

قالَ بعضُ العَارفينَ: مَنْ فارقَ سُدَّةَ سَيِّدِهِ لم يَجِدْ لقَدَميهِ قَراراً أبَداً[٤].

وقال بعضهم[٥]:

واللهِ مـــا جِئْـتُـكـــمُ زائِـــراً ... إلا وجـدتُ الأرضَ تُطوى لي

ولا ثَنيـتُ العـزمَ عـن بابِكُـم ... إلا تَـعَـثَّـــرتُ بأذْيالـــي[٦]

---

= النسخ ولا في المصادر. والأثر أخرجه اللالكائي في «الكرامات» (٢٢٢)، والخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (١٠٨)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣١٨).

(١) في (س): «فضاع من».

(٢) في (ف) و(س): «بشيء ممن كان يرجو».

(٣) هو من كلام الإمام الجليل الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى. أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٣٨٣).

(٤) لم أقف عليه عند غير المصنف.

(٥) في (ش) و(ف): «شعر»، وفي (س): «كما قيل».

(٦) البيتان للمرتضى عبد الله ابن الشهرزوري الموصلي، كما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٥٢)، و«بغية الطلب» لابن العديم (١٠/ ٤٤٩١)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ٥٨). وأوردهما ابن القيم في عدد من كتبه دون ذكر قائلهما. =

**النوعُ الثاني مِنَ الحِفْظِ وهُو أشرفهما وأفضلُهما: حِفْظُ اللهِ تعالى لعبده في دِينِه**، فيحفَظُ عليهِ دينَه وإيمانَه في حياتِه مِنَ الشُّبُهاتِ المُرْدِيَةِ، والبدَعِ المُضِلَّةِ، والشَّهواتِ المحرَّمةِ، ويحفظُ عليه دينَه عندَ موتِه فيتوفَّاه على الإسلامِ.

قالَ الحَكَمُ بنُ أبان، عن أبي مَكِين[1]: إذا حَضَرَ الرجلَ الموتُ، يقال للمَلَك: شُمَّ[2] رأسَه قال: أجدُ في رأسِهِ القرآنَ. قال: شُمَّ قلبَه. قال: أجدُ في قلبِه الصِّيامَ. قال: شُمَّ قدَميه. قال: أجدُ في قَدَميه القِيامَ. قال: حَفِظَ نفسَه فحفِظَه اللهُ عزَّ وجلَّ. خَرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا[3].

وقَدْ ثبتَ في الصَّحيحين في[4] حديثِ البَراءِ بن عَازِبٍ أنَّ النبيَّ ﷺ علَّمَه أنْ يقولَ عِندَ منامِه: «إنْ قَبَضْتَ[5] نفسِي فارْحَمْها، وإنْ أرسَلْتَها فاحفَظْها بما تحفَظُ بِهِ عبادَكَ الصَّالحين»[6].

---

= وفي هامش (ب) بخط مغاير زيادة بعدهما:

[بـالله فاعفـوا واصفحـوا واجبروا كـسري فحـالي بكـم حـالي].

(١) في (ف) و(س): «مكي» وهو خطأ، وأبو مكين هو نوح بن ربيعة الأنصاري البصري، من أتباع التابعين، رحمه الله تعالى.

(٢) في حاشية (ف): «أمر حاضر» يعني هو فعل أمر للمخاطب. وضبطه في (ف) بالوجوه الثلاثة.

(٣) لم أجده في مصنفات ابن أبي الدنيا، وأورده المصنف في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٦٨) و«لطائف المعارف» (المجلس الثاني من وظائف شهر رمضان) من غير عزو.

وأورده السيوطي في «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» (٤٩) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا أيضاً. وتصحفت فيه «مكين» إلى «بكرة»!

(٤) في (س): «من».

(٥) في (ف)، و(س) و(ب): «اللهم إن قبضت».

(٦) لا يوجد لفظ «قبضت» في الصحيحين، وليس هو من حديث البراء، وإنما أخرج البخاري (٦٣٢٠) ومسلم (٢٧١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، =

وفي حديثِ عُمرَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه علَّمه أنْ يقولَ: «اللهمَّ احفَظْني بالإسلامِ قائِماً، واحفَظْني بالإسلامِ قاعِداً، واحفَظْني بالإسلامِ راقِداً، ولا تُطِعْ فيَّ عَدُوًّا ولا حاسِداً» خَرَّجَهُ ابنُ حبَّانَ في صَحِيحِه[١].

وكانَ النبيُّ ﷺ إذا وَدَّعَ[٢] مَنْ يريدُ السَّفَر يقولُ له: «أستودِعُ اللهَ دينَكَ وأمانَتَكَ وخواتيمَ عَمَلِكَ»[٣].

وفي رواية: «وكانَ يقولُ: إنَّ اللهَ إذا استُودِعَ شيئاً حَفِظَه». خَرَّجَهُ النَّسائيُّ وغيرُه[٤].

وخَرَّجَ الطبرانيُّ حديثاً مرفوعاً: إنَّ العبدَ إذا صَلَّى الصَّلاةَ على وجهِها صعدتْ إلى اللهِ ولها برُهانٌ كبُرهانِ الشَّمْسِ، وتقولُ لصاحِبِها: «حَفِظَكَ اللهُ كما حَفِظْتَني»، وإذا ضَيَّعها لُفَّتْ كمَا يُلَفُّ الثوبُ الخَلَقُ ثم ضُرِبَ[٥] بها وجهُ صاحِبِها، وتقولُ له: «ضيَّعكَ اللهُ كما ضيَّعتَني»[٦].

وكانَ عُمرُ رضي الله عنه يقولُ في خُطبتِه: اللَّهمَّ اعصِمْنا بحفْظِكَ، وثبِّتنا على أَمْرِك[٧].

---

= إن أمسكت نفسي فأرحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «إن أمسكت نفسي فاغفر لها».

(١) صحيح ابن حبان (٩٣٤) ولفظه: «عدواً حاسداً».

(٢) هنا تبتدئ النسخة التونسية (ت).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٩٣)، والترمذي (٣٤٤٣) وقال: حسن صحيح غريب، من هذا الوجه من حديث سالم، والنسائي (٨٧٥٥)، وابن ماجه (٢٨٢٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) ذكره رسول الله ﷺ من كلام لقمان الحكيم عليه السلام. أخرجه النسائي (١٠٢٧٣).

(٥) في (ت) و(ف) و(س): «يُضرب».

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٠٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٤) لكن لفظه: «أعصمنا بحبلك».

ودَعا رجلٌ لبعضِ السَّلَفِ بأنْ يحفَظَه الله، فقالَ له: يا أَخِي لا تَسْأَلْ عِنْ حِفْظِه، ولكنْ قُلْ يحفظُ[١] الإيمانَ[٢].

يعني أَنَّ المُهِمَّ هو الدُّعاءُ بحفْظِ الدِّينِ، فإنَّ الحفْظَ الدُّنيَوِيَّ قدْ يَشْتَرِكُ فيه البَرُّ والفَاجِرُ.

فاللهُ تعالى يحفَظُ على المؤمنِ دينَه، ويحُولُ بينَه وبينَ ما يُفْسِدُه عليه، بأسبابٍ قدْ لا يَشْعُرُ العبدُ ببعَضِها، وقدْ يكونُ يكرَهُه، وهذا كمَا حَفِظَ يوسُفَ عليه السَّلام. قالَ تعالى ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فمَنْ أخلَصَ للهِ خَلَّصَهُ اللهُ مِنَ السُّوءِ والفَحشاءِ وعَصَمَه مِنها مِنْ حيثُ لا يَشعُر، وحالَ بينَه وبينَ أسبابِ المعاصي المُهْلِكةِ، كمَا رأى معروفٌ الكَرْخِيُّ شَباباً يتهيؤُونَ للخروجِ إلى القِتالِ في فتنةٍ، فقال: اللَّهمَّ احفظْهُم، فقيل له: تدعُو لهؤلاءِ؟! فقالَ: إنْ حَفِظَهمُ لمْ يخرجُوا إلى ما أرادوا[٣].

وسَمِعَ عُمرُ رضي الله عنه رجلاً يقولُ: اللَّهم إنَّكَ تحولُ بين المرءِ وقَلْبِه، فحُلْ بيني وبيَن معاصِيك، فأَعجَبَ ذلكَ عُمرَ، وَدَعَا له بخيرٍ[٤].

ورُوي عن ابنِ عبَّاسٍ في قولِهِ تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]. قالَ: يحولُ بينَ المؤمنِ وبينَ المعصِيةِ التي تَجُرُّه إلى النَّارِ[٥].

---

(١) في (ت): «بِحفظ» في (س): «يحفظ الله».

(٢) لم أجده عند غير المصنف.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٥) وفي (ت) و(ف): «لم يخرجوا إلى القتال» وفي (س): «إن حفظهم الله لم يخرجوا إلى القتال».

(٤) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «الزهد» (٥٩٥).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» سورة الأنفال، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢٦٥)، وليس عندهما: «التي تجره إلى النار».

حَجَّ بعضُ المتقدِّمينَ، فباتَ بمكةَ مع قومٍ، فهَمَّ بمعصيةٍ، فسمعَ هاتِفاً يهتِفُ يقولُ: ويلَكَ ألَمْ تَحُجَّ؟! فعَصَمَه اللهُ ممَّا هَمَّ به[١].

وخَرجَ بعضُهم مع رِفقَةٍ إلى مَعْصِيةٍ، فلما هَمَّ بمُواقَعَتِها هَتَفَ به هاتفٌ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] فترَكَها[٢].

وَدَخَلَ رجلٌ غَيْضَةً ذاتَ شجرٍ، فقالَ: لو خلوتُ هاهُنا بمعصيةٍ مَنْ كانَ يرانِي؟ فسمِعَ صَوتاً ملأَ ما بينَ حافتي[٣] الغَيضَةِ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤][٤].

وهَمَّ رجلٌ بمعصيةٍ فخرجَ إليها، فمَرَّ في طريقِهِ بقَاصٍّ يقُصُّ على النَّاسِ، فوقفَ على حلقَتِه، فسمعَهُ يقول: أيُّها الهامُّ بالمعصيةِ، أما عَلِمْتَ أنَّ الله خالقَ الهِمَّةِ مطَّلعٌ على هِمَّتِكَ؟! فوقَعَ مَغْشِيًّا عليه، فما أفاقَ إلا عَنْ تَوبةٍ[٥].

كانَ بعضُ الملوكِ الصَّالحينَ قدْ تعلَّقَ قلبُه بمملُوكٍ لهُ جميلٍ، فخَشِيَ على

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا من كلام محمد بن مخلد رحمه الله في «هواتف الجنان» (١٧٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «هواتف الجنان» (٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٣٥) وكانت سبب توبة عمرو بن جرير رحمه الله. «فتركها» من (ف) و(س) ولا توجد في (صل) و(ش).

(٣) تصحفت في (صل) و(ش) و(ت) و(ف) و(ب) إلى: «غابتي»، والمثبت من (س). وفي «اعتلال القلوب»: «لابتي».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «هواتف الجنان» (٢٧)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٨١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٦٤) من كلام رزين أبي أسماء رحمه الله.

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٤١٣) من طريق ابن أبي الدنيا، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٣٠١) من كلام عمرو بن جرير، والقاص هو أبو طالب القاص رحمه الله تعالى.

نَفْسِه فقامَ ليلةً، واستغاثَ الله[١]، فمرضَ المملوكُ من ليلَتِه، وماتَ بعدَ ثلاثٍ[٢].

ومنهُم مَنْ عُصِمَ[٣] بموعظةٍ جرتْ على لسانِ مَنْ أرادَ منهُ الموافقةَ على المعصيةِ كما جرى لأحدِ الثَّلاثةِ الذينَ دخَلُوا الغارَ، وانطبقتْ عليهمُ الصَّخرةُ. فإنَّه لما جَلَسَ مِنْ تلكَ المرأةِ مجلِسَ الرَّجلِ من امرأتِهِ قالتْ له: يا عبدَ اللهِ اتقِ الله ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقِّه، فقامَ عنها[٤].

وكذلكَ: الكِفْلُ مِنْ بني إسرائيلَ، كانَ لا يتورَّعُ عن معصيةٍ فأعجبتْهُ امرأةٌ، فأعطاها ستينَ دِيناراً، فلمَّا قعدَ منها مَقْعدَ الرَّجلِ من امرأتِه ارتَعَدَتْ، فقال: أكرهتُكِ؟! قالت: لا، ولكن هذا عملٌ ما عَمِلتُه قَطُّ، وإنَّما حملني[٥] عليه الحاجَةُ. فقال: تخافينَ اللهَ ولا أخافُه! ثمَّ قامَ عنها، ووهَبَ لها الدنانيرَ، وقالَ: واللهِ لا يعصي اللهَ الكِفْلُ أبداً، وماتَ منْ ليلَتِه، فأصبحَ مكتُوباً على بابِهِ: قَدْ غَفَرَ اللهُ للكِفْلِ. خَرَّجَ الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ حديثَه هذا[٦]، منْ حديثِ ابنِ عُمَر مرفوعاً[٧].

ورَاوَدَ رَجُلٌ امْرأةً عن نَفْسِها، وأمرَها بغَلْقِ[٨] الأبوابِ، ففعلتْ، وقالت له: قدْ

---

(١) في حاشية (ش): «واستغاث إلى الله».

(٢) لم أجد القصة عند غير المصنف.

(٣) في (س): «عَصَم نفسَه».

(٤) حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار حديث مشهور من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في مواضع منها (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٥) في (ش) و(س): «حملتني».

(٦) في (ش): «خرجه أحمد والترمذي».

(٧) أخرجه الإمام أحمد (٤٧٤٧)، والترمذي (٢٤٩٦)، وقال: هذا حديث حسن. ولا يلتبِسَنَّ الكفل هذا بالنبي ذي الكفل عليه السلام، فإنه نبي معصوم.

(٨) في (صل): «تغلق».

بقِيَ بابٌ واحدٌ. قال: وأيُّ بابٍ هو؟ قالتْ: البابُ الذي بيننَا وبينَ اللهِ عزَّ وجَلّ، فلم يتعرَّضْ[١] لها[٢].

وراودَ رجلٌ أعرابيةً، وقال لها: ما يَرانا إلا الكواكبُ. قالت: فأينَ مُكوكِبُها[٣]؟!

وهذا كلُّه مِنْ ألطافِ اللهِ تعالى وحيلولَته بينَ العبدِ وبينَ معصِيَته.

قالَ الحسنُ ـ وذكرَ أهلَ المعاصي[٤] ـ: هانُوا عليهِ فعَصَوه، ولو عَزُّوا عليه لعَصَمَهُم[٥].

وقالَ بِشْرٌ: ما أَصَرَّ على معصيةِ اللهِ كريمٌ، ولا آثرَ الدُّنيا على الآخرةِ حكِيمٌ[٦].

ومِنْ أنواعِ حِفْظِ اللهِ لعبدِهِ في دِينه: أنَّ العبدَ قدْ يَسْعى في سببٍ مِنْ أسبابِ الدُّنيا، إمَّا الولاياتِ أو التجاراتِ أو غير ذلك، فيحولُ اللهُ بينَه وبينَ ما

---

(١) في (صل): «يعترض»، وفي (ت) و(ف) و(ب): «يعرض».

(٢) أخرجه التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/ ٣٥٥)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٨٥).

(٣) أخرجه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٨٣)، ونحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٢) (٨٥٣). وغيرهما.

(٤) «فقال»: زيادة من (س).

(٥) ذكره ابن الجوزي عن الحسن في «ذم الهوى» (ص: ١٨٤)، وذكره ابن الجوزي أيضاً في ترجمة الخليفة القادر بالله العباسي من «المنتظم» (١٤/ ٣٥٦) حيث نسبه الخليفة إلى الحسن. لكن أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦١)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٣٦) من كلام أبي سليمان، ولفظه: «... ولو كرموا عليه لمنعهم منها».

وفي «الإبانة» لابن بطة (١٩٤٥) هو من كلام يحيى بن معاذ الرازي، ولفظه: «... ولو كرموا عليه لأطاعوه».

(٦) في (صل): «ما اجترأ». والأثر لم أجده عند غير المصنف.

أرادَه لما يعلَمُ له في ذلك مِنَ الخِيرةِ[١]، وهُو لا يشعرُ، مع كراهيتِه[٢] لذلك.

قال ابنُ مسعودٍ: إنَّ العبدَ ليهُمُّ بالأمرِ منَ التِّجارةِ والإمارةِ، حتى يتيسَّرَ[٣] له، فينظرُ اللهُ إليهِ، فيقولُ للملائكةِ: اصرِفُوه عَنْه، فإنِّي إنْ يَسَّرتُه لهُ أدخلْتُه النَّارَ، فيصرفُه اللهُ عنْه، فيظَلُّ يتطيَّرُ، يقولُ سَبَقني فلانٌ، دهاني فُلانٌ، وما هو إلا فَضْلُ اللهِ عزَّ وجَلَّ[٤].

وأَعجبُ مِنْ هذا أنَّ العبدَ قد يَطْلبُ باباً من أبوابِ الطَّاعاتِ، ولا يكونُ له فيه خِيرةٌ، فيحولُ اللهُ بينَه وبينه صيانةً له، وهو لا يَشْعُر.

وخَرَّجَ الطبرانيُّ وغيرُه مِنْ حديثِ أنسٍ مرفوعاً، يقول اللهُ عزَّ وجل: «إنَّ مِنْ عِبادي مَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَه إلا الفقرُ، وإنْ بسطتُ عليهِ أفسَدَه ذلك، وإنَّ مِنْ عِبادي مَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَه إلا الغِنى، ولو أَفْقَرتُه[٥] لأفسَدَه ذلكَ، وإنَّ مِنْ عبادي مَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَه إلا الصِّحةُ، ولو أسقَمْتُه لأفسَدَه ذلك، وإنَّ مِنْ عِبادي مَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَه إلا السَّقَم، ولو أَصحَحْتُه لأفسَدَه ذلك، وإنَّ مِنْ عبادِي مَنْ يطلُبُ باباً مِن العِبادة، فأكفُّه عنه لكي لا يدخُلَه العُجْبُ، إنِّي أُدبِّر عبادِي بِعلْمِي بما في قُلُوبهم، إنِّي عليمٌ خبيرٌ»[٦].

---

(١) في (ت) و(ف) و(س) و(ب): «من الخيرة في ذلك».

(٢) من (صل)، وفي سائر النسخ: «كراهته».

(٣) من (صل)، وفي سائر النسخ: «ييسر».

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٢١٩).

(٥) في (س): «إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته».

(٦) لم أجد هذا الحديث في معاجم الطبراني ولا في «مسند الشامين»! وإنما أخرجه بطوله ابن أبي =

كانَ بعضُ المتقدمينَ يَكثِرُ سؤالَ الشَّهادةِ، فهَتَفَ به هاتفٌ: إنَّكَ إنْ غَزَوتَ أُسِرْتَ، وإنْ أُسِرتَ تَنَصَّرتَ، فكفَّ عَنْ سُؤالِهِ(١).

وفي الجُملة: فَمَنْ حَفِظَ حدودَ اللهِ، وراعَى حقوقَه، تولَّى اللهُ حِفظَه في أُمورِ دينِهِ ودُنياه، وفي دنياه وآخرَته، وقدْ أخبرَ اللهُ تعالى في كِتابِه أنَّه وليُّ المؤمنينَ. وأنَّه يتولَّى الصَّالحين، وذلكَ يتضمَّنُ أنَّه يتولى مصالِحَهم في الدُّنيا والآخرة، ولا يَكِلُهُم إلى غيرِهِ. وقالَ تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقالَ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، وقالَ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقالَ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] فَمَنْ قامَ بحقوقِ اللهِ عليه فإنَّ اللهَ يتكفَّلُ لهُ بالقيامِ بجميعِ مصالحِهِ في الدُّنيا والآخرةِ، فمَنْ أرادَ أنْ يتولَّى اللهُ حفظَه ورعايَتَه في أُمورِه كلِّها فليراعِ حُقوقَ اللهِ عليه، ومَنْ أرادَ ألا يُصِيبَه شيءٌ مما يكرَهُ فلا يأتِ شَيئًا مما يكرَهُه اللهُ مِنْه.

---

= الدنيا في «الأولياء» (١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٣١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٩٦).

ومداره على الحسن بن يحيى الخشني، عن صدقة بن عبد الله الدمشقي، عن هشام الكناني، عن أنس.

قال المصنف رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» ـ وقد عزاه للطبراني ـ «والخشني وصدقة ضعيفان، وهشام لا يُعرف، وسئل ابن معين عن هشام هذا: من هو؟ قال: لا أحد يعني أنه لا يُعتبر به».

(١) ذكره ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (ص: ٨٣)، و(ص: ١٧١) عن بعض السلف.

ونقل ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٣٩٤) عن الفضيل بن عياض رحمه الله قوله: «استخيروا الله ولا تخيروا عليه، فكم من عبد تخير لنفسه أمراً كان هلاكه فيه، أما رأيتموه سأل ربّه طرسوسَ فأعطيها، فأسر فصار نصرانياً».

كانَ بعضُ السَّلفِ يدورُ على المجالسِ، ويقولُ: مَنْ أحبَّ أنْ تدومَ له العافيةُ فليتقِ اللهَ [تعالى][1].

وقالَ العُمَريُّ الزاهدُ لمنْ طلبَ منهُ الوصيَّةَ: كما تُحبُّ أنْ يكونَ اللهُ لكَ فكُنْ للهِ عزَّ وجلَّ[2].

وقالَ صالحُ بنُ عبدِ الكريمِ: يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: وعِزَّتي وجلالي لا أُطَّلِعُ على قلبِ عبدٍ أعلمُ أنَّ الغالِبَ عليه حُبُّ التَّمَسُّكِ بطاعتي إلا وَلَيْتُ سياسَتَه وتقويمَه[3].

وفي بعضِ الكُتُبِ المتقدِّمةِ: يقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ابنَ آدمَ، لا تُعَنِّني من يُصْلِحُك، ابنَ آدمَ اتقني ونَمْ حيثُ شئتَ[4].

والمعنى: أنَّك إذا قُمتَ بما عليكَ للهِ منْ حقوقِ التَّقوى فلا تهتمَّ بعدَ ذلكَ بمصالِحكَ، فإنَّ اللهَ هو أعلَمُ بها مِنْكَ، وهو يوصِلُها إليكَ على أتمِّ الوجوهِ من غيرِ اهتمامٍ منكَ بها.

وفي حديثِ جابرٍ عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ كانَ يحِبُّ أنْ يعلَمَ منزلَتَه عندَ اللهِ، فلينظُرْ كيفَ منزلةُ اللهِ عندَه، فإنَّ اللهَ يُنزِلُ العبدَ منهُ حيثُ أنزَلَه مِنْ نفسِه»[5].

---

(١) أورده ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (ص: ٣١).

(٢) المثبت من (صل)، وفي سائر النسخ: «فهكذا كن لله». والأثر أخرجه ابن أبي الدنيا في «الورع» (٢٣)، ولفظه: «كما تحب أن يكون الله لك غداً فكن له اليوم».

(٣) أخرجه ابن قدامة المقدسي في «المتحابين في الله» (٥٤). وصالح بن عبد الكريم بغدادي عابد توفي سنة ٢٠٨ رحمه الله تعالى، مترجم في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٤٢٤). والأثر كأنه إسرائيلي.

(٤) أورده قوام السنة في «سير السلف الصالحين» (ص: ٩٥٠) في أصول منه ـ وليس عنده الجملة الأخيرة ـ مما قرأه وهب بن منبه رحمه الله.

(٥) أخرجه الحاكم (١/ ٩٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه غيره: كأبي يعلى (١٨٦٥) =

فهذا يدلُّ على أنَّه على قَدْرِ اهتمامِ العبدِ بحقوقِ اللهِ وبأداءِ حقوقه، ومراعاةِ حدودِه، واعتنائِه بذلكَ، وحفظِه له، يكونُ اعتناءُ ربِّه به وحفظُه له، فمَنْ كانَ غايةَ هَمِّه رضَا اللهِ عنه وطلبُ قُربه ومعرفَتِه ومحبَّته وخدمَته فإنَّ اللهَ يكونُ له على حَسْبِ ذلك، كما قالَ تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، بل هو سبحانَه أكرمُ الأكرمين، فهو يُجازي بالحسنةِ عَشْراً ويزيدُ، ومَنْ تقرَّبَ منه شِبراً تقرَّبَ منه ذِراعاً، ومَنْ تقرَّبَ منه ذِراعاً تقرَّبَ مِنْه بَاعاً، ومَنْ أتاهُ يمشِي أتاهُ هرولةً[١]، فما يُؤتى الإنسانُ إلا مِنْ قِبلَ نفسِه، ولا يُصيبُه المكروهُ إلا مِنْ تَفْريطِه في حَقِّ ربِّه عزَّ وجل، كما قالَ عليٌّ رضي اللهُ عنهُ: لا يَرجُوَنَّ عبدٌ إلا ربَّه، ولا يخافَنَّ إلا ذَنْبَه[٢].

وقالَ بعضُهم: مَنْ صَفَّى صُفِيَ له، ومَنْ خَلَّطَ خُلِّطَ عليه[٣].

وقالَ ابن مسروقٍ: مَنْ راقبَ اللهَ في خَطَرَاتِ قَلْبه عَصَمَه اللهُ في حَرَكاتِ جَوارِحه[٤].

---

= (٢١٣٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٠١).

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٧٤٠٥) ومسلم من حديث أبي هريرة (٢٦٧٥) ومن حديث أبي ذر (٢٦٨٧).

(٢) أخرجه في ضمن وصية: العدني في «الإيمان» (١٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٦٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٤٨)، وغيرهم، من وجوه عن علي رضي الله عنه.

(٣) من كلام مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله تعالى. أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٧٤٠).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٤٥)، ذكره القشيري في «الرسالة» (١/ ١٠٠).
وابن مسروق هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق المتوفى ببغداد سنة ٢٩٩ رحمه الله، لا صلة له بالتابعي الجليل مسروق بن الأجدع رحمه الله تعالى.

وبَسْطُ هذا المعنى يطولُ جِدًّا، وفيما أَشرنا إليه كفايةٌ، ولله الحمدُ[١].

* * *

**وقولهُ ﷺ: «احفَظِ اللهَ تجدهُ أمامَك»** وفي روايةٍ أُخرى: «تُجاهك» معناهُ: أنَّ مَنْ حَفِظَ حدودَ اللهِ وراعى حُقُوقَه وجَدَ اللهَ معَه في جميعِ الأحوالِ يحوطُه وينصُره ويحفظُه ويوفِّقُه ويؤيِّدُه ويسدِّدُه، فإنَّه تعالى قائمٌ على كُلِّ نفسٍ بما كَسَبتْ، وهو تَعالى معَ الذينَ اتَّقوا والذينَ هُمْ مُحسِنُون.

قالَ قتادةُ: مَنْ يتقِ اللهَ يكنْ معَه، ومَنْ يكُن اللهُ معَه فمَعَه الفئةُ التي لا تُغْلَبُ، والحارسُ الذي لا ينامُ، والهادي الذي لا يَضِلّ[٢].

كتبَ بعضُ السَّلَفِ إلى أخٍ له: أمَّا بعدُ: فإنْ كانَ اللهُ معَكَ فمَنْ تخاف؟ وإنْ كانَ عليكَ فمَنْ ترجُو؟ والسَّلام[٣].

وهذهِ المعيَّةُ الخاصَّةُ بالمتَّقين غيرُ المعيَّةِ العامَّةِ المذكورةِ في قولهِ تَعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقولِه: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨] فإنَّ المعيَّة الخاصَّةَ تقتضي النَّصْرَ والتأييدَ والحِفْظَ والإعانةَ، كما قال تَعالى لموسى وهارونَ: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وكانَ ﷺ قد قالَ لأبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه في تلكَ الحالِ: «ما ظنّكَ باثنينِ اللهُ ثالثُهما»[٤]، فهذا غيرُ المعنى المذكورِ في قولهِ تَعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن

---

(١) في حاشية (س) و(ب): «بلغ مقابلة».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٣٩).

(٣) ذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٧١). وفي (ت) و(ب): «فممن تخاف».

(٤) وذلك في الغار يوم الهجرة. أخرجه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١).

﴿نَجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، فإنَّ ذلكَ عامٌّ لكلِّ جماعةٍ.

ومِنْ هذا المعنى الخاصِّ الحديثُ الإلهيُّ، وقولُه فيه: «ولا يزالُ عبدِي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتَّى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يَسمَعُ به، وبصرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يبطِشُ بها، ورجلَه التي يمشِي بها»[١]، إلى غيرِ ذلكَ من نُصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ، الدَّالَّةِ على قُربِ الرَّبِّ سُبحانه ممَّن أطاعَه واتَقاه، وحَفِظَ حدُودَه ورَاعَاه.

دَخلَ بنانٌ الحَمَّالُ البرِّيَّةَ على طريقِ تَبوك، فاستوحشَ فهتَفَ به هاتفٌ: لمَ تستوحشُ؟ أليسَ حبيبُكَ معكَ[٢]؟ فمن حَفِظَ اللهَ وراعى حُقوقَه، وجَدَه أمامَه وتُجاهَه على كلِّ حالٍ، فاستأنسَ به واستغنى به عَنْ خَلْقِه.

وفي الحديثِ: «أفضَلُ الإيمانِ أنْ يعلَمَ العبدُ أنَّ اللهَ معَهُ حيثُ كانَ» خَرَّجَهُ الطَّبرانيُّ وغيرُه[٣]. وبَسطُ القولِ في هذا يطُولُ جِداً.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥٣٦).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤) من حديث عبادة بن الصامت ولفظه: «إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت».

وأخرج الطبراني في «الصغير» (٥٥٥) من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري مرفوعاً في حديثٍ وسئل ﷺ عن تزكية النفس، فقال: «أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان»، وأصله في «سنن أبي داود» (١٥٧٧) دون هذا.

كانَ بعضُ العُلماءِ الرَّبانيِّينَ كثيرَ السَّفَرِ على التَّجرِيدِ[١] وحدَه، فخَرَجَ الناسُ مرَّةً معَه يودِّعُونه فردَّهُم، وأنشَدَ:

إذا نَحنُ أَدْلَجنا وأنتَ أمَامَنا ... كفى لمطايانا بذِكْرِكَ هَاديا[٢]

وكان الشبليُّ ينشِدُ هذا البيتَ، وربَّما قَطَعَ مجلِسَه عَلَيه[٣].

* * *

قولُه ﷺ: «تعرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّة»: المعنى: أنَّ العبدَ إذا اتَّقى اللهَ وحَفِظ حُدودَه ورَاعى حُقوقَه في حال رَخائِه وصِحَّته فقدْ تعرَّفَ بذلكَ إلى اللهِ، وكانَ بينَه وبينَه معرفةٌ، فعرَفَه ربُّه في الشِّدَّةِ، وعَرَفَ له عَمَلَه في الرَّخاءِ، فنجَّاهُ مِنَ الشَّدائِدِ بتلكَ المعرفةِ، وهذه أيضاً معرفةٌ خاصَّةٌ تقتَضِي القُربَ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، ومحبَّته لعبدِه وإجابَتَه لدُعائه، وليسَ المرادُ بها المعرفةَ العامَّة، فإنَّ اللهَ لا يخفَى عليهِ حالُ أحدٍ مِنْ خَلْقِه، كما قالَ تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم: ٢٣]، وقالَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] وهذا التَّعرُّفُ الخاصّ هو المُشَارُ إليهِ في الحديثِ الإلهيِّ: «ولا

---

(١) قال الكلاباذي في «التعرف لمذهب أهل التصوف» (ص: ١١١): معنى التجريد: أن يتجرد بظاهره عن الأعراض، وبباطنه عن الأعواض.

(٢) هو الإمام الجليل أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن يتلو العجلي المقرئ، المتوفى سنة (٤٥٤هـ) رحمه الله تعالى. والقصة ذكرها الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٣٧). وبيت الشعر لعمر بن شاس الأسدي، وهو شاعر أسلم ولقي النبي ﷺ.

(٣) أخرجه الخرائطي في «فوائده» (٣٤).

يزالُ عبدِي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتى أُحبّه ـ إلى أن قال ـ: وإنْ[١] سألني لأعطِينَّه، ولئن استعاذَنِي لأعُيذَنَّه»[٢].

وفي روايةٍ: «ولئن دَعَاني لأُجِيبَنَّه»[٣].

اجتمعَ الفضيلُ بشَعْوانَةَ العابِدة، فسأَلها الدعاءَ، فقالت: يا فُضيل، وما[٤] بينَك وبينَه ما إنْ دعَوْته أجابَك؟ فشَهَقَ الفضيلُ شهقةً خَرَّ مغْشِيًّا عليه[٥].

وقالَ أبو جَعفر السَّايحُ: أتَى الحَسَنُ إلى حَبيبٍ أبي محمّد هارِباً مِنَ الحجَّاجِ، فقالَ: يَا أَبا محمدٍ احفَظْنِي مِنَ الشُّرَطِ، هم على إثرِي، فقال: استحييتُ لكَ يا أبا سعيدٍ، ليسَ[٦] بينَكَ وبينَ ربِّكَ منَ الثِّقةِ[٧] ما تدعُوه فيسترِكَ مِنْ هؤلاء؟! ادخُلْ البيتَ، فدخَلَ، ودَخَلَ الشُّرَطُ على إثرِهِ فلَمْ يرَوْه، فَذُكِرَ[٨] ذلكَ للحجَّاجِ، فقال: بلْ كانَ في بَيْتِه إلا أَنَّ اللهَ طَمَسَ[٩] أَعينَهم فلَمْ يَرَوه[١٠].

ومتى حَصَلَ هذا التَّعرُّفُ الخاصُّ للعَبْدِ: حَصَلَ للعبدِ معرفةٌ خاصَّةٌ بربِّه،

---

(١) هكذا في البخاري، وقد جاء في (صل) و(ش): «فلئن»، وفي سائر النسخ: «ولئن».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي (ت): «استعاذ بي».

(٣) أخرجه البزار (٨٧٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (س): «أوما».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١١٣) بنحوه.

(٦) في (ت) و(ف) و(س) و(ب): «أليس».

(٧) في حاشية (س): «المعرفة».

(٨) في (س): «فذكروا».

(٩) في (س): «طمس على».

(١٠) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٤٨).

تُوجِبُ له الأُنسَ بهِ والحياءَ منه، وهذه معرفةٌ خاصَّةٌ غيرُ معرفةِ المؤمنينَ العامَّة، ومدارُ العارفينَ كلِّهم على حُصُولِ هذهِ المعرفة وهذا التَّعرف، وإشاراتُهم تومئُ إلى هَذا.

سَمِعَ أبو سليمانَ رجُلاً يقولُ: سَهِرتُ البارِحَةَ في ذِكر النِّساءِ، فقالَ: ويحَكَ أَمَا تَسْتَحيي مِنْهُ يراكَ سَاهِراً في ذِكْرِ غيرِه، ولكنْ كيفَ تَستَحْيي ممَّنْ لا تَعْرِفُ[١].

وقالَ أحمدُ بن عاصمٍ الأَنطاكيُّ: أُحِبُّ ألَّا أموتَ حتَّى أعرفَ مولاي، وليسَ معرفتُه الإقرارَ بهِ، ولكن المعرفةُ الذي إذا عرفتُه استحييتُ مِنْه[٢].

وهذه المعرفةُ الخاصَّةُ والتعرُّفُ الخاصُّ يوجبُ طمأنينةَ العبدِ بربِّه، وثقَتَه به في إنجائِه من كُلِّ شدَّةٍ وكَرْبٍ، وتوجِبُ استجابةَ الربِّ دعاءَ عبدِه.

لمَّا اختفَى الحسنُ البصريُّ منَ الحَجَّاجِ قيلَ له: لو خرجتَ من البصرةِ فإنَّا نخافُ أن يُدَلَّ عليكَ، فبكى، ثم قال: أَخرجُ مِنْ مِصرِي وأهلِي وإخواني؟ إنَّ معرفَتي بربِّي وبنِعَمِه[٣] عليَّ تدلُّني على أنَّه[٤] سيُنجِيني، ويخلِّصني منهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى، فما ضَرَّه الحجاجُ بشيءٍ، ولقد كانَ يكرِمُه بعدَ ذلكَ إكراماً شديداً، ويُحسِنُ ذِكْرَه[٥].

وقالَ رجلٌ لمعروفٍ: ما الذي هيَّجكَ على الانقطاعِ والعبادَةِ وذِكرِ الموتِ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٥)، ولفظه: «ساهراً في ذكر النساء».

(٢) سقط الأثر من (صل)، و(ش). وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (مختصر ابن منظور ٣/ ١٢٨).

(٣) في (س): «وبنعمته».

(٤) في (س): «أن».

(٥) لم أجده عند غير المصنف.

والبرزَخِ والجنَّةِ والنَّارِ؟ فقالَ معروفٌ: أيُّ شيءٍ هذا؟ إنَّ مَلِكاً هذا كله[١] بيدِه، إنْ كانتْ بينَكَ وبينَه معرفةٌ كفاكَ جميعَ هذا[٢].

وممّا يُبيِّنُ هذا ويُوضِحُه: الحديثُ الذي خرَّجه التِّرمذيُّ من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ سَرَّه أنْ يستجيبَ اللهُ له عِنْد الشدائِدِ فليُكثِر الدعاءَ في الرَّخاءِ»[٣].

وخَرَّج ابنُ أبي الدنيا وابنُ أبي حاتم وابنُ جَريرٍ[٤] وغيرُهم، من حديثِ يزيدَ الرَّقاشيِّ، عن أنسٍ يرفعُ الحديثَ[٥] أنَّ يُونسَ عليه السَّلام لمَّا دعا، وهو في بطنِ الحوتِ، قالت الملائكةُ: يا رب هذا صوتٌ معروفٌ من[٦] بلادٍ غَريبةٍ، فقالَ اللهُ تعالى: أما تعرفونَ ذلك؟ قالوا: ومَنْ هو؟ قالَ: عبْدي يُونس. قالوا: عبدك يونس[٧] الذي لم يزلْ يُرفَعُ له عملٌ متقبَّلٌ ودعوةٌ مستجابةٌ؟ قال: نعمْ. قالوا: يا رب أفلا ترَحَم ما كانَ يصنعُ في الرَّخاءِ فتنجِيَه مِنَ البلاءِ؟ قال: بلى، فأمرَ اللهُ الحوتَ فطرحَهُ بالعَرَاء[٨].

---

(١) في (صل): «كل هذا».

(٢) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» في الفصل ٣٢، المقام التاسع من مقامات اليقين، وعنه الغزالي في «الإحياء». ومعروفٌ هو الكرخي رضي الله عنه.

(٣) في (صل): «عند الرخاء». والحديث أخرجه الترمذي (٣٣٨٢) وقال غريب.

(٤) تصحف في (ش) إلى: «جريج».

(٥) في (س): «يرفعه».

(٦) في (س): «في».

(٧) «قالوا عبدك يونس» سقط من (صل) و(ف).

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٥٨)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٣٢)، والطبري (١٩/ ٦٢٨)، وابن أبي حاتم (١٣٧١٠)، والطبراني في «الدعاء» (٤٧).

وقالَ الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ: اذكُروا اللهَ في الرَّخاءِ يذكُرْكُم في الشِّدَّةِ، إنَّ يونسَ عليه السلام كانَ يذكرُ اللهَ، فلمَّا وقعَ في بطنِ الحوتِ قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤]، وإنَّ فرعونَ كانَ طاغِياً ناسِياً لذِكرِ اللهِ تعالى، فلما أدرَكهُ الغَرَقُ قال: آمنتُ، فقالَ له اللهُ تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١][1].

وقالَ رَاشِدُ بنُ سعدٍ: قالَ رجلٌ لأبي الدَّرداءِ: أوصِني. فقال: اذكر اللهَ في السَّراءِ يذكرْكَ في الضَّراءِ[2].

وقالَ سلمانُ الفارسيُّ: إذا كانَ الرَّجُلُ دَعَّاءً في السَّراءِ، فنزلتْ به ضرَّاءُ، فدعا اللهَ عزَّ وجَلَّ قالتْ الملائكةُ: صوتٌ معروفٌ، فشَفَعُوا له، وإذا كانَ ليسَ بدَعَّاءٍ في السَّراءِ، فنزلت به ضراء فدعا اللهَ عزَّ وجَلَّ، قالت الملائكةُ: صَوتٌ ليسَ بمعروفٍ فلا يشفعونَ له[3].

وحديثُ الثَّلاثةِ الذينَ دَخلوا الغارَ وانطبقت[4] عليهمُ الصَّخْرةُ[5] يشهدُ لهذا

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٧) و(١٩/ ٦٣٠). وسقط هذا الأثر من (صل)، وجاء بدله: «وأما فرعون فلما لم يتعرف إلى الله في الرخاء لم يَعرفه في الشدة، فقيل له لما نادى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

(٢) سقط هذا الأثر من (صل). وتحرف راشد إلى رشدين في (ف) و(س) و(ب)، والمطبوعات. وهو راشد بن سعد المقرائي الحمصي التابعي رحمه الله تعالى. والأثر أخرجه أبو داود في «الزهد» (٢١٧)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٧٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٩) من وجه آخر.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على «الزهد» لأبيه (١٨١٩).

(٤) في (ف) و(ب): «وأطبقت».

(٥) أخرجه البخاري في مواضع منها (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أيضاً فإنَّهم[١] فُرِّجَ عنهم بدُعائِهم للهِ بما كانَ سبقَ منهم منَ الأعمالِ الخالِصةِ له في حالِ الرَّخاءِ، مِنْ برِّ الوالدينِ وتركِ الفُجور وأداءِ الأمانةِ الخفيَّةِ.

فإذا عُلِمَ أنَّ التعرُّفَ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يُوجِبُ معرفةَ اللهِ لعبدِه في الشِّدَّةِ، فلا شِدَّةَ يلقَاها المؤمنُ[٢] في الدُّنيا أعظَمُ مِنْ شدَّةِ الموتِ، وهي أهونُ ممَّا بعدَها، إنْ لم يكنْ مصيرُ العبدِ إلى خيرٍ، وإنْ كانَ مصيرُه إلى خيرٍ فهي آخرُ شِدَّةٍ يلقاها.

فالواجِبُ على العَبْدِ: الاستعدَادُ للموتِ قبلَ نزُولِهِ، بالأعمالِ الصَّالحةِ والمبادَرَةِ إلى ذلكَ، فإنَّه لا يَدْري المرءُ متى تنزلُ بهِ هذه الشِّدَّةُ مِنْ ليلٍ أو نهارٍ. وذِكرُ الأعمالِ الصَّالحةِ عندَ الموتِ مما يُحَسِّنُ ظنَّ المؤمنِ بربِّه ويهوِّنُ عليه شِدَّةَ الموتِ ويُقوِّي رجاءَه.

قالَ بعضُهم: كانوا يستحبُّونَ أنْ يكونَ للمرءِ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالحٍ[٣]، ليكونَ أهونَ عليهِ عندَ نزولِ الموتِ، أو كما قال.

وكانوا يستحبُّونَ أنْ يموتَ الرَّجلُ عَقِبَ[٤] طاعةٍ عمِلها من حَجٍّ أو جِهادٍ أو صِيامِ رمضانَ[٥].

---

(١) في (س): «فإن الله».

(٢) في (س): «العبد» وفي الحاشية ما يوافق المثبت.

(٣) قاله عبد الله بن داود الخريبي رحمه الله تعالى، وتتمة قوله: «لا تعلم به زوجته ولا غيرها». ذكره عنه المزي في «تهذيب الكمال» (١٤/ ٤٦٤). ويُروى عن الزبير بن العوام رضي الله عنه: «من استطاع أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل»، أخرجه المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (١١٠٩) وغيره، وأخرجه الضياء في «المختارة» (٨٨٣)، وذكر له رواية مرفوعة (٨٨٤) والصحيح موقوفاً.

(٤) في (ش)، و(ف) و(ب): «عقيب».

(٥) كما في حديث أنس رضي الله عنه عند الترمذي (٢١٤٢) مرفوعاً: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» فقيل كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت».

وقالَ النَّخعيُّ: كانوا يستحبُّونَ أنْ يُلقِّنوا العبد محاسن عمله عند موته، لكي يُحسِنَ ظنَّه بربِّه(١).

قالَ أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَميُّ في مرضِه: كيف لا أرجو، وقدْ صُمْتُ له ثمانين رمضان؟(٢)

ولما احتُضِرَ أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ، وبَكَوا عليه قالَ: لا تَبْكوا فإنِّي ختمتُ القرآنَ في هذه الزَّاويةِ ثلاثةَ عشر ألفِ خَتْمَةٍ(٣).

ورُويَ عنه أنَّه قالَ لابنِه: أتُرى اللهَ يضيِّعُ لأبيكَ أربعينَ سنةً يختمُ القرآنَ كلَّ ليلةٍ؟(٤)

وقالَ بعضُ السَّلَفِ لابنِه عندَ موتِه، ورآه يبكي: لا تبكِ فما أتى أبوكَ فاحشةً قطُّ(٥).

وخَتَمَ آدمُ بنُ أبي إياسٍ القرآنَ وهو مسجًّى للموتِ، ثم قالَ: بحُبِّي لكَ إلا رفقتَ بي في هذا المصرَعِ، كنتُ أُؤملكَ لهذا اليومِ، كنتُ أرجوكَ، لا إله إلا الله، ثم قضَى رَحِمَهُ الله(٦).

وكانَ عبدُ الصَّمَدِ الزَّاهدُ يقولُ: عندَ موتِهِ: سيِّدي لهذه الساعةِ خبأتكَ، ولهذا اليومِ اقتنيتُكَ حقِّقْ حُسنَ ظنِّي بكَ(٧).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٣٠)، وفي «المحتضرين» (٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (١٢٧)، وفي «المحتضرين» (٢٩٠) وغيره.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٠٤) وفي المطبوع منه: «ثمانية عشر».

(٤) أخرجه ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص: ٧٠). وفي (ف) و(س) و(ب): «أن الله يضيع».

(٥) وهو أبو بكر بن عياش رحمه الله. أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٣٣٦).

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٤٨٩).

(٧) وهو عبد الصمد بن عمر الدينوري الفقيه الواعظ الزاهد، المتوفى سنة (٣٩٧هـ) رحمه الله تعالى. =

وقالَ ابنُ عَقِيلٍ عندَ موتـهِ، وقـدْ بكى النِّسوةُ: قَدْ وَقَّعتْ عنهُ خمسينَ سنةً، فدعُوني أتهنَّى بلقائهِ[١].

لما هجمَ القرامطةُ على الحُجَّاجِ[٢] وقَتَلوهُم في الطَّوافِ، كانَ عليُّ بنُ بابويه[٣] الصوفيُّ يطوفُ، فلمْ يقطع الطوافَ، والسيوفُ تأخُذُه حتَّى وقعَ، وَأنشَدَ[٤]:

تـرى المحبِّيـنَ صرعـى فـي دِيارِهمُ ... كفتيـةِ الكهـفِ لا يـدرونَ كـم لَبِثُـوا

تـاللهِ لو حـلـفَ الأحـبـابُ أنـهُـمُ ... موتـى مِنَ البَيْنِ[٥] يومَ البَيْنِ ما حَنِثُوا[٦]

فمَنْ أطاعَ اللهَ واتَّقاه، وحَفِظَ حدودَه فـي حياتهِ: تولَّاهُ اللهُ عندَ وفاتِه، وتوفَّاه على الإيمانِ، وثبَّته بالقَولِ الثَّابتِ في القَبْرِ عندَ سؤالِ المَلَكَين، ودفعَ عنهُ عذابَ القَبْرِ، وآنسَ وَحْشَتَه في تلكَ الوَحدةِ والظُّلْمَةِ.

قـالَ بعـضُ السَّـلف: إذا كانَ اللهُ معـكَ عنـدَ دخـولِ[٧] القبرِ، فلا بـأسَ عليكَ ولا وحـشة[٨].

---

= والخبر ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥٥٤)، والسبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٣٢٩).

(١) ذكره ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص: ١٧٨).

(٢) في (ش) و(ف) و(ب): «الحاج».

(٣) في (ف) و(س) و(ب): «باكويه» تصحيف.

(٤) في (ش) و(ف) و(ب): «فأنشد».

(٥) في (ش): «بين».

(٦) وكان ذلك سنة (٣١٧هـ). والخبر ذكره ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص: ١٧٥).

(٧) في (ف) و(ب): «دخولك».

(٨) كتب به محمد بن يوسف الأصبهاني العابد إلى أخيه رحمهما الله. أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٦).

ورُئِيَ بعضُ العلماءِ الصَّالحينَ في النَّوم بعدَ موته، فسُئلَ عن حاله فقال: يؤنِسُني ربِّي عزَّ وجلَّ[١].

فمَنْ كانَ اللهَ سبحانَه وتعالى أنيسَه في خلواته في الدُّنيا: فإنَّه يُرجى أنْ يكونَ أنيسَه في ظُلماتِ اللُّحودِ إذا فارقَ الدُّنيا وتخلَّى عنها، وفي هَذا المعنى يقولُ بعضُهم[٢] (شعر):

فيا ربِّ كنْ لي مُؤنساً يومَ وحشَتي ... فإنِّي بما[٣] أنزلتَه لَمُصَدِّقُ

وما ضَرّني أنِّي إلى اللهِ صائرٌ ... ومَنْ هُو مِنْ أهلِي أبرُّ وأرفَقُ

وكذلكَ أهوالُ يومِ القيامةِ، وأفزاعُها وشدائدُها، إذا تولَّى اللهُ عبدَه المطيعَ له في الدُّنيا أنجاهُ مِنْ ذلكَ كلِّه.

قالَ قتادةُ في قولهِ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢] قالَ: منَ الكربِ عندَ الموتِ، ومِنْ أفزاعِ يومِ القيامةِ[٤].

وقالَ عليُّ بنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في هذهِ الآيةِ: يُنَجِّيه مِنْ كلِّ كَربٍ في الدُّنيا والآخرةِ[٥].

---

(١) هو ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو رحمه الله تعالى. أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٠١) وابن عساكر (٥/ ١٠٧).

(٢) هو الإمام الجليل الموفق ابن قدامة المقدسي الحنبلي رحمه الله. من قصيدة ذكرها المصنف ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (٣/ ٢٩٦).

(٣) في (س) و(ب): «لما».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٠)، وليس في الموجود من تفسير ابن أبي حاتم.

(٥) عزاه إلى ابن أبي حاتم: السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ٥٣٧)، وليس في الموجود من ابن أبي حاتم.

وقالَ زيدُ بنُ أسلمَ في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] قال: يبشَّرُ بذلكَ عندَ موتهِ، وفي قَبْرِه، ويومَ يُبعَثُ، فإنَّه لفي الجنَّةِ وما ذهبتْ فرحةُ البِشارةِ مِنْ قَلْبِه(١).

وقالَ ثابتٌ البُنَانيُّ في هذهِ الآيةِ: بلغَنَا أنَّ المؤمنَ حينَ(٢) يبعثُه اللهُ مِنْ قبرِه يتلقاهُ ملكاهُ(٣) اللذانِ كانا معَه في الدُّنيا، فيقولانِ له: لا تَخفْ ولا تَحزنْ، فيؤمِّنُ اللهُ خوفَه، ويُقِرُّ اللهُ عينَه، فما مِنْ عظيمةٍ تَغشى(٤) الناسَ يومَ القيامةِ إلا وهي للمؤمنِ قُرَّةُ عينٍ لما هَدَاه اللهُ، ولما كانَ يعملُ في الدُّنيا(٥).

خَرَّجَ ذلكَ كلَّه ابنُ أبي حاتمٍ وغيرُه.

وأمَّا مَنْ لم يتعرفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ، فليسَ لهُ مَنْ يعرفُه في الشِّدَّةِ لا في الدُّنيا ولا في الآخرةِ.

وشواهدُ هذا مشاهدةُ حالِهم في الدُّنيا، وحالُهم في الآخرةِ أشدُّ، وما لهمْ مِنْ وليٍّ ولا نصيرٍ.

* * *

**وقولُه ﷺ: «إذا سَأَلتَ فاسْأَلِ اللهَ»** أمرٌ(٦) بإفرادِ اللهِ عزَّ وجلَّ بالسؤالِ، ونهيٌ عن سؤالِ غيرِه من الخلقِ، وقد أمرَ اللهُ تعالى بسؤالِه فقالَ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٣/ ١٠٧) إلى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

(٢) من (صل): وفي سائر النسخ: «حيث».

(٣) في (س): «الملكان».

(٤) في (صل): «يغشى»، وفي «الدر المنثور»: «يخشى الناسُ».

(٥) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٣/ ١٠٨) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) في (س): «هذا أمر».

وفي الترمذيِّ عن ابنِ مسعودٍ مرفُوعاً: «سلُوا الله منْ فَضْله، فإنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ يُسأَلَ»[١].

وفيهِ عَنْ أبي هُريرة رضيَ الله عنه مرفُوعاً: «مَنْ لا يسألِ اللهَ يغضبْ عليه»[٢].

وفيهِ أيضاً: «إنَّ اللهَ يحِبُّ الملِحِّينَ في الدُّعاء»[٣].

وفي حديثٍ آخَر: «ليسألْ أحدُكم ربَّه حاجَته كلَّها، حتَّى يسأله[٤] شِسْع نَعلِه إذا انقَطَعَ»[٥].

وفي[٦] المعنى أحاديثُ كثيرةٌ، وفي النَّهي عَنْ سُؤالِ الخَلْقِ أحاديثُ كثيرةٌ صحيحةٌ.

وفي حديثِ مسعودِ بن عمروٍ مرفوعاً[٧]: «لا يزالُ العبدُ يسألُ وهو غَنِيٌّ حتَّى يَخْلَقَ وجهُهُ، فما يكونُ له عندَ اللهِ وجهٌ»[٨].

وقد بايعَ النبيُّ ﷺ جماعةً مِنْ أصحابهِ على أنْ لا يَسألُوا النَّاسَ شيئاً منهُم

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣).

(٣) بل أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢٠) وغيره، من حديث عائشة رضي الله عنها. وليس هو في الترمذي.

(٤) في (ف): «يسأل».

(٥) أخرجه الترمذي (٣٩٧٣) من حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وصوّب إرساله.

(٦) في (س): «في هذا».

(٧) كتب في (ف) و(ب): «حديث ابن مسعود مرفوعاً»، وفي (س): «حديث ابن مسعود وابن عمر مرفوعاً». وهو خطأ.

(٨) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣٣٣).

أبو بكر الصِّديقُ، وأبو ذَرٍّ، وثوبان[١]، وكانَ أحدُهُم يسقطُ[٢] سَوْطُه، أو خِطامُ ناقَتِه، فلا يسألُ أَحداً أنْ يناوِلَه[٣] رضيَ اللهُ عنهُم.

واعلمْ أنَّ سؤالَ اللهِ تعالى دونَ خَلْقِه هو المتعيِّنُ[٤] عَقْلاً وشَرْعاً، وذلكَ مِنْ وجوهٍ متعدِّدةٍ:

منها: أنَّ السؤالَ فيه بذلٌ لماءِ الوجهِ، وذِلَّةٌ للسَّائِل، وذلك لا يَصلح إلا للهِ وحدَه، فلا يصلُح الذُّلُّ إلَّا لهُ بالعبادةِ والمسألةِ، وذلكَ من علاماتِ المحبَّةِ الصَّادِقة.

سُئِلَ يوسفُ بنُ الحسين: ما بالُ المحبِّين يتلذَّذُونَ بذُلِّهم في المحبَّةِ فأنشدَ:

---

(١) في مسند الإمام أحمد (٦٥) من حديث ابن أبي مليكة: كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟ فقال: إن حبي رسول الله ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً. والحديث منقطع.

أما حديث أبي ذر: فأخرج أحمد (٢١٥٠٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال:... فدعاني رسول الله ﷺ، فقال: «هل لك إلى بيعة، ولك الجنة» قلت: نعم، وبسطت يدي، فقال رسول الله ﷺ، وهو يشترط علي: «أن لا تسأل الناس شيئاً» قلت: نعم. قال «ولا سوطك إن يسقط منك حتى تنزل إليه فتأخذه». وأما حديث ثوبان، فأخرجه أبو داود (١٦٤٠) قال ﷺ: «من تكفَّل لي أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له بالجنَّة» فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحداً شيئاً.

وفي ذلك أيضاً حديث عوف بن مالك عند مسلم (١٠٤٣) وكان من البيعة: «ولا تسألوا الناس شيئاً» قال عوف: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه.

(٢) في (ش): إشارة إلى نسخة: «يقع».

(٣) في (س): «يناوله إياه».

(٤) تصحف في (صل) إلى: «المعتبر».

ذلُّ الفَتـى فـي الحُـبِّ مَكرُمةٌ وخضُوعُـه لحبيبِـه شَـرفُ[١]

وهذا الذُّلُّ[٢] وهذهِ المحبَّةُ لا تصلُحُ إلا للهِ وحدَه، وهذا هو حقيقةُ العبادةِ التي يختَصُّ بها الإلهُ الحقُّ.

كانَ الإمامُ أحمدُ يقولُ في دعائِه: اللَّهمَّ كما صُنْتَ وجهِي عن السُّجودِ لغيرِكَ فصُنْه عنِ المسألةِ لغيرِك[٣].

وقالَ أبو الخيرِ الأقطعُ: كنتُ بمكَّةَ سنةً، فأصابَتني فاقَةٌ وضُرٌّ، فكنتُ كلَّما أردتُ أنْ أخرجَ إلى المسألةِ هتَفَ بي هاتفٌ يقولُ: الوجهُ الذي يسجدُ لي تبذلُه لغيري[٤]. وفي هذا المعنى يقولُ بعضُهم:

مـا اعتـاضَ بـاذِلُ وجهِـهِ بسؤالِهِ بَـدلاً وإن نـالَ الغِنـى بسُـؤالِ
وإذا السُّـؤالُ مـع النَّـوالِ وزنتَـه رجَـحَ السُّـؤالُ وخَـفَّ كلُّ نـوالِ
فـإذا ابتليـتَ ببـذلِ وجهِـكَ سـائِلاً فابذلْـه للمتكـرِّم المفضَـالِ[٥]

---

(١) ذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (مختصر ابن منظور ٢٨/ ٧٦).

(٢) في (صل): «وهذه الذلة».

(٣) في حاشية (ف): «دعاء لطيف»، وقع في نسخة أشار إليها في حاشية (ف): «فصن وجهي». رواه عن الإمام أحمد: أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٣٣)، ومن طريقه: ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٩٢). وذكر الإمام أحمد أنه كان يسمعه من وكيع بن الجراح في سجوده، ووكيع كان يسمعه من سفيان الثوري في سجوده، وسفيان كان يسمعه من منصور بن المعتمر.

(٤) في (س): «به لا تبذله». والأثر في «تاريخ دمشق» (مختصر ابن منظور ٢٨/ ٢٦٥)، وفي «صفة الصفوة» (٢/ ٤٢١).

(٥) تمثل بهذه الأبيات مطرِّف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله تعالى، ذكر ذلك أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢١٠)، وابن عساكر (٥٨/ ٣٣٠) والأبيات من قصيدة زهدية رائعة لأبي العتاهية، وهي في «ديوانه» مطلعها:

حيـل البلـى تأتـي علـى المحتال ومسـاكن الدنيـا فهـن بـوالِ.

ولهذا المعنى كانَ عقوبةُ مَنْ أكثرَ من المسألةِ بغيرِ حاجةٍ أنْ يأتيَ يومَ القيامةِ وليسَ على وجهِه مُزعة لَحمٍ، كما ثبتَ ذلكَ في الصَّحيحينِ[١]، لأنَّه أذهبَ عِزَّ وجهِه وصيانَتَه ومائِيَّتَهُ[٢] في الدنيا، فأذهبَ اللهُ مِنْ وجهِه في الآخرةِ جمالَه وبهاءَه الحسِّيَّ، فيصيرُ عظماً بغيرِ لحمٍ، ويذهبُ جمالُه وبهاؤه المعنويُّ، فلا يبقى لهُ عندَ اللهِ وجاهةٌ.

**ومنها** أنَّ في سؤالِ اللهِ عبوديةً عظيمةً، لأنَّها إظهارُ الافتقار إلى الله[٣] واعترافٌ بقُدْرته على قضاءِ الحوائجِ، وفي سؤالِ المخلوقِ ظلمٌ، لأنَّ المخلوقَ عاجزٌ عن جَلْبِ النَّفعِ لنفسِه، ودفعِ الضُّرِّ عنها، فكيف يقدرُ على ذلك لغيرِه؟ وسؤالهُ إقامةٌ له مقامَ مَنْ يقدرُ وليسَ هو بقادرٍ.

ويشهدُ لهذا المعنى الحديثُ الذي في صحيحِ مسلمٍ عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «يا عبادِي لو أنَّ أوَّلكم وآخرِكَم وإنسَكم وجنَّكم قامُوا في صعيدٍ واحدٍ فسألُوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألَته ما نَقَصَ ذلك مما عِنْدِي إلا كما يَنقُصُ المِخْيَطُ إذا غُمِسَ في البحرِ»[٤].

وفي التِّرمذيِّ وغيرِه زيادةٌ في هذا الحديثِ، وهيَ: «ذلكَ بأنِّي جَوادٌ واجِدٌ

---

(١) من حديث عبد الله بن عمر رضي عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم» أخرجه البخاري (١٤٧٥) ومسلم (١٠٤٠).

(٢) كذا في (ب). ورسمت في (صل) و(ش) و(ف) (ومايَّتَه)، وأصلها: مائيته، ثم سهلت الهمزة وأدغمت في الياء. وفي (س): «ومائه»، وفي المطبوعات: «وماءه»!! وجاءت الجملة في (ش): «أذهب عن وجهه ماؤه وصيانته ومايته في الدنيا».

(٣) في (ش): «الافتقار إليه» وفي (ف) و(ش) و(ب): «للافتقار إليه».

(٤) في حاشية (ف): «ادخل البحر». والحديث في «صحيح مسلم» (٢٥٧٧).

ماجدٌ أفعلُ ما أريدُ، عطائي كلامٌ، وعذابي كلامٌ، إذا أردتُ شيئاً فإنَّما أقولُ له كنْ فيكونُ»[١].

فكيفَ يُسألُ الفقيرُ العاجزُ ويتركُ الغنيُّ القادرُ؟ إنَّ هذا لأعجبُ العَجَبِ.

قالَ بعضُ السَّلفِ: إني لأستحيي منَ اللهِ أنْ أسأله الدُّنيا وهو يملكها، فكيفَ أسألها مَنْ لا يملِكها[٢] ـ يعني المخلوقَ ـ.

وحصلَ لبعض السَّلفِ ضيقٌ في معِيشَتِه[٣]، حتَّى همَّ أنْ يطلُبَ مِنْ بعض إخوانِه فرأى في منامِه قائلاً يقولُ له: أَيَحسُنُ بالحُرِّ المُريدِ إذَا وَجدَ عندَ اللهِ[٤] ما يريدُ أن يميلَ بقلبِه إلى العبيدِ؟ فاستيقظَ وهو مِنْ أغنى الناسِ قَلباً[٥].

وقالَ بعضُ السَّلفِ: قرأتُ في بعض الكُتبِ المنزَّلةِ: يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: أيؤمَّلُ غيرِي للشَّدائدِ، والشَّدائدُ بيدي وأنا الحيُّ القيُّومُ؟ ويُرجى غيري ويُطْرقُ بابه بالبكرات[٦]، وبيدِي مفاتيحُ الخزائنِ وبابي مفتوحٌ لمنْ دعاني؟ مَنْ ذا الذي أمَّلَني لنائبةٍ فقطعتُ بهِ، أو مَن الذي رجاني لعظيمٍ فقطعتُ رجاءَه؟ أو مَنْ ذا الذي طَرَقَ

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي ذر (٢٤٩٥) وقال: «حسن». وهو في «مسند» الإمام أحمد (٢١٣٦٩).

(٢) قالته المرأة الصالحة بنت أم حسان الأسدية رحمها الله تعالى للإمام سفيان الثوري. أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٩). وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٤٤) عن السيدة رابعة رحمها الله تعالى.

(٣) في (ب): «نفسه» بدل «معيشته».

(٤) في (س): «عندنا».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٦) بنحوه من كلام إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى، وأخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص: ١٩٦)، وابن عساكر (٢١/ ١٥) من كلام أبي عبد الله سعيد بن بريد النباجي رحمه الله تعالى، وهو مقصد المصنف.

(٦) في (س): «ويطرق بالبكرات باب غيري».

بابي فلمْ أفتَحْه له؟ أنا غايةُ الآمالِ فكيف تنقطُع الآمالُ دُوني؟ أبخيلٌ أنا فيبخِّلني عبدِي؟ أليسَ الدنيا والآخرةُ والكرمُ والفضلُ [١] كلُّه لي؟ فما يمنعُ المؤمِّلينَ أن يؤمِّلُوني؟ لو جمعتُ أهلَ السماواتِ والأرضِ ثم أعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم ما أعطيتُ الجميعَ، وبلَّغتُ كلَّ واحدٍ منهمْ أَمَله لم ينقصْ [٢] ذلكَ مِنْ مُلكي عضو ذرةٍ، وكيفَ [٣] ينقصُ ملكٌ أنا قيِّمُه، فيا بُؤساً للقانطينَ مِنْ رحمتي، ويا بُؤساً لمن عصَاني، وتوثَّبَ [٤] على محارِمي [٥].

**ومنها**: أنَّ اللهَ يحبُّ أنْ يُسألَ، ويغضبُ على مَنْ لا يسأله، فإنَّه يريدُ مِنْ عبادِه أنْ يرغَبُوا إليهِ، ويسأَلوه ويَدْعُوه ويفتَقِروا إليه، ويحبُّ الملحِّينَ في الدعاءِ، والمخلوقُ غالباً يكرهُ أنْ يُسألَ لفقْرِه وعَجْزِه.

قالَ ابنُ السَّمَّاكِ: لا تسألْ مَنْ يفِرُّ منكَ من أنْ تسأَله، وسَلْ [٦] مَنْ أَمرَكَ أن تسأله [٧].

وقالَ أبو العَتَاهِيةِ:

---

(١) في (س): زيادة «والإحسان بيدي».

(٢) في (س): «ما نقص».

(٣) في (ف): «فكيف».

(٤) في (س): «ووثب».

(٥) قاله زاهد من أصحاب الحديث في مجلس يزيد بن هارون لبعض أصحاب الحديث، كما في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٨٧) و«المستغيثين بالله» لابن بشكوال (١٠٦). وقد أورده المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤٨).

(٦) في (ش) و(س) و(ب): «واسأل».

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢١٠).

لا تسألنَّ أخاكَ يوماً حاجةً ... وسَلِ الذي أبوابُه لا تحجَبُ[١]

اللهُ يَغضَبُ إنْ تركتَ سُؤالَه ... وبُنَيُّ آدمَ حينَ يُسألُ يَغضبُ

فَاجْعَلْ سُؤالَكَ للإلهِ فإنَّما ... في فَضْلِ نِعمةِ ربِّنا نَتَقَلَّبُ[٢]

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ: يا مَنْ يغضبُ على مَنْ لا يَسأله لا تمنعْ مَنْ قدْ سألكَ[٣].

وأنشدَ بعضُ الأعرابِ:

أبا مالكٍ لا تسألِ الناسَ والْتَمِسْ ... بكفَّيْكَ فضلَ اللهِ فاللهُ أَوسَعُ

ولو سُئِلَ[٤] الناسُ الترابَ لأَوشَكُوا ... إذا قيلَ هاتُوا أنْ يملُّوا ويَمنَعُوا[٥]

**ومنها**: أنَّ اللهَ تعالى يَسْتدعي مِنْ عِبادِهِ سؤالَه، وينادِي كلَّ ليلةٍ: «هلْ مِنْ سائلٍ فأعطيَه سُؤْلَه، هَلْ مِنْ داعٍ فأستجيبَ له»[٦]. وقدْ قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فأيَّ وقتٍ دعاهُ العبدُ وجَدَه سَميعاً قَريباً مُجيباً، ليسَ بينَه وبينَه حِجَابٌ ولا بَوَّاب، وأمَّا

---

(١) هذا البيت لحق في حاشية (ف) وحدها.

(٢) لم أجد من نسب هذه الأبيات لأبي العتاهية، والبيت الثاني أنشده الأصمعي عن أعرابي كان متعلقاً بأستار الكعبة، كما في «الدر الفريد وبيت القصيد» للمستعصمي (٢/ ٤٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٩٦).

(٤) في (ف) و(س) و(ب): «يُسأل».

(٥) أنشده ثعلب في «مجالسه» (ص: ٣٦٥) عن ابن الأعرابي.

(٦) ورد هذا المعنى في أحاديث كثيرة، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٧٤٩٥) ومسلم (٧٥٨)، وهو من موطأ الإمام مالك (٤٩٨).

المخلوقُ فإنَّه يمتَنِعُ بالحِجَابِ والأبوابِ، ويَعْسُرُ[١] الوصولُ إليهِ في أغلبِ الأوقاتِ.

قالَ طاوسٌ لعطاءٍ: إيَّاكَ أن تطلبَ حوائِجكَ إلى مَنْ أَغْلَقَ دُونَكَ بَابَه، ويَجْعَلُ[٢] دونَها حُجَّابَه[٣]، وعليكَ بمَنْ بابه مفتوحٌ إلى يومِ القيامة، أمرَكَ أن تسأَله، ووعَدَكَ أَنْ يُجيبكَ[٤].

وقالَ وَهب بنُ مُنبِّه لبعضِ العُلماء: أَلَمْ أُخْبَر أَنَّكَ تأتي الملوكَ وأبناءَ الملوكِ، تحملُ إليهم علمَكَ، ويحَك! تأتي مَنْ يغلقُ عنكَ[٥] بابَه ويُظهِرُ لكَ فقرَه ويواري عنكَ غِناه، وتَدَعُ مَنْ يفتحُ لكَ بابَه بنصفِ اللَّيلِ وبنصفِ النَّهارِ ويُظهِرُ لكَ غِناه ويقولُ: ادعني استجبْ لك؟![٦]

ورأى ميمونُ بنُ مِهْران النَّاسَ مُجتمعينَ على بعضِ الأمراءِ فقالَ: مَنْ كانتْ له حاجةٌ إلى سلطان فحجبَه[٧] فإنَّ بيوتَ الرحمنِ مُفتَّحةٌ، فليأتِ مسجداً فليُصلِّ ركعتين، ثمَّ ليسألْ حاجَتَه[٨].

---

(١) في (س): «ويعز».

(٢) في (س): «وجعل».

(٣) ضبطت في (صل): «حِجَابه».

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٣)، وهو في «حلية الأولياء» (٤/ ١١) من وجه آخر.

(٥) في (صل) و(ف) و(ب): «عليك».

(٦) قاله وهب لعطاء الخراساني رحمهما الله. أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على «الزهد» (١٤٢٤)، وابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (١٥٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٤٣) وغيرهم. ووقع في (صل): «مَن يأتي من يغلق...» «ويدع من يفتح...».

(٧) في (صل): «السلطان» وفي (ف): «يحجبه».

(٨) في (صل): «يسأل»، وفي (س): «يسأل الله».

وكانَ بكرٌ المُزَنيُّ يقولُ: مَنْ مثلك يا ابنَ آدم؟ متى شئتَ تطهَّرتَ ثم ناجيتَ ربَّك ليسَ بينكَ وبينَه حِجابٌ ولا تَرجمان[١]!

وسألَ رجلٌ بعضَ الصَّالحين أنْ يشفعَ له في حاجةٍ إلى بعضِ المخلوقين، فقالَ: أنا لا أتركُ باباً مفتوحاً وأذهبُ إلى بابٍ مغلقٍ[٢].

وفي هذا المعنى يقولُ بعضُهم:

وأفنيةُ الملوكِ محجَّباتٌ ... وبابُ اللهِ مبذولُ الفِنَاءِ[٣]

وقالَ آخرُ:

قلْ للذينَ تحصَّنُوا عنْ سائلٍ ... بمنازلٍ مِنْ دونها حُجَّابُ

إنْ حالَ دونَ لقائِكُم بَوَّابُكم ... فاللهُ ليسَ لبابِه بوَّابُ[٤]

ولبعضِ العلماءِ[٥]:

---

= أخرجه ابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (١٧٧)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٣٦٦).

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على «الزهد» (١٧٥٢)، وابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (١٧٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٧٠).

(٢) قاله أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن الطَّلَّاية الحنبلي، المتوفى سنة (٥٤٨هـ) رحمه الله تعالى. ذكره ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» (ص: ٧٠٧)، ونقله منه المصنف رحمه الله تعالى في «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٩).

(٣) من قصيدة لعلي بن الجهم كتب بها إلى أخيه من حَبْس المتوكل، كما في «الدر الفريد وبيت القصيد» للمستعصمي (٥/ ٤٥٠) وهي في «ديوانه» (ص: ٨١).

(٤) البيتان لجحظة أحمد بن جعفر البرمكي، كما في «الدر الفريد» (٤/ ٣٤٩).

(٥) في (ش) بدلها: «ابن قدامة». وفي (ف) بعدها: «شعر» وهو مما نُقل من خطه، وليس له.

لا تَجْلِسَنَّ بباب مَنْ يأبَى عليكَ دخولَ دَارِهْ
وتقول حاجاتي إليـ ـهِ يَعُوقُها إنْ لم أُدارِهْ
واتركْهُ واقصِدْ ربَّها تُقْضَى وربُّ الدَّارِ كارِهْ[1]

وخَرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا مِن حديثِ أبي عُبيدة بنِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ أنَّ رجلاً جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ إنَّ بني فلانٍ أغارُوا عليَّ، فذهبُوا بابني وإبِلي، فقال له النبيُّ ﷺ: «إنَّ آلَ محمدٍ كذا وكذا أهل بيتٍ ما لهم مُدٌّ مِنْ طَعامٍ أو صَاعٌ فاسألِ الله عزَّ وجلَّ» فرجعَ إلى امرأته، فقالتْ: ما قالَ لكَ؟ فأخبَرها، فقالتْ: نِعْمَ ما رَدَّ عليكَ. فما لَبِثَ أنْ ردَّ اللهُ عليهِ ابنَه وإبِلَه أوفرَ ما كانتْ، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبَرَه، فصعدَ النبيُّ ﷺ المنبرَ، فحَمِدَ اللهَ، وأثنى عليه، وأَمرَ النَّاسَ بمسألَةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ والرَّغبَةِ إليه، وقرأ عليهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣][2].

وسألَ رجلٌ ثابتاً البُنَانيَّ أنْ يشفعَ له إلى قاضٍ في قضاءِ حاجةٍ له، فقامَ ثابتٌ معه، وكان[3] كلَّما مَرَّ بمسجدٍ في طريقهِ دخلَ فصلَّى فيه ودعا، فما وصَلَ إلى

---

(١) الأبيات لمَجْبَر بن محمد بن العزيز الأموي الصِّقلي، سمعها منه الحافظ السِّلفي، وذكرها عنه في «معجم السفر» (ص: ٣٨٢)، وضبط اسمه من «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين (٨/ ٥١). وذكرها له العماد الأصبهاني في «خريدة القصر وجريدة العصر» (٢/ ٧٤٧). وفي (ش): «فاتركه». وفي (صل): «يقضي» وهو الموافق للمطبوع من «معجم السفر»، والمثبت من سائر النسخ موافق لمطبوعة «توضيح المشتبه».

(٢) في حاشية (س): «بلغ». والحديث مرسل، أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (١٠)، و«القناعة والتعفف» (٥٤)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٣) بالسند نفسه من حديث أبي عبيدة عن عبد الله، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وبمعناه حديث سالم ابن أبي الجعد أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٥)، والحاكم (٢/ ٤٩٢) لكنه وصله من رواية جابر بن عبد الله.

(٣) في (ف) و(س) و(ب): «فكان».

مجلسِ القاضي إلا وقدْ قَامَ مِنْه! فعاتَبَهُ طالبُ الحاجةِ في ذلكَ، فقالَ: ما كنتُ إلَّا في حاجَتِكَ، فقضى اللهُ حاجَتَه، ولمْ يحتَجْ إلى القَاضِي[١].

وكانَ إسحاقُ بنُ عبَّادٍ البَصريُّ نائِماً، فرأى في مَنامِه قائلاً يقولُ له: أغثِ الملهوفَ فاستيقظَ، فسألَ: هلْ في جِيرانه محتاجٌ؟ قالوا[٢]: ما نَدري! ثم نامَ فأتاهُ ثانياً وثالثاً، فقالَ له: أتنامُ ولم تغثِ الملهوفَ؟! فقامَ وأخذَ معه ثلاث مئة دِرهمٍ، وركبَ بَغْلَه[٣]، فخرج به مِنَ البصرةِ حتَّى وقفَ به على بابِ[٤] مسجدٍ يُصلَّى فيهِ على الجنائزِ، فدخلَ المسجدَ، فإذا رجلٌ يصلِّي، فلمَّا أحسَّ به انصرفَ، فدنا منهُ، فقال له: يا عبدَ اللهِ في[٥] هذا الوقتِ، في هذا الموضعِ ما حاجَتُك؟ قالَ: أنا رجلٌ كانَ رأسُ مالي مئةَ درهمٍ، فذهبتْ مِنْ يديْ، ولَزمني دينٌ مئتا درهمٍ، فأخرجَ له الدراهمَ، وقال له: هذه ثلاث مئة درهمٍ، خُذْها. فأَخَذَها، ثم قالَ له: أتعرفُني؟ قال: لا. قال: أنا إسحاقُ بنُ عبَّادٍ، فإنْ نابَتْكَ نائِبةٌ فأتِني، فإنَّ منزلي في موضِع كذا، فقالَ له: رَحِمَكَ اللهُ إنْ نابَتْنَا نائبةٌ فَزِعْنا إلى مَنْ أخرَجَكَ في هذا الوقتِ حتى جاءَ بكَ إلينا[٦].

وقالَ عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسلَم: أصبَحْنَا ذاتَ يومٍ، فقالتْ أُمِّي لأبي: واللهِ ما في بيتِكَ شيءٌ يأكُلُه ذو كَبِدٍ، فقامَ وتوضَّأ[٧] ولَبِسَ ثيابَه، ثم صلَّى في بيتِه. قال:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢١) بنحوه. وكتب في حاشية (ف): «غريبة».

(٢) في (ش) و(س): «فقالوا».

(٣) في (ش): «بغلةً وخرج من»، وفي (س): «بغلته».

(٤) في (س): «بباب».

(٥) في (س): «أفي» خطأ. وفي (ش): «في هذا الوقت في مثل هذا الموضع».

(٦) أخرجه ابن الجوزي في «البر والصلة» (٤٥٤) من طريق البيهقي عن الحاكم بإسناده...

(٧) في (ف) و(ب): «فتوضأ».

فالتفَتَتْ إليَّ أُمي، فقالتْ: إنَّ أباكَ ليسَ يزيدُ على ما تَرى، فاخرجْ أنتَ، فخرجتُ فخطَر ببالي صديقٌ لنا تَمَّارٌ، فجئتُ إلى سوقِهِ[١]، فلَّما رآني صاحَ بي، وذهبَ بي إلى منزِلِه وأطعَمَني، ثمَّ أخرجَ لي صُرَّةً فيها ثلاثونَ دِيناراً مِنْ غيرِ أنْ أذكرَ لهُ شيئاً مِنْ حالِنا، إلّا ابتداءً منهُ، وقال: اقرأْ على أبيكَ السَّلامَ، وقُلْ له: إنَّا جَعَلْنا لهُ شِركاً في كُلِّ شيءٍ مِنْ تَجْرِنَا[٢]، وهذا نصيبُه منهُ[٣].

وعن شقيقٍ البَلْخيِّ قالَ: كنتُ في بيتي قاعداً[٤] فقالَ لي أهلي: قَدْ[٥] ترى ما بهؤلاءِ الأطفالِ منَ الجُوعِ، ولا يحِلُّ لكَ أنْ تحملَ عليهِم ما لا طَاقَة لهم به[٦] قال: فتوضأتُ، وكانَ لي صديقٌ لا يزالُ يقسِمُ عليَّ باللهِ: إنْ تكن[٧] لي حاجةٌ أنْ أُعلِمَه بها، ولا أكتمَها عنه، فخطرَ ذكرهُ ببالي، فلما خرجتُ من المنزلِ مررتُ بالمسجدِ، فذكرتُ ما رُوي عن أبي جعفرٍ[٨] قالَ: مَنْ عَرَضتْ له حاجةٌ إلى مخلوقٍ، فليبدأ فيها باللهِ عزَّ وجَلّ. فدخلتُ المسجدَ فصليتُ[٩] ركعتينِ، فلمَّا كنتُ في التَّشهُّدِ أُفرِغَ

---

(١) في (س): «إليه بسوقه».

(٢) في (ش) وحاشية (س): «متجرنا».

(٣) أخرج القصة ابن عساكر من وجهين في «تاريخ دمشق» (١٩/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) بسياق أطول من هذا، وهي في كتاب «المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات» لابن بشكوال (٦٣).

(٤) في (س): «جالساً».

(٥) في (صل): «ترون».

(٦) «به» من (س) وسقطت من سائر النسخ.

(٧) في (صل): بالياء والتاء، والمثبت من (ش)، وفي (ف) و(س): بالياء.

(٨) هو محمد الباقر رضي الله عنه.

(٩) في (ف) و(س): «وصليت».

عليَّ النومُ، فرأيتُ في منامِي أنَّه قيلَ لي: يا شقيقُ أَتَدُلُّ العبادَ على اللهِ ثمَّ تنساهُ؟! فاستيقظتُ، وعلمتُ أنَّ ذلك تنبيهٌ يُنَبِّهُني[١] به ربِّي، فلمْ أَخْرُجْ[٢] منَ المسجدِ حتَّى صلَّيتُ العِشاءَ الآخرةَ، ثمَّ انصرفتُ إلى المنزلِ، فوجدتُ الذي أردتُ أنْ أقصِدَه قَدْ حَرَّكهُ اللهُ، وأجرى لأهلي على يديهِ ما أغنَاهُم[٣].

وعنْ إبراهيمَ بنِ أدهمَ أنَّه خرجَ إلى الغزوِ[٤] مع أصحابِه، وأنَّهم تناهَدُوا[٥]، فوضعَ كلُّ واحدٍ منهم ديناراً، ففكَّر[٦] فيمنْ يقصِدُ من إخوانِه ويستقرضُ منه، ثمَّ استفاقَ وبكى، وقال: واسوءَتاه! أطلبُ من العبيدِ وأتركُ مولاهم، فيقولُ لي: مَنْ كانَ أحقَّ أن تطلبَ منه، أنا أو عَبدي؟ ثمَّ توضَّأ، وصلَّى[٧] وخَرَّ، ساجِداً، وقالَ: يا ربِّ قد علمتَ ما كانَ مني، وذلكَ بخطَئِي وجَهْلِي، فإنْ عاقَبتني عليه فأنا أهلٌ لذلكَ، وإنْ عفوتَ عَنِّي فأنتَ أهلٌ لذلكَ،

---

(١) في (ف) و(س): «نبهني».

(٢) في (صل): «فلم أزل أخرج».

(٣) ذكرها ابن بشكوال في كتاب «المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات» (٦٤)، نقلها من كتاب «التسلّي» ليونس بن عبد الله. وكتب أحدهم رحمه الله تعالى في حاشية (ف) هنا: «الحمد لله تعالى على إلهامه وتبشيره، واللهِ أحجُّ إن شاء الله تعالى». وأقول: «الحمد لله تعالى على فضله وكرمه، اللهم أعطني من خزائن فضلك وجودك».

(٤) في (ش) و(س): «للغزو» بدل من «إلى الغزو».

(٥) النَّهْدُ: ما تخرجه الرفقة عند الغزو، وهو أن يقسموا نفقتهم بينهم بالسوية حتى لا يتغابنوا، ولا يكون لأحدهم على الآخر فضل ومنة.

(٦) في حاشية (س): «فذكر» إشارة إلى نسخة.

(٧) زاد في (ف): «ركعتين» وعليها إشارة نسخة.

وقد عرفتَ حاجَتي فاقْضِها برحمَتِكَ، ثمَّ رفعَ رأسَه فإذا هُو بنحو[١] أربع مئة دينارٍ، فتناولَ منها دِيناراً واحِداً وذَهَبَ[٢].

وعن أصبغَ بن زيدٍ[٣] قال: مكثتُ أنا ومَنْ عِندي ثلاثاً لم نَطْعَم شيئاً، فخرجتْ إليَّ ابنتي الصَّغيرةُ، فقالت: يا أبَهَ الجوعُ[٤]! فأتيتُ[٥] الميضأةَ، فتوضأتُ، وصلَّيتُ ركعتينِ، وأُلهِمْتُ دعاءً دعوتُ به، وفي آخِره: اللهمَّ افتحْ عليَّ منكَ رِزقاً لا تجعل لأحدٍ عليَّ فيه مِنَّةً، ولا لكَ عليَّ في الآخرةِ فيهِ تَبِعةٌ، برحمَتِك يا أرحمَ الرَّاحمين، ثم انصرفتُ إلى البيتِ، فإذا ابنتي الكبيرةُ قد قامتْ إليَّ، وقالتْ: يا أبة[٦] جاءَ عمِّي الساعةَ بهذه الصُّرَّةِ من الدراهمِ، وبحمَّال عليه دقيقٌ، وحَمَّالٍ عليه مِنْ كلِّ شيء في السُّوقِ، وقالَ[٧]: أقرئوا أَخِي السلامَ وقُولوا له: إذا احتجتَ إلى شيءٍ فادعُ بهذا الدُّعاءِ تأتِكَ حاجَتُك. قالَ أصبغُ: ولا واللهِ ما كانَ لي[٨] أخٌ قطُّ، ولا أعرِفُ مَنْ كانَ هذا القائل، ولكنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[٩].

---

(١) في (ش): «بنحو من».

(٢) ذكرها ابن بشكوال في «المستغيثين بالله» (٧٠). وكتب أحدهم رحمه الله على حاشية (ف): «قناعة عظيمة من إبراهيم بن أدهم». وفي حاشية (ش): «بلغ [مقابلة] بأصله».

(٣) هو الورّاق، شيخ يزيد بن هارون. يتصحف إلى: «ابن يزيد».

(٤) «يا أبة» هكذا رسمها في (صل) و(ف) و(س)، والضبط من (صل). وهذا موافق لما يقرأ ابن عامر من مثلها في القرآن الكريم، ويقف عليها هو وابن كثير بالهاء. وفي (ش): «يا أبتِ».

(٥) في (س): «فدخلت».

(٦) في (ش): «أبتي».

(٧) في (ش): «وقالوا».

(٨) في (ش) و(س): «من أخ».

(٩) ذكرها ابن بشكوال في «المستغيثين بالله» (٦١).

وعَنْ الحَكَم بن مُوسى قالَ: أصبحتُ يوماً، فقالتْ ليَ المرأةُ: ليسَ عندَنا دقيقٌ ولا خبزٌ، فخرجتُ ولا أقدرُ[١] على شيءٍ، فقلت في الشَّارع: اللهمَّ إنكَ تعلمُ[٢] أنِّي أعلمُ أنَّكَ تعلمُ أنه لا دقيقَ لي ولا خبزٌ ـ أو قالَ: ولا دراهم ـ فَأْتِنا بذلكَ. فلقيني رجلٌ فقالَ: خُبزاً تريدُ؟ أو دقيقاً؟ فقلتُ له: أحدَهما. ثمَّ مشيتُ نهاري أجمع، لا أقدرُ على شيءٍ، فرجعتُ. فقدَّمَ إليَّ أهلي خُبزاً ولحماً واسِعاً، فقلتُ: مِنْ أينَ هذا لكم؟! قالُوا[٣]: مِنَ الذي وجَّهتَ بهِ. فسَكتُّ[٤].

وعنْ الأوزاعيِّ قالَ: رأيتُ رجُلاً في الطَّوافِ، وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ، وهُو يقول: يا رب إني فقيرٌ كما تَرى، وصِبيتي قَدْ عَرُوا كما تَرى، وناقتي قَدْ عَجِفَت[٥] كما تَرى، فما تَرى فيمَا تَرى يا مَنْ يَرى ولا يُرى؟ فإذا[٦] بصوتٍ مِنْ خَلْفِه: يا عاصم! يا عاصم! الحقْ عمَّكَ فقدْ هَلَكَ بالطَّائِفِ، وقدْ خلَّفَ ألفَ نعجةٍ، وثلاثَ مئة ناقةٍ، وأربعَ مئة دينارٍ، وأربعةَ أَعْبُدٍ وثلاثةَ أسيافٍ يمانيَةٍ، فامضِ فخُذْها، فليسَ له وارثٌ غيرُك. قال: فقلتُ له: يا عاصم، إنَّ الذي دعوتَه[٧] لقدْ كانَ قريباً منكَ. قال: يا هَذا أما سمعتَ قولَه تعالى[٨]: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦][٩].

---

(١) في (صل): «فلا أقدر».

(٢) في (س): «إن كنت تعلم»! وليس بصواب.

(٣) في (ش) و(س): «فقالوا».

(٤) أخرجه ابن بشكوال في «المستغيثين بالله» (١٠٤).

(٥) أي أصابها الهُزَال والضعف. وفي (ب): «عجزت».

(٦) في (ف): «فإذا هو». وفي (صل): «ثمَ فإذا».

(٧) في (ف) و(س): «دعوت».

(٨) في (س): «الله يقول».

(٩) أخرجه ابن بشكوال في «المستغيثين بالله» (٤٠). وكتب أحدهم رحمه الله في حاشية (ف): «قصة غريبة».

والآثارُ والحِكاياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ جِداً، يطولُ الكِتابُ بذِكرِها، وهي موجودةٌ في مثلِ كتابِ «الفَرَجِ بعدَ الشِّدَّةِ»، وكتابِ «مجابي الدَّعوةِ» لابن أبي الدُّنيا، وفي كتاب «المُسْتَصْرِخينَ باللهِ عندَ نُزولِ البَلاءِ» للقاضِي أبي الوَليدِ بنِ الصَّفَّارِ[1]، وكتابِ «المستغيثينَ باللهِ عندَ البلاءِ» للحافظِ أبي القاسم ابن بَشْكُوال[2] الأندلُسِيَّينِ، وفي غَيرِها من كُتبِ الزُّهدِ والرقائقِ والتواريخِ وغيرِها.

وروى الشيخُ أبو الفَرَجِ في «تاريخهِ الكبيرِ» بإسنادِه عَنْ الحسنِ بن سُفيان النَّسَوي[3] الحافظِ أنَّه كانَ مقيماً بمصرَ مع جماعةٍ من أصحابهِ يكتبونَ الحديثَ، فاحتاجُوا فباعُوا ما مَعَهم حتَّى لم يبقَ لهم ما يُباع، وبقُوا ثلاثةَ أيامٍ جِياعاً لا يجدونَ شيئاً يأكلونَ، وأصبحوا في اليومِ الرابعِ وقَدْ عزموا على المسألةِ لشدَّةِ الضَّرورةِ، فاقترعُوا على مَنْ يسألُ لهم، فخرجتْ القرعةُ على الحسنِ بنِ سفيانَ، قال: فتحيَّرتُ ودُهِشْتُ، ولم تسامِحْني نَفْسي بالمسألةِ، فعَدَلتُ إلى زاويةِ المسجدِ أصلِّي ركعتينِ طويلتينِ، وأدعُو اللهَ عزَّ وجَلَّ لكشفِ الضُّرِّ وسياقَةِ الفَرَجِ، فلمْ أفرَغْ مِنَ الصَّلاةِ حتَّى دَخَلَ المسجدَ رجلٌ معه خادمٌ في يدهِ مِنْدِيلٌ، فقال: من مِنْكم الحسنُ بنُ سفيان؟

---

(١) هو قاضي قرطبة، المحدِّث الإمام، أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مُغِيْث، المتوفى سنة (٤٢٩هـ) رحمه الله تعالى، ولا أعلم عن وجود كتابه شيئاً.

(٢) في (ف) و(س) و(ب): «نزول البلاء». وليس ذلك في اسم الكتاب، بل اسمه «كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات، والمتفرغين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات، وما يسَّر به الكريم لهم والإجابات والكرامات». والحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوال توفي سنة (٥٧٨هـ) رحمه الله تعالى، وكتابه طبع في مدريد سنة (١٤١١هـ).

(٣) في (صل) و(س) و(ب): «الفسوي»، وفي (ش) غير واضحة، والمثبت من (ف) موافقاً لما في «المنتظم»، وكلاهما صحيح، وهذه النسبة إلى مدينة (نسا) في فارس، وهي بالعربية مثلثة الباء والنون والفاء. وفي حاشية (ف): «قصة أغرب».

فرفعتُ رأسِي مِنَ السُّجود، وقُلتُ: أَنَا. فقالَ: إنَّ الأميرَ ابنَ طُولون يقرئُكم السَّلامَ والتَّحِيَّة، ويعتذرُ إليكُم في الغَفْلةِ عَنْ تَفَقُّدِ أحوالِكم، والتقصيرِ الواقعِ في رعايةِ حُقُوقِكُم، وقدْ بعثَ إليكُمْ بما يَكْفِي نَفَقَةَ الوَقْتِ، وهو زائرٌ لكمْ غَداً ومعتذرٌ[1] إليكمْ بلفْظِه، ووضع بينَ يدي[2] كلِّ واحدٍ منا صُرَّةً فيها مئةُ دينار. قالَ: فتعجَّبْنا، وسألنَاهُ عن السَّبَبِ، فقال: إنَّه كانَ اليومَ نائِماً، فرأى فارِساً في الهواءِ يقولُ له: قُمْ فأدرِك الحسنَ بنَ سُفيان وأصحابَه، فإنَّهم منُذ ثلاثةِ أيَّامٍ جياعٌ في المسجدِ الفُلانيِّ، فقالَ له: مَنْ أنتَ؟ قالَ: أنَا رضْوان صاحبُ الجنَّة. قالَ الحسنُ: فشَكَرْنا اللهَ عزَّ وجَلَّ، وأصلَحْنا أحوالَنا وسافَرنا تلكَ الليلةَ مِنْ مِصَرَ خشيةَ أن يَزُوْرَنا الأميرُ فيطَّلِعَ الناسُ على أسرارِنا، فيكونَ ذلكَ سببَ ارتفاعِ اسمٍ وانبساطِ جاهٍ، ويتصل ذلك بنوعٍ من الرياءِ والسُّمْعَةِ[3].

ورَوى أيضاً بإسنادٍ له عنْ محمدِ بنِ هارونَ الرُّويانيِّ أنَّه اجتمعَ هو، ومحمدُ بن نَصْر المروزيُّ، ومحمدُ بنُ علويه الورَّاق، ومحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزيمةَ، فذكرَ معنى هذهِ الحكايةِ وأنَّ المصلِّي والداعي كانَ هو ابنَ خزيمة[4].

وبإسنادٍ آخرَ أنَّ الأربعةَ كانوا: محمدَ بنَ جريرٍ، ومحمدَ بنَ نصرٍ، ومحمدَ بنَ خُزيمةَ، ومحمدَ بنَ هارون[5].

* * *

(١) في (صل) و(ب): «ويعتذر».

(٢) في (ف): «في يد»، وفي (س): «بيد».

(٣) أخرجها ابن الجوزي في تاريخه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٣/ ١٥٨) في سياق طويل جداً. وكتب أحدهم رحمه الله في حاشية (ف): «حكاية غريبة جداً».

(٤) «المنتظم» لابن الجوزي (١٣/ ٢٣٤).

(٥) في حاشية (س) و(ب): «بلغ مقابلة». وهذه الرواية في «المنتظم» (١٣/ ٢٣٥).

وقولُه ﷺ: «وإذا استَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله»: لمَّا أَمرَ عليه السَّلامُ بحفظِ اللهِ والتَّعرفِ إليهِ في الرَّخاءِ، وذلكَ هو العبادةُ حقيقةً، ثم أَرشَدَ إلى سؤالِ اللهِ وحدَه، ودعائِه، والدعاءُ هو العِبادةُ، كما في حديث النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ عن النبيِّ ﷺ ثمَّ قرأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] الآية[١] خرَّجه أهلُ السُّنَنِ الأربعةِ[٢]: أَرشدَ بعدَ ذلكَ إلى الاستعَانةِ باللهِ وحدَه، وهذا مُنتَزَعٌ مِنْ قولِهِ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهي كلمةٌ عظيمةٌ جامعةٌ. يُقال إنَّ سِرَّ الكُتُبِ الإلهيَّة كلِّها يَرجع إليها ويَدور عليها[٣].

وفي استعانةِ اللهِ وحدَه فائدتانِ:

**إحداهُما**: أنَّ العبدَ عاجزٌ عن الاستقلالِ بنَفْسِه في عَمَلِ الطاعات.

**والثانيةُ**: أنَّه لا مُعينَ له على مصالحِ دينِه ودنياهُ إلا اللهُ عزَّ وجَلَّ، فمَنْ أعانَه اللهُ فهُو المُعَانُ، ومَنْ خَذَلَه اللهُ فهو المخذُول.

وفي الحديثِ الصَّحيحِ عن النبيِّ ﷺ: «احرصْ[٤] على ما ينفَعُك، واستَعِنْ باللهِ ولا تعجِزْ»[٥].

وكانَ ﷺ يقولُ في خُطْبَتِه ويُعلِّمُ أصحابَه أنْ يقولُوا: «الحمدُ لله نَسْتَعينُه ونَستَهْدِيه»[٦].

---

(١) وتتمة الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وهنا موضع الاستدلال.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٤)، والترمذي (٢٩٦٩)، (٣٢٤٧) وقال: «حسن صحيح» والنسائي في «الكبرى» (١١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

(٣) في (ش) و(ف) و(س): «ترجع إليها وتدور عليها».

(٤) سبق قلم ناسخ (طمل) فكتب: «استَعِنْ بالله».

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في (س): «إن الحمد». وأخرج لفظ الاستعانة والاستهداء في خطبته ﷺ الشافعي رحمه الله (ترتيب =

وفي دُعاءِ القُنوتِ الذي كانَ يدعُو به[١] عُمَرُ رضي الله عنه وغيرُه: اللهمَّ إنَّا نستَعِينُكَ ونستَهْدِيكَ[٢].

وأمرَ معاذَ بنَ جبلٍ أنْ لا يدعَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ أنْ يقولَ: «اللهمَّ أعنِّي على ذِكرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِك»[٣].

وكانَ مِنْ دُعائه ﷺ: «ربِّ أعنِّي ولا تُعِنْ عَليَّ»[٤].

وفي الأَثرِ المعروفِ، ويقالُ: إنَّ موسى عليه السَّلام قالَه لمَّا ضَرَبَ البحرَ فانفَلَقَ: «اللهمَّ لكَ الحمدُ، وإليكَ المُشْتكى، وأنتَ المستَعَانُ، [وبكَ المُسْتَغاثُ][٥]، وعليكَ التُّكلان، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله»[٦].

فالعبدُ محتاجٌ إلى الاستعانةِ باللهِ في فعلِ المأموراتِ، وفي تركِ المحظوراتِ، وفي الصَّبرِ على المقدُوراتِ، كما قالَ يعقوبُ عليه السَّلام لبنيهِ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ

---

= المسند للسندي ٤٢٧)، ومن طريقه: البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٦٤٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) في (ب): «يقنت به» بدل «يدعو به».

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٤٩٧٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ووقع في (صل): «وعلم الحسن بن علي أن يقول في دعائه في قنوت الوتر: اللهم...».

(٣) أخرجه من حديث معاذ رضي الله عنه: الإمام أحمد (٢٢١١٩)، (٢٢١٢٦)، وأبو داود (١٥١٧)، والنسائي في «الكبرى» (٩٩٣٧).

(٤) أخرجه من حديث ابن عباس رضي الله عنه: الإمام أحمد (١٩٩٧)، وأبو داود (١٥٠٥)، والترمذي (٣٥٥١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٤٣)، وابن ماجه (٣٨٣٠).

(٥) لا توجد في (صل) و(س)، ولا عند الطبراني.

(٦) في (صل) و(ش) و(س) و(ب): «بك». أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٩٤)، و«الصغير» (٣٣٩) وليس عنده: «وبك المستغاث»، وعنده: «ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». وأخرجه البيهقي في «الدعوات» (٢٦٤) وذكر «وبك المستغاث». ولا يوجد عندهم: «وعليك التكلان».

﴿ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] ولهذا قالتْ عائشةُ هذه الكلمةَ لمَّا قالَ لها أهلُ الإفكِ ما قالُوا، فبرَّأها اللهُ ممَّا قالُوا(١).

وقالَ موسى لقومِهِ: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقالَ اللهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢](٢).

ولمَّا بَشَّرَ النبيُّ ﷺ عُثمانَ بالجنَّةِ على بَلْوى تُصِيبُه قال: «اللهُ المستعانُ»(٣).

ولمَّا دَخَلُوا على عثمانَ، وضَرَبوهُ جعلَ يقولُ ـ والدماءُ تسيلُ عليه ـ: لا إلهَ إلا أنتَ سُبحانكَ إنِّي كنتُ مِنَ الظَّالمينَ، اللهمَّ إنِّي أَستَعْدِيك(٤) عليهم، وأستعينُكَ على جميعِ أمُوري، وأسألُكَ الصَّبرَ على ما ابتليتَنِي(٥).

ورُوِيَ عنْ أبي طلحةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ في بعض غَزَواتِهِ حينَ لَقِيَ العدوَّ: «يا مالكَ يومِ الدِّينِ إيَّاكَ نعبدُ وإياكَ نستعين». قالَ أبو طلحة: فلقدْ رأيتُ الرِّجال تُصْرَع. خَرَّجَه أبو الشَّيخِ الأصبهانيُّ(٦).

---

(١) حديث الإفك أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها (٢٦٦١).

(٢) انفرد حفص بقراءة: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾، والباقون: ﴿قُلْ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾. وقد جاءت في نسخنا جميعاً على قراءة الجمهور، وهو المناسب للسياق الذي يريده المصنف رحمه الله.

(٣) أخرجه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: البخاري (٣٦٩٣) (٦٢١٦) ومسلم (٢٤٠٣).

(٤) تصحف في (س) إلى: «أستعينك» وفي (ف) إلى: «أستعيذُ بك».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٤٩)، ومن طريق ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٤٠١). وفي (ب): «أبليتني» بدل «ابتليتني».

(٦) كتب أحدهم في حاشية (ف): «دعاء لطيف». والحديث أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨١٦٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٤).

فالعبدُ محتاجٌ إلى الاستعانةِ باللهِ في مصالحِ دينهِ وفي مصالحِ دنياه، كما قالَ الزُّبيرُ في وَصيَّتِهِ لابنهِ عبدِ اللهِ بقَضاءِ دَيْنِه: إنْ عَجَزْتَ فاستعنْ بمولاي. فقالَ: يا أبتِ مَنْ مولاكَ؟ قال: الله. قالَ: فمَا وقعتُ في كُرْبَةٍ من دَينهِ إلَّا قُلتُ: يا مولى الزُّبيرِ اقضِ عنهُ دَينَه فيقضِيه[١].

وقالَ عُمر بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنه في أَوَّلِ خُطبةٍ خَطَبَها على المنبَرِ: ألا إنَّ العَرَبَ جَمَل أَنِفٌ[٢] قَدْ أخذتُ بخطامِه، ألا وإنِّي حامِلُه على المحجَّة، ومستعينٌ باللهِ عليهِ[٣].

وكذلكَ يحتاجُ العبدُ إلى الاستعانَةِ باللهِ على أهوالِ ما بينَ يديهِ مِنَ الموتِ وما بَعْدَه.

لما احتُضِرَ خالدُ بنُ الوليدِ قالَ رجلٌ ممَّنْ حَوْله: واللهِ إنَّه ليسوؤُه ـ يعني الموتَ ـ فقال خالدٌ: أَجَل، فأستعينُ اللهَ عزَّ وجَلَّ[٤].

وبَكى عامرُ بنُ عبدِ اللهِ بن الزُّبيرِ عندَ موتهِ، وقالَ: إنَّما أبكي على حَرِّ النَّهارِ، وبَردِ القيامِ ـ يعني صيامَ النَّهارِ وقيامَ الليل ـ قال: وإنِّي أستعينُ اللهَ على مصرعي هذا بينَ يدَيه[٥].

---

(١) «دينه فيقضيه» سقطت من (صل) و(ش) و(س). والحديث أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما (٣١٢٩).

(٢) الجمل الأَنِف هو الذي يشتكي أنفه، لذا إنْ قيدَ انقادَ، للوجع الذي فيه، فهو منقاد ذلول.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» في الباب ٥٤ (ص: ١٦١ ـ ١٦٢). وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣١٤٠) بلفظ قريب.

(٤) في (س): «بالله». أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٣٣)، وقد تصرف ناشره في النص، فقرأ «أجل»: رَجُل، ثمَّ غيَّر «أستعين» ـ وهي ثابتة في المخطوط ـ لتناسب سياق ما قرأه إلى: فاستعن!! فصارت من كلام الرجل! وهي كلام سيف الله المسلول. والله المستعان.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٧٧). ومن طريقه: البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٤٩).

ومِنْ كلامِ بعضِ المتقدِّمين: يا ربِّ عَجِبْتُ لمنْ يعرفُكَ كيفَ يرجُو غيرَك! عجبتُ لمنْ يعرفُكَ كيفَ يستعينُ بغيرِك![1]

وكتبَ الحسنُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحِمهما اللهُ تعالى: لا تستعنْ بغيرِ اللهِ فَيكِلَكَ اللهُ إليهِ[2].

وقالَ بعضُهُم:

فاستَغْنِ باللهِ واستَعِنْه ... فإنَّه خيرُ مُستَعانِ[3]

**قولُه ﷺ: «جَفَّ القَلَمُ بما هُو كَائِنٌ»** وفي الرِّوايةِ الأُخرى: «رفعت الأقلامُ وجَفَّت الكُتُبُ»، وفي الرِّوايةِ الأُخرى: «وجفَّت الصُّحُفُ» كلُّهُ كنايةٌ عنْ نفوذِ المقاديرِ وكتابَتِها جميعِها في كتابٍ جامعٍ منْ أمدٍ بعيدٍ، فإنَّ الكِتابَ إذا كُتِبَ وفُرِغَ مِنْ كتابَتِهِ، وبَعُدَ عهدُه فقدْ رُفعت الأقلامُ عنهُ، وجَفَّت الأقلامُ التي كُتِبَ بهِ مِنْ مِدَادِها، وجَفَّتْ الصَّحِيفَةُ المكتوبُ فيها بالمِدَادِ المكتوبِ به فيها، وهذا مِنْ أَحْسَنِ الكِنَاياتِ وأَبْلَغِها.

وقدْ دَلَّ الكتابُ والسنن[4] الصَّحيحةُ على مِثْلِ هذا المعنى، قالَ اللهُ عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

---

(١) علق أحدهم على حاشية (ف): «توحيد محض فاعلم». أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٢٢) مما سمعه وهيب بن الورد رحمه الله، وقد أورده المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٢).

(٢) سقط هذا الأثر من (صل). وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٢).

(٣) ذكره المستعصمي في «الدر الفريد» (٥/ ١٤٠) منسوباً إلى علي رضي الله عنه.

(٤) في (ف) و(س): «والسنة».

قالَ الضَّحاكُ عن ابنِ عَبَّاسٍ: إنَّ اللهَ خلقَ القَلَم فأمَره ليجري[١] بإذْنِه، وعِظَمُ القَلَمِ كقَدْرِ ما بينَ السَّماءِ والأَرضِ، فقالَ القلمُ: بمَ يا ربّ أَجري؟ قالَ: بما أنا خالقٌ وكائنٌ في خَلْقِي مِنْ قَطْرٍ أو نَباتٍ أو نَفْسٍ أو أثرٍ ـ يعني بهِ العَمَلَ ـ أو رزقٍ أو أَجَلٍ فجرى[٢] القلمُ بما هُو كائِنٌ إلى يومِ القِيامةِ، فأثبَتَه اللهُ في الكتابِ المكنُونِ عندَه تحتَ العَرْشِ[٣].

ورَوى أبو ظَبْيَان عنْ ابنِ عبَّاسٍ: إنَّ أَوَّلَ شيءٍ خلَقَهُ اللهُ القلمُ، فقالَ لهُ: اكتبْ. قالَ: وما أكتب؟ قال: القدر. فجَرى بما هُو كائنٌ إلى أنْ تقومَ السَّاعةُ، ثمَّ قَرأ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١][٤].

وروى أَبو الضُّحَى عن ابنِ عباسٍ نحوَه أيضاً[٥].

ورُوِيَ حديثُ أبي الضُّحى مَرفوعاً ولا يثبتُ رَفْعُه[٦].

وروى ابنُ بطة بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي هُريرة مرفوعاً: «أَوَّلُ شيءٍ خلَقَه اللهُ القلمُ، ثمَّ خلقَ النُّونَ، وهي الدَّواةُ، ثم قال: اكتبْ؟ قال: ما أكتبُ؟ قال: اكتبْ ما هُو

---

(١) في (س): «أن يجري».

(٢) في (صل): «وجرى».

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٥٩٥) في حديث طويل.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٨) وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣) وغيرهما. وقراءة ابن عباس للآية عند ابن منده في «التوحيد» (١٢).

(٥) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٨٢) (٣٤٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٣٦٧) (١٣٦٨) (١٣٦٩).

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٢٢٧) وقال: «لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمَّل بن إسماعيل». وهو صدوق لكنه سيء الحفظ.

كائنٌ إلى يومِ القِيامةِ، فذلكَ قولُه عزَّ وجَلَّ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] ثمَّ ختمَ على القَلَمِ، فلم ينْطِقْ ولا يَنْطِقُ إلى يومِ القيامةَ»(١).

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والترمذيُّ مِنْ حديثِ عُبَادةَ بنِ الصَّامتِ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ أولَ ما خلقَ اللهُ القلمُ، ثم قالَ: اكتبْ فجَرى في تلكَ الساعةِ بما هُو كائنٌ إلى يومِ القِيامة»(٢).

وفي صحيحِ مسلمٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ كتبَ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يخلقَ السماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سَنةٍ»(٣).

وخَرَّجَ الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ والترمذيُّ من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ قال: «خرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ وفي يدِه كتابانِ، فقال: أتدرونَ ما هذانِ الكتابان؟ قُلْنا: لا يا رسولَ اللهِ إلا أنْ تُخبرَنا، فقالَ للذي في يده اليُمنى: هذا كتابٌ من ربِّ العالمين، فيه أسماءُ أهلِ الجنَّةِ وأسماءُ آبائِهم وقبائِلهم، ثم أُجمِلَ على آخرهم، فلا يُزادُ فيهم ولا يُنقَصُ منهم أبداً، ثمَّ قالَ للذي في شِماله: هذا كتابٌ منْ ربِّ العالمين فيه أسماءُ أهلِ النَّارِ وأسماءُ آبائِهم وقبائِلهم، ثمَّ أُجْمِلَ على آخرهم فلا يُزادُ فيهم ولا ينقصُ منهم أبداً، فقال أصحابُه: ففيمَ العملُ يا رسولَ الله إنْ كانَ أمرٌ قدْ فُرِغَ منه؟ فقال: سَدِّدوا وقارِبوا، فإنَّ صاحِبَ الجنَّةِ يُختَمُ له بعملِ أهلِ الجنَّةِ، وإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ، وإنَّ صاحِبَ النَّارِ يُختَمُ له بعَمَلِ أهلِ النَّار وإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ، ثمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٣٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٧٠٥) (٢٢٧٠٧)، وأبو داود (٤٦٦٨)، والترمذي (٢١٥٥) (٣٣١٩) وقال: «حسن غريب».

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

بيديه[١] فنَبَذَهُما، ثم قال: فَرَغَ رَبُّكَ[٢] مِنَ العِبادِ فريقٌ في الجنَّةِ وفريقٌ في السَّعِير»[٣].

وخَرَّجَ الإمامُ أحمدُ مِنْ حديثِ أبي الدَّرداءِ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «فرغَ اللهُ إلى كلِّ عبدٍ مِنْ خَمْسٍ، من أَجَلِه ورِزْقِهِ وأَثَرِه ومَضْجعه وشَقِيٍّ أو سَعيدٍ»[٤].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ من حديثِ ابنِ مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «خلقَ اللهُ كلَّ نفسٍ وكَتَبَ حياتَها ورِزْقها ومُصابَها»[٥].

وخَرَّجَ مسلمٌ من حديثِ جابرٍ أنَّ رجُلاً قالَ: يا رسولَ اللهِ فيمَ العملُ اليومَ، أفيما جَفَّتْ به الأقلامُ وجَرتْ به المقاديرُ أم فيما يُسْتَقبلُ؟[٦] قال: «لا بلْ فيما جَفَّتْ به الأقلامُ وجرتْ به المقاديرُ» قال: ففيمَ العملُ؟ قالَ: اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ[٧] [٨].

وفي هذا المعنى أحاديثُ كثيرةٌ جِدًّا، وكذلكَ الآثارُ الموقوفَةُ.

---

(١) في (صل): «بيده».

(٢) في «الترمذي»: «ربكم»، واتفقت جميع نسخنا على ما أثبته.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٦٥٦٣)، والترمذي (٢١٤١) واللفظ له وقال: «حديث حسن غريب صحيح»، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٠٩) مختصراً. وآخر الحديث مقتبس من الآية [الشورى: ٧].

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢١٧٢٢) (٢١٧٢٣) من وجهين. وهنا أدرج بين لفظي الوجهين؛ ففي الأول: (عمله)، وفي الثاني: (شقي أو سعيد). فجمع هنا بينهما!

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٤١٩٨)، والترمذي (٢١٤٣). وعند الترمذي: «ومصائبها»، وعند أحمد: «ومصيباتها».

(٦) في مطبوعات «صحيح مسلم»: «نَستقبل».

(٧) زاد في (س): «لما خلق له» وهو من تصرف الناسخ.

(٨) الرجل هو سيدنا سراقة بن مالك بن جعشم رضي الله عنه، والحديث أخرجه مسلم (٢٦٤٨).

وقالَ بعضُهم:

سَـلِّمِ الأمـرَ كـلَّه[١] جَفَّ بالكائِـنِ القَلَـمْ

إنَّ للنَّـاسِ خَـالِـقـاً لا مَـرَدَّ لمـا حَكَـمْ[٢]

* * *

**فـقـولُه ﷺ بعـدَ هَـذا: «فلو أنَّ الخلقَ جميعاً أرادُوا أنْ ينفَعُوكَ بشيءٍ لمْ يقضِهِ اللهُ لكَ لم يَقْدِروا عليه، وإنْ أرادُوا أنْ يضُرُّوكَ بشيءٍ لمْ يكتبْه اللهُ عليكَ لم يَقْدِروا عليه»**: يريدُ بذلكَ أنَّ ما يصيبُ العبدَ مما يضرُّه أو[٣] ينفَعُه في دُنياه فكُلُّه مُقَدَّرٌ[٤] عليه، ولا يمكنُ أنْ يُصيبَه ما لم يكتبْ له[٥] ولم يقدِّرْ عليه، ولو اجتهدَ على ذلكَ الخَلْقُ كلُّهُم جَميعاً.

---

(١) في (صل): «سلم لأمرٍ جفت...» وفي (ش): «سلم الأمر واستعن»، والمثبت من (ف).

(٢) هذان البيتان من جملة أبيات من مجزوء الخفيف لأسامة بن منقذ وهي في «ديوانه»:

«فـوِّض الأمـر راضيـاً جـف بالكائـن القَلَـمْ

ليـس فـي الـرزق حيلـةٌ إنمـا الـرزق بالقِسَـمْ

دَلَّ رزقُ الضعيـفِ وهـ ـو كلحـم علـى وَضَـمْ

وافتقـارُ القـوي تـر هَبـه الأسـد فـي الأجـمْ

أنَّ للخلـقِ خالقـاً لا مـردَّ لمـا حكـم.»

ومن عبر التاريخ: أن هذه الأبيات كانت مكتوبة في ورقة احترقت أطرافها وألقاها الهواء في الجامع الأموي من حريق هائل وقع بدمشق سنة ٦٨١. انظر خبرها في: «ذيل مرآة الزمان»، لليونيني (٤/ ١٤٦)، و«شذرات الذهب»، لابن العماد (٧/ ٦٤٦).

(٣) في (صل): «إما يضره أو ينفعه».

(٤) في (صل): «مقدور».

(٥) في (صل): «عليه».

وقَدْ دَلَّ القرآنُ أيضاً على مِثْلِ هذا في قولِهِ تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقولِهِ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢][1]، وقولِه: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وَخَرَّجَ الإمامُ أحمدُ مِنْ حديثِ أبي الدَّرداءِ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ لكلِّ شيءٍ حقيقةً، وما بلغَ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتَّى يعلَمَ أنَّ ما أصابَه لم يكُنْ ليُخْطِئَه، وما أخطَأَهُ لم يكنْ لِيُصيبَه»[2].

وخَرَّجَ أبو داودَ وابنُ ماجَهْ مِنْ حديثِ زيدِ بنِ ثابتٍ عن النبيِّ ﷺ معناهُ أيضاً[3].

واعلمْ أنَّ مَدارَ[4] جميعِ هذهِ الوصيةِ منَ النبيِّ ﷺ لابن عبَّاسٍ على هذا الأصلِ وما[5] بعدَه وما قبلَه متفرِّعٌ عليهِ وراجعٌ إليه، فإنَّه إذا عَلِمَ العبدُ أنَّه لنْ يُصيبَه إلا ما كَتَبَ اللهُ له مِنْ خيرٍ أو شَرٍّ أو نَفْعٍ أو ضَرٍّ وأنَّ اجتهادَ الخَلْقِ كلِّهم جميعاً على خِلافِ المقدُورِ غيرُ مفيدٍ شيئاً ألبتَّةَ: عَلِمَ حينئذٍ أنَّ الله تَعالى وحدَه هو الضَّارُّ النَّافعُ والمعطي المانعُ، فأوجبَ ذلك للعبدِ توحيدَ ربِّه عزَّ وجَلَّ وإفرادَه بالاستعانَةِ والسُّؤالِ والتَّضَرُّعِ والابتهالِ، وإفرادَه أيضاً بالعبادةِ والطَّاعةِ، لأنَّ المعبودَ إنما يُقصَدُ

---

(١) في (صل) و(ش) إلى قوله: «في كتاب». وفي (ف) إلى قوله: «من قبل». وفي (س) أتم ذكر الآية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٤٩٠).

(٣) أخرجه أبو داود في ضمن حديث لأبي بن كعب رضي الله عنه موقوفاً (٤٦٦٦) مشيراً إلى حديث زيد مرفوعاً. وأورد ابن ماجه (٧٧) لفظه مرفوعاً.

(٤) من عجائب التصحيف ما ورد في (ش): «هذا و» بدلًا من «مدار»!

(٥) في (س): «وما ذكر».

بعبادَتِه جَلْبُ المنافعِ ودَفْعُ المضَارِّ، ولهذا ذَمَّ اللهُ سبحانَه وتعالى مَنْ يعبدُ مَا[١] لا ينفعُ ولا يَضرُّ ولا يُغني عَنْ عابِدِهِ شَيئاً.

وأَيضاً فكثيرٌ ممَّن لا يحقِّقُ الإيمانَ في قلبِهِ يقدِّمُ طاعَةَ مخلوقٍ على طاعَةِ اللهِ رجاءَ نَفْعِه أو دَفْعاً لضرِّهِ، فإذا تحقَّقَ العبدُ تفرُّدَ اللهِ وحدَهُ بالنَّفْعِ والضرِّ، وبالعَطاءِ والمنْعِ أوجبَ ذلكَ إفرادَه بالطَّاعَةِ والعِبادَةِ وتقديمَ طاعَتِه على طاعةِ الخَلْقِ كلِّهِمْ جميعاً، كما يُوجِبُ ذلكَ أيضاً إفرادَه سُبحانه بالاستِعَانةِ بهِ والطَّلَبِ مِنْه.

وقد اشتَمَلتْ هذهِ الوصيَّةُ العظيمةُ الجامعةُ على هذِهِ الأمورِ المهمَّةِ كلِّها، فإنَّ حِفْظَ العبدِ للهِ عزَّ وجَلَّ هو حِفْظُ حُدودِه ومراعاةُ حقوقِهِ، وهُو حقيقةُ عبادَتِه، وهُوَ أَوَّلُ ما صَدَرتْ به هذهِ الوصيَّةُ، ورَتَّبَ على ذلكَ حِفْظَ اللهِ لعبدِه، وهو نهايةُ ما يَطْلُبه[٢] العبدُ مِنْ ربِّه ويُريدُه منه، ثمَّ عَقَّبَ ذلكَ بذِكرِ التَّعرُّفِ إلى اللهِ في الرَّخاءِ وأنَّه مُقْتَضٍ لمعرفةِ اللهِ لعَبْدِه في الشِّدَّةِ، وهذا هُو مِنْ تَمامِ حِفْظِ اللهِ لعبدِه وداخلٌ فيه، إلا أَنَّ حَالَةَ الشِّدَّةِ لما كانَ العِبَادُ مُضْطَرِّينَ فيها إلى مَنْ يعرِفُهُم ويُفَرِّجُ عنهم خُصَّتْ بالذِّكرِ لهذا المعنَى.

وفي هذهِ الحالةِ يُخْلِصُ المشركونَ الدعاءَ للهِ[٣] وحدَه، ويُفْرِدُونَه بالسُّؤالِ والطَّلَبِ لِعلمِهم أَنَّه لا يكشِفُ الضرَّ سِواه سُبحانه، ثمَّ يعودونَ عندَ كَشْفِ الضرِّ عَنْهم إلى الشِّركِ كما ذَكَرَ سُبحانه ذلكَ عنهُم في مواضعَ مِنْ كتابِه[٤]، وذَمَّهُمْ عليه، فأمرَ

---

(١) سقط من (صل): «يعبد ما».

(٢) في (صل): «يطلب».

(٣) في (صل): «يخلص المشركون لله الدعاء وحده»، وفي (ف): «الدعاء إلى الله وحده».

(٤) من ذلك قول تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٤].

رسولُ[١] اللهِ ﷺ بُمخالَفَتِهم في ذلكَ بالتعرُّفِ إلى اللهِ في حَالِ الرَّخاء، بإخلاصِ[٢] الدِّينِ لهُ وحدَه، وبطاعَتِه والتقرُّب إليه، ليوجِبَ ذلكَ معرفتَه لهم في الشِّدَّةِ وكشفِها عنهُم، ثم عقَّبَ ذلكَ بذكرِ إفرادِ الله بالسُّؤالِ وإفرادهِ بالاستعانةِ، وذلكَ يشمَلُ حالَ الشِّدةِ وحالَ الرَّخاءِ.

ثـم ذكرَ بعدَ هذا كلِّه الأصلَ الجامعَ الذي تَنْبني[٣] عليهِ هذهِ المطالبُ كلُّها، وهو تفرُّدُ اللهِ سبحانَه وتعالى بالضرِّ والنَّفعِ والعَطاءِ والمنعِ، وأنَّه لا يصيبُ العبدَ من ذلكَ كلِّه إلا ما سبقَ تقديرُه وقضاؤه له، وأنَّ الخلقَ كلَّهم عاجِزونَ عنْ إيصالِ نَفْعٍ أو ضُرٍّ غيرِ مقدَّرٍ في الكِتَابِ السَّابِقِ.

وتحقيقُ هذا يقتَضِي انقطاعَ العَبْدِ عن التَّعَلُّقِ[٤] بالخَلْقِ، وعن سُؤالِهم واستعانتِهم ورجائِهم لجَلْبِ[٥] نَفْعٍ أو دَفْعِ ضرٍّ أو خَوفِهم منْ إيصالِ ضرٍّ[٦] أو مَنْعِ نَفْعٍ، وذلكَ يستلزمُ إفرادَ اللهِ سبحانَه بالطَّاعَةِ والعِبَادَةِ أيضاً، وأَنْ تُقَدَّمَ[٧] طاعَتُه على طاعةِ الخَلْقِ كلِّهم جَميعاً، وأنْ يُتَّقَى سَخَطُه وَلَو[٨] كانَ فيه سَخَطُ الخَلْقِ جميعاً.

وقَـدْ جَـاءَ مِـنْ حديـثِ أبي سـعيدٍ مرفُوعـاً: «إنَّ مِـنْ ضَعـفِ اليَقيـنِ أنْ تُرضِيَ

---

(١) في (صل): «فأمر ﷺ»، وفي (س): «فأمره ﷺ».

(٢) في (صل): «وبإخلاص».

(٣) في (ش): «تُبْتَنى».

(٤) في (س): «بالتعلق» وهو خطأ.

(٥) في (ش) و(س): «بجلب».

(٦) تصحفت في (صل) إلى «خير».

(٧) ضبطها في (ش): «يُقَدِّم».

(٨) في (ف): «وإن كان».

الناسَ بسَخَطِ اللهِ، وأَنْ تحمَدَهُم على رِزْقِ اللهِ، وأنْ تَذُمَّهم على ما لَمْ يُؤتِكَ اللهُ. إنَّ رِزْقَ اللهِ لا يَجُرُّهُ حِرصُ حَريصٍ ولا يَرُدُّه كَراهَة[١] كاره».

[رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ منْ قَولِهِ نحوُه[٢]].

ومَا أحسنَ قولَ بعضِهم:

فليتَكَ تحلُو والحياةُ مريرةٌ ... وليتَكَ ترضَى والأنامُ غِضَابُ

وليتَ الذي بيني وبينَكَ عامرٌ ... وبيني وبينَ العالَمين خرابُ

إذا صحَّ مِنْكَ الودُّ فالكلُّ هيِّنٌ ... وكلُّ الذي فوقَ التُّرابِ تُرابُ[٣]

فمَنْ تحقَّقَ أنَّ كلَّ مخلوقٍ فوقَ التُّرابِ فهو ترابٌ فكيفَ يُقَدِّمُ[٤] طاعةَ شيءٍ منَ التُّرابِ على طاعَةِ ربِّ الأرباب؟ أم كيفَ يُرضِي التُّرابَ بسَخَطِ الملكِ الوهَّاب؟ إنَّ هذا لشيءٌ عُجَاب!

وقدْ دلَّ القرآنُ على هذا الأصلِ، وهو تفرُّدُ اللهِ سبحانَه بالعَطاءِ والمنعِ في مواضعَ كثيرةٍ جِداً، كقولِهِ تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ

---

(١) في (س): «كراهية». أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٠٦) (١٠/ ٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٣)، وفيه محمد بن مروان السدي، ضعيف.

(٢) ما بين معقوفين سقط من جميع النسخ. ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» من حديث ابن مسعود مرفوعاً (٢٠٤). ورواه موقوفاً (٢٠٥) من طريق ابن أبي الدنيا في «اليقين» (٣١). وأخرجه هناد بن السري (٥٣٥) موقوفاً كذلك، وسيذكره المصنف (٢/ ١٨٢).

(٣) الأبيات مشهورة من قصيدة لأبي فراس الحمداني، وهي في «يتيمة الدهر» للثعالبي (١/ ٩٥). قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» في منزلة الإيثار (٢/ ٢٨٦): ولقد أحسن أبو فراس في هذا المعنى إلا أنه أساء في قوله إذ يقوله لمخلوق لا يملك له ولا لنفسه نفعاً ولا ضراً». وذكر الأبيات...

(٤) في (ف): «يُقدِم على».

فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢] وقولِه تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]. وقولِه تعالى حاكياً عنْ نبيِّه نوحٍ عليه السَّلام أنَّه قالَ لقومِه: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]، وقولِه تعالى حَاكياً عنْ نبيِّه هُودٍ عليه السَّلام: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦].

وقالَ بعضُهُم:

ما قَدَّرَ اللهُ لي لا بُدَّ يدرِكُني ... مَنْ ذَا الذي يدْفَعُ المقدُورَ بالحَذَرِ

اللهُ أولى بِنَا مِنَّا بأنفُسِنا ... إنْ نَحْنُ إلا مماليكٌ لمقتَدِرِ[1]

وشَكا رَجُلٌ إلى فُضَيْلٍ الفَاقَةَ، فقالَ له فضيلٌ: أُمدبِّراً غيرَ الله تريد؟[2].

وقالَ بعضُهُم:

دَبِّرْ فليسَ بمغنٍ عنكَ تدبيرُ ... وليسَ يعدُوكَ[3] بالتَّدبيرِ تَقْدِيرُ

---

(١) لم أجد البيتين عند غير المصنف رحمه الله. وفي حاشية (ش): «بلغ ثانياً».

(٢) في (صل): «أمدبرٌ»، وفي حاشية (س): «مفعول تريد مقدَّم». والخبر في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٣). وجاء في حاشية (صل): «وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه: إنْ أردتَ أن يدبر، فدبر أن لا تدبر». والكلام لأبي الحسن الشاذلي رحمه الله ذكره ابن عجيبة في شرح الحكمة الرابعة من «الحكم العطائية».

(٣) في (س): «يدعوك»، وفي حاشيتها «يعروك».

إنَّ الأمورَ لها ربٌّ يدبِّرُها فما[١] قضى الربُّ[٢] ساقَتْه المقاديرُ[٣]

* * *

**قوله ﷺ: «واعلمْ أنَّ في الصَّبْرِ على ما تكره[٤] خَيْراً كثيراً»:**

وفي رواية عُمرَ مولى غُفْرَةَ وغيرِه عن ابنِ عبَّاس زيادةٌ قبلَ هذا الكَلامِ وهي: «فإن استطعتَ أنْ تعملَ للهِ بالرِّضا في اليَقِينِ فافعلْ، وإنْ لمْ تستَطِعْ فإنَّ في الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ خَيراً كثيراً»[٥].

ومرادُه باليَقينِ هاهُنا: تحقيقُ الإيمانِ بما سبقَ ذِكره من التَّقديرِ السَّابقِ، كما وَردَ ذلكَ صَريحاً في روايةِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ عن أبيه ـ لكنْ بإسنادٍ ضَعيفٍ ـ، وفي رِوايَته زيادةٌ، وهي: قلتُ: يا رسولَ اللهِ كيفَ أصنعُ باليقينِ؟ قالَ: «أنْ تعلمَ أنَّ ما أصابَكَ لم يكنْ ليُخْطِئَكَ، وأنَّ مَا أَخطأَكَ لمْ يكُنْ لِيُصيبَكَ، فإذا أنتَ أحكمتَ بابَ اليَقينِ»[٦].

فحصُولُ اليقينِ للقلبِ بالقَضَاءِ السَّابقِ والتَّقديرِ الماضِي يُوجِبُ رضا النَّفْسِ بالقَضَاءِ والقَدَرِ وطُمأنِينَتَها به.

وقَدْ دَلَّ القرآنُ على هَذا[٧] المعنى بعَينِهِ في قَولِهِ تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا

---

(١) في (ف): «فمهما».

(٢) في (س): «الرحمن» وفي حاشيتها «الله».

(٣) لم أجد البيتين عند غير المصنف رحمه الله. وفي حاشية (ش): «بلغ ثانياً».

(٤) فسرها في حاشية (س): «النفس».

(٥) سبق في أول الكتاب تخريج هذه الرواية.

(٦) سبق تخريج هذه الرواية في أول الكتاب.

(٧) في (س): «مثل هذا».

فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]. قالَ الضَّحَّاكُ في هَذهِ الآيةِ: عَزَّاهُم (لكَيْلا تأسَوا على مَا فاتكم)[١]: لا تَأسَوا على شَيءٍ منْ أَمْرِ الدُّنيا، فإنَّا لمْ نقدِّرْه لَكُم، (ولا تَفْرَحُوا بمَا آتَاكُم): لا تَفْرَحُوا بشيءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنيا أَعطَيناكُمُوه، فإنَّه لمْ يَكُنْ يُزوى عَنْكم. خَرَّجهُ ابنُ أبي الدُّنيا[٢].

وقالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ في هَذهِ الآيةِ: لكَيْلا تَأسَوا على مَا فَاتَكم مِن العَافِية والخِصْبِ، إذا عَلِمْتُم أَنَّه كانَ مَكتُوباً عَليكُم قَبْلَ أنْ يخلُقَكُم. خَرَّجه ابنُ أبي حاتم[٣].

ومِنْ هَذا المعنى قولُ بعضِ السَّلَفِ: الإيمانُ بالقَدَرِ يُذْهِبُ الهمَّ والحُزنَ[٤].

وقَدْ أشارَ النبيُّ ﷺ إلى ذلكَ بقولهِ في الحديثِ الصَّحيحِ عنه: «احرصْ على ما يَنْفَعُكَ، واستعنْ باللهِ ولا تعجِزْ[٥]، فإنْ أصابكَ شيءٌ فلا تقلْ: لو أنِّي فعلتُ كذا، ولكنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ اللَّو تفتحُ عملَ الشَّيطانِ»[٦]، فأشارَ في هذا الحديثِ إلى أنَّ تذكيرَ النَّفسِ بالقَدَرِ السَّابِقِ عندَ المصائِبِ يُذْهِبُ وساوسَ الشيطانِ الموجبةَ للهَمِّ والحُزْنِ والنَّدمِ على تعاطِي الأسبابِ الدَّافِعَةِ لوُقُوعِها.

---

(١) في (ب) و(ش) و(ف): «يأسوا على ما فاتهم».

(٢) في «القناعة والتعفف» (١٦٩).

(٣) لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم، ونقله مختصراً: الماوردي في تفسيره «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٢). والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٥٨).

(٤) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٧٧) والخطيب في «المتفق والمفترق» (٣٦٧) مرفوعاً من حديث أبي هريرة. والحديث لا يثبت مرفوعاً، لذا اقتصر المصنف رحمه الله على نسبته لبعض السلف.

(٥) في (س): «تعجزن». وفي (ب): «ولا تحزن»، وفي الهامش: «تعجز» وفوقها (خ).

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي (س) و(ف): «فإن لو».

وقالَ أنسٌ: خدمتُ النبيَّ ﷺ عَشْرَ سِنين، فما قالَ لي لشيءٍ فعلتُه: لِمَ فعلَت كَذا وكَذا، ولا لشيء لَمْ أفعَلْه: ألا فعلتَ كَذا. قالَ: وكانَ إذَا لامَني بعضُ أهلِه قال[١]: «دَعُوه، فلو[٢] قُدِّرَ شيءٌ كانَ»[٣]، خَرَّجَه الإمامُ أحمدُ بهذهِ الزيادة.

وَخَرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادٍ فيه نَظَرٌ عَنْ عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عنها قالتْ: كانَ أكثرُ كلامِ النبيِّ ﷺ في بَيْتِهِ إذا خَلا: «مَا قُضِيَ[٤] مِنْ أَمْرٍ يَكُنْ»[٥].

وخَرَّجَ أيضاً حديثاً مُرْسلاً: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لابنِ مَسْعُودٍ: «لا تُكْثِرْ هَمَّكَ، ما يُقَدَّرْ[٦] يَكُنْ، وما تُرزَقْ يأتِكَ»[٧].

وفي حَديثِ أبي هُريرة عن النَّبيِّ ﷺ: «لا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلّا باللهِ دَواءٌ مِنْ تِسعَةٍ وتسعينَ داءً أيسَرُهَا الهَمُّ». خَرَّجَهُ الطَّبرانيُّ والحاكمُ[٨].

فإنَّ تحقيقَ هذهِ الكَلِمَةِ يقتَضِي تفويضَ الأمورِ إلى اللهِ، وأنَّه لا يكونُ إلا ما شاءَه[٩]، والإيمانُ بذلكَ يُذهِبُ الهَمَّ والغَمَّ.

---

(١) في (صل) و(ف) و(ب): «يقول».

(٢) في (ش) و(س): «لو».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٨) (٦٠٣٨) (٦٩١١)، ومسلم (٢٣٠٩)، والإمام أحمد في مواضع كثيرة، وهذه الزيادة في (١٣٤١٨).

(٤) في (س): «قضى الله».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٢) ولفظه: «ما يُقضى من أمر يكون».

(٦) في (س): «قدر».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٢٠) (٢٨).

(٨) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٠٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤١)، وقال: «حديث صحيح ولم يخرجاه».

(٩) في (ب): «شاء».

وقدْ وَصَّى النبيُّ ﷺ رُجلاً، فقالَ له[١]: «لا تَتَّهِم اللهَ في شَيءٍ قَضَاهُ لكَ»[٢].

فإذَا نَظَرَ المؤمنُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ في حِكْمَةِ[٣] اللهِ ورَحمتِه، وأنَّه غيرُ متَّهَمٍ في قَضَائِهِ: دعَاهُ ذلكَ إلى الرِّضَا بالقَضَاء.

وقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قالَ[٤] عَلْقَمَةُ في هَذهِ الآيةِ: هيَ المُصيبَةُ تُصِيبُ الرَّجُلَ فيعلم أنَّها مِنْ عندِ اللهِ، فيسلِّمُ لها ويرضَى[٥].

وفي الحَدِيْثِ الصَّحِيحِ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «لا يقضي اللهُ للمؤمِنِ قضاءً إلا كانَ خَيْراً له، إنْ أصابَتْه سَرَّاءُ شكرَ فكانَ خيراً له، وإنْ أصابَتْه ضَرَّاءُ صَبَر فكانَ[٦] خَيراً له، وليسَ ذلكَ إلا للمُؤمِن»[٧].

وقَدْ دَلَّ القرآنُ على مِثْلِ هذا المعنى في قولِهِ تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥١ ـ ٥٢] الآية. فأخبرَ أنه لن يُصيبَهُم إلَّا ما كَتَبَ لهم،

---

(١) «له» سقطت من (صل) و(س).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٧١٧) من حديث عبادة بن الصامت، و(١٧٨١٤) من حديث عمرو بن العاص. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٥) مرسلاً.

(٣) في (ف): «حكم».

(٤) في جميع النسخ عدا (ب): «وقال».

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٠٣).

(٦) في النسخ: «كان» في الموضعين، والمثبت موافق للرواية.

(٧) لعل في السياق إدراجاً، فأول الحديث أخرج نحوه الإمام أحمد (٢٠٢٨٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وباقيه عند مسلم (٢٩٩٩) وهو من حديث صهيب رضي الله عنه.

فدَلَّ على أنَّه لهم بكُلِّ حَالٍ، سواءٌ كانَ مما يُلائِمُ أو لا يُلائِم، ثم[١] أخبرَ أنَّه تعالى مولاهُم، ومَنْ تولاهُ[٢] اللهُ لمْ يَخْذله، بلْ هُو يتولَّى مصالِحَه، قالَ تعالى: ﴿فَاعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]، ثمَّ عَقَّبَ ذلكَ بقولِهِ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ يعني إمَّا النَّصْرَ والظَّفَرَ، وإمَّا الشهادةَ، وأيَّهما كانَ فهُو حُسْنى[٣].

وخَرَّجَ الترمذيُّ مِنْ حديثِ أنسٍ عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ إذا أحبَّ قوماً ابتَلاهُم، فمَنْ رَضِيَ فلَهُ الرِّضا، ومَنْ سَخِطَ فلَه السَّخَطُ»[٤].

قالَ أبو الدَّرداءِ: إنَّ اللهَ إذا قَضَى قضاءً أحبَّ أنْ يُرضَى به[٥].

وقالتْ أمُّ الدرداءِ: إنَّ الراضينَ بقضاءِ اللهِ الذينَ مَا قُضِيَ[٦] لَهم رَضُوا به[٧]، لهمْ في الجَنَّةِ منازلُ يغْبِطُهم بها الشُّهداءُ يومَ القِيَامَةِ[٨].

وقالَ ابنُ مسعودٍ: إنَّ اللهَ بقِسْطِه وعِلْمِه جَعلَ الرَّوْحَ والفَرَجَ في اليقينِ والرِّضا، وجَعَلَ الهَمَّ والحُزْنَ في الشَّكِّ والسَخَطِ. وقد رُوِيَ هذا مَرفُوعاً مِنْ وَجْهٍ ضَعِيفٍ[٩].

---

(١) في (ب) و(ش) و(ف) و(س): «و».

(٢) في (س): «يتولى».

(٣) تصحفت في (صل) إلى: «خير»، وفي (ف) و(س) ونسخة في هامش (ب) إلى: «حَسَن».

(٤) أخرج الترمذي (٢٣٩٦) وقال: «حسن غريب من هذا الوجه».

(٥) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٤) وهو من آخر ما قاله أبو الدرداء رضي الله عنه كما في «نسخة أبي مسهر» (٢٠) وغيره.

(٦) في (س): «قضاه».

(٧) في (س): «رضوه».

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٨).

(٩) سبقت الإشارة إليه عند تخريج طرف منه (٢/ ١٧٦)، روي نحوه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، =

وكانَ عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يقولُ: لقدْ تَركَتْني هؤلاءِ الدعوات ومَا لي في شيءٍ من الأمورِ أَرَبٌ إلا في مَواقِعِ قَدَرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وكانَ يدعُو بها كثيراً: اللهمَّ رضِّني بقضائِكَ، وبارِكْ لي في قَدَرِكَ، حتَّى لا أحِبَّ تعجيلَ شيءٍ أخَّرتَه ولا تأخيرَ شيءٍ قدَّمْتَه[١].

وقالَ ابنُ عَون: ارضَ بقضاءِ اللهِ على ما كانَ مِنْ عُسْرٍ ويُسْرٍ فإنَّ ذلكَ أقلُّ لهمِّكَ وأبلغُ فيما تَطْلُبُ مِنْ أمرِ آخرتِكَ، واعلمْ أنَّ العبدَ لنْ يُصيبَ حقيقةَ الرِّضا حتَّى يكونَ رِضاهُ عِنْدَ الفَقْرِ والبَلاءِ كرضَاهُ عندَ الغِنى والرَّخاءِ، كيفَ تستَقْضِي اللهَ في أَمْرِكَ ثمَّ تسخَطُ إنْ رأيتَ قضاءَه مُخالفاً لهواكَ؟ ولعَلَّ[٢] مَا هَوِيتَ مِنْ ذلكَ لو وُفِّقَ لكَ لكانَ فيهِ هَلَكَتُك[٣]! وترضَى قضاءَه إذا وافقَ هَواكَ، وذلكَ لِقلَّةِ علمِكَ بالغَيبِ، وكيفَ تستَقْضِيه إنْ كنتَ كذلك! ما أنصفتَ مِنْ نفسِكَ، ولا أصبتَ بابَ الرِّضا[٤].

وهذا كلامٌ حَسَنٌ ومعناه: أنَّ العبدَ إذا استخارَ اللهَ عزَّ وجَلَّ فينبَغِي له أنْ يرضَى بما اختَارَهُ لهُ مِنْ مُوافِقٍ لهواهُ أو مخالفٍ له، لأنَّه لا يدرِي في أيِّهما الخيرةُ له، واللهُ تعالى [أعلمُ، وهو][٥] غيرُ متَّهمٍ في قضائِه لمن استخَارَه[٦].

---

= رواه موقوفاً: هناد بن السري في «الزهد» (٥٣٥)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» ومن طريقه: البيهقي في «الشعب» (٢٠٥)، وأخرجه مرفوعاً البيهقي في «الشعب» (٢٠٤).

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص: ٩٧)، وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤) وغيرهما.

(٢) في (ف): «ولعلَّك».

(٣) في (ف) و(س): «هلاكك». وفي (ب): «هلتك»!.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٦٩).

(٥) ما بين معقوفين من (ش) وحدها. وفي (صل) و(ب): «والله سبحانه غير متهم».

(٦) في حاشية (س): «بلغ».

ومِنْ هاهُنا كانَ طائفةٌ من السَّلَفِ كابنِ مسعودٍ وغيرِهِ يأمرونَ مَنْ يخافُ أنْ لا يَصْبِرَ على ما يُخالِفُ هواهُ مما يختارُ لهُ أنْ يقولَ في استخارَتِه[١]: في عافيةٍ[٢]، فإنَّه قَدْ يختارُ له البلاءَ ولا يصبرُ عليهِ.

وقد رُوِيَ مرفُوعاً مِنْ وَجْهٍ ضعيفٍ[٣].

وعَنْ بكرٍ المزنيِّ أنَّ رجُلاً كانَ يُكْثِرُ الاستخارةَ فابتُلي، فجَزِعَ[٤] ولمْ يصبرْ، فأَوحى اللهُ إلى نبيٍّ مِنْ أنبيائِهم[٥] أنْ قُلْ لعبدِي فلانٍ: إذا لمْ تكنْ[٦] مِنْ أهلِ العزائِم فهلَّا استخرتَني في عافيةٍ؟[٧]

وفي حديثِ سَعْدٍ المرفوعِ: «إنَّ مِنْ سعادَةِ المَرءِ[٨] استخارَتَه ربَّه عزَّ وجَلَّ ورضَاه بما قَضَى، وإنَّ مِنْ شَقَاوَتِه تركَه[٩] الاستخارةَ، وسخَطَه بما قَضَى». خرجه الترمذيُّ وغيره[١٠].

---

(١) في (س): «دعاء استخارته».

(٢) لم أظفر بذلك عن ابن مسعود أو عن غيره، وقد روى دعاءَ الاستخارة عن ابن مسعود موقوفاً وليس فيه هذا اللفظ «في عافية»: عبدُ الرزاق في «مصنفه» (٢٠٢١٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٣٥)، والله أعلم.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٠٥٢) (١٠٤٢١)، وفي «الدعاء» (١٣٠١).

(٤) في (س): «فعجز». تصحيف.

(٥) في (صل): «أنبيائه».

(٦) في (صل) مهملة، والنقط من (ش)، وفي (ف) و(س): «يكن».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٧٧).

(٨) من (صل) وفي غيرها: «العبد».

(٩) في (ف): «ترك»، وفي (س): «شقاوة العبد ترك».

(١٠) أخرجه الترمذي (٢١٥١) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد، =

**وللرِّضا بالقَضَاءِ أسبابٌ:**

* **مِنْها**: يقينُ العبدِ باللهِ وثقتُه بِه بأنَّه[١] لا يَقْضِي للمؤمِنِ قضَاءً إلا وهُو خيرٌ له، فيصيرُ كالمريضِ المستَسْلِمِ للطَّبيبِ الحاذِقِ النَّاصِحِ، فإنَّه يَرْضَى بما يَفْعَلُه به مِنْ مُؤلِمٍ وغيرِه، لثقته بهِ، ويقينِه أنه لا يريدُ لهُ[٢] إلَّا الأصلَحَ، وهذا هُو الذي أشارَ إليه ابنُ عَوْنٍ في كلامِهِ المتقدِّمِ ذِكْرُه.

* **ومِنها**: النَّظَرُ إلى ما وَعَدَ اللهُ مِنْ ثوابِ الرِّضا، وقدْ يَسْتَغْرِقُ العبدُ في ذلكَ حتَّى ينسَى ألمَ المَقْضِيِّ به، كما رُويَ عن بعضِ الصَّالحاتِ مِن السَّلَفِ أنَّها عَثَرتْ فانكَسَرَ ظُفُرُها فضَحِكَتْ، وقالتْ: أنساني لذَّةُ ثوابِهِ مرارةَ أَلَمِهِ[٣].

* **ومِنْها: وهُو أعلى مِنْ ذلكَ كلِّه**: الاستِغْراقُ في محبَّةِ المُبْتَلِي، ودوامُ ملاحَظَةِ جلالِهِ وجمالِه وعظَمَتِه وكمالِه، الذي لا نِهايةَ له، فإنَّ قوَّةَ ملاحظةِ ذلكَ تُوجِبُ الاستغراقَ فيه، حتى لا يَشعُرَ بالأَلمِ، كمَا غابَ النِّسوةُ اللَّاتي [قطَّعن أيديهنَّ حين][٤] شَاهَدْنَ يوسُفَ عَنْ ألمِ تَقْطِيْعِ أيديْهِنَّ بمُشاهَدَتِه.

قالَ الجُنيدُ: سألتُ سَرِيّاً: هَلْ يجِدُ المحبُّ ألمَ البلاءِ؟ فقالَ: لا[٥]. وهذا إشارة مِنهُ إلى هذا المقامِ.

---

= وليس هو بالقوي عند أهل الحديث، وأخرجه الإمام أحمد (١٤٤٤) والبزار (١٠٩٧) (١١٧٨) وهو أقربها إلى اللفظ الذي أورده المصنف.

(١) في (س): «به لأنه». وسقطت (به): من (صل) و(ف).

(٢) في (س): «به».

(٣) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٣٠٦١) قال زيد بن أبي الزرقاء: عثرت امرأة فتح الموصلي، فانقطع ظفرها... بنحوه.

(٤) زيادة من (س) وحدها.

(٥) نقله الإمام الغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣٤٨) في بيان حقيقة الرضا.

ومنهُ قولُ جماعةٍ مِنْ أهلِ البَلاء: دَعْهُ يفعَلُ بِنا ما يَشَاءُ، فلَو قَطَّعَنا إرْباً إرْباً مَا ازدَدنا لهُ إلا حُبًّا[١].

وفي هذا المعنى يقولُ بعضُهم:

لـو قَطَّعَنـي الغـرامُ إرْبـاً إرْبَـا ... ما ازدَدْتُ علـى المَـلام إلا حُبَّـا

لا زلـتُ بكُـم أَسـيرَ وَجْـدٍ صَبًّـا[٢] ... حتَّـى أقضِـي علـى هَواكـم نَحْبَـا[٣]

وكانَ إبراهيمُ بنُ أَدْهَمَ قد خَرَجَ عَنْ[٤] مِلْكِهِ ومالِه وولدِه وحَشَمِه، فرأى وَلَدَه في الطَّوافِ فلَمْ يُكلِّمْه، وقالَ:

هَجَـرتُ الخَلـقَ طُـرّاً فـي رضاكا[٥] ... وأَيتَـمْـتُ العِيـالَ لِكَـيْ أَراكا

فلَـو قَطَّعْتَنـي فـي الحُـبِّ إرْبـاً ... لمـا حَـنَّ الفـؤادُ إلـى سِـواكا[٦]

كانَ جماعةٌ من المحبِّين كالفُضَيلِ وفَتْحِ الموصليِّ إذا باتُوا ليلةً بغيرِ عَشَاءٍ ولا سِراجٍ اشتَدَّ فَرحُهم وبَكَوا مِن الفَرحِ وقالُوا: مِثلُنا يُتركُ بغيرِ عَشَاءٍ ولا سِراجٍ! بأيِّ يدٍ كانتْ مِنَّا؟ وبأيِّ وَسيلةٍ توسَّلْنا بِها؟[٧]

---

(١) من ذلك ما نقله الغزالي أيضاً (٤/ ٣٤٨) عن بشر أنه وجد رجلًا أعمى مجذوماً مجنوناً قد صرع والنمل يأكل لحمه... فقال له الرجل ذلك...

(٢) في (ش): «وَضَنا»، وفي (س): «وصبا».

(٣) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٨٢).

(٤) في (ف) و(س): «من».

(٥) في (ب) و(ش) وحاشية (ف)، و(س): «هواكا».

(٦) أخرج القصة بأطول من هذا: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٦)، وابن الجوزي في «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (٢٨٠).

(٧) خبر فتح الموصلي أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٤٦). وخبر الفضيل في «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (٢٢٩٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٨/ ٤٩٥).

وكانَ فَتْحٌ يجمَعُ ولدَه في ليالي الشِّتاءِ ويُغَطِّيهم بكِسَائِه، ويقولُ: أَجَعْتَني وأجعت عِيالي وأعرَيتَنِي وأعريت عِيالي، وإنَّما تفعلُ ذلكَ بأوليائِكَ وأحبابِكَ، فهلْ أنا مِنْهُم حتَّى أَفْرَحَ[1]؟.

دَخَلُوا على بعضِ السَّلفِ وهُو مريضٌ[2]، فقالَ: أَحَبُّه إليَّ أَحَبُّه إليهِ[3].

وفي هَذا يقولُ بعضُهم:

عَذابُــه فيــكَ عَـذْبُ ... وبُــعدُه فيــكَ قُــرْبُ

وأنــتَ عنـدِي كرُوحـي ... بــل أنــتَ منهــا أحــبُّ

حَسْبي مِـن الحُـبِّ أنِّـي ... لِمــا تُـحِــبُّ أُحِـبُّ[4]

وأنشدَ أبو تُرابٍ النَّخْشَبيُّ رَحمَه اللهُ:

لا تُخْدَعَــنَّ فـلـلـمُـحِــبِّ دلائــلُ ... ولَدَيْهِ مِــنْ تُحَـفِ الحبيــبِ وَسَــائِلُ

منهــا تَـنَـعُّــمُهُ بـمُــرِّ بـلائِــهِ ... وسُــرُورُه فــي كلِّ مــا هُــو فَاعِــلُ

فالمنْــعُ مِنْــهُ عَـطِيَّــةٌ مقبُولَــةٌ ... والفَقْــرُ إكــرامٌ وبِــرٌّ عَاجِــلُ

[ومِــنَ الدلائــلِ أنْ تُــرى عَــزَمَاتُه ... طَــوْعَ الحبيــبِ وإن ألــحَّ العــاذِلُ

ومــن الدلائــلِ أن يُــرى مُتفهِّمــاً ... لــكلامِ مَــنْ يَحظـى لديــهِ الســائلُ

ومِــن الدلائــلِ أن يُــرى متبسِّــماً ... والقلــبُ فيــه مــن الحبيــبِ بلابــلُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٥٩). وفي حاشية (ش): «إلى هنا...».

(٢) زاد ناسخ (س): «فقالوا له: ما تحب».

(٣) هـو التابعـي الجليـل أبـو العاليـة رحمـه الله تعالـى. وأخـرج هـذا الأثـر عنـه: ابـن أبـي الدنيـا في «الرضـا عـن الله بقضائـه» (٣٩).

(٤) ذكر ابن الجوزي الأبيات في «صيد الخاطر» (٢٩٧).

ومن الدلائلِ أن يُرى متخفِّياً ... في كل ما هو قائلٌ أو فاعلُ][1]

دَخَلُوا على رَجُلٍ قدْ قُتِل ابنه[2] في الجِهاد يعزُّونه [فيه][3] فبَكى، وقالَ: ما أَبكِي على قَتْلِه، إنَّما أَبكِي كيفَ كانَ رِضاه عن اللهِ حينَ أخذتْهُ السُّيوفُ[4].

وقالَ بعضُهم:

إنْ كانَ سُكَّانُ الغَضَا ... رَضُوا بقَتْلِي فرِضَا

واللهِ لا[5] كنتُ لما ... يَهوى الحبيبُ مُبغِضَا

صِرْتُ لهمْ عَبداً ومَا ... للعبدِ أنْ يَعْتَرِضا

هُمْ قلَّبوا قلبي مِن الشَّـ ... ـوقِ على جَمْرِ الغَضَا

يا ليتَ أيَّامَ الحِمى ... يعودُ مِنْها ما مَضَى

مَنْ لمريضٍ لا يَرى ... إلا الطَّبيبَ المُمْرِضَا[6]

---

(١) نقل الأبيات أبو طالب المكي في «قوت القلوب» في الفصل (٣٢) (٢/ ١٠٣)، والغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣٣٩). وما بين معقوفين من (ش) وحدها.

(٢) في (ف): «ولده».

(٣) في (س): «فجعلوا يعزونه»، وما بين معقوفين من (ش) وحدها.

(٤) ذكره المصنف في «اختيار الأولى»، وفي شرح حديث «لبيك». وذكر ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٤٥) نحو هذه القصة من رواية أبي عبد الرحمن الجرجاني أنه ذهب ليعزي رجلاً وقد قتلت الترك ابنه، فبكى... القصة.

(٥) في (ف): «ما».

(٦) هي من شعر أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، البارع النحوي الشاعر، المتوفى سنة (٥٢٤هـ) رحمه الله تعالى، وهذه الأبيات أوردها ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٧٧)، وهي من قصيدة له أوردها بتمامها العماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٣/ ٦٦ ـ ٦٩)، وسبط ابن =

والمقصودُ: أنَّ النبيَّ ﷺ أمرَ ابنَ عباسٍ بالعملِ[١] بالرِّضا إن استطاعَه، ثمَّ قالَ لَه: «فإنْ لَمْ تَستَطِعْ فإنَّ في الصَّبْرِ على ما تَكْرَه خَيراً كثيراً»، وهذا يدل على أنَّ الرِّضَا بالأقدارِ المُؤْلِمَةِ ليسَ بحتمٍ واجبٍ، وإنَّما هو فَضْلٌ مندوبٌ إليه، فمَنْ لَمْ يستَطع الرِّضا فليَلْزَم الصَّبْر، فإنَّ الصَّبْرَ واجبٌ لابدَّ مِنْه، وفيه خيرٌ كثيرٌ، فإنَّ اللهَ تعالى أمرَ بالصَّبْرِ ووَعَدَ عليه جزيلَ الأَجْرِ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقالَ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، وقالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ [الحج: ٣٤ ـ ٣٥].

قالَ الحَسَنُ: الرِّضا عزيزٌ، ولكنَّ الصَّبرَ مُعَوَّلُ المؤمِن[٢].

قالَ سُليمانُ الخوَّاصُ: الصَّبرُ دونَ الرِّضا. الرضا[٣] أنْ يكونَ الرجلُ قَبْلَ

---

= الجوزي في «مرآة الزمان» (٢٠/ ٢٢٧). «سكان الغضا» أو «جيران الغضا» في شعر العرب هم أهل نجد، لكثرة شجر الغضا فيها، لكنها في البيت كناية عن المحبوب.

(١) في (ف): «بالعمل لله».

(٢) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٣٩٣)، ـ ومن طريقه: أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٤٢) ـ، وعبد الله بن أحمد في زوائده على «الزهد» (ص: ٢٣٨)، وابن أبي الدنيا في «الاعتبار» (١٩) كلهم من كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لا من كلام الحسن رحمه الله، ولفظهم: «الرضا قليل...».
تنبيه: إنما أورده من كلام الحسن ابنُ تيمية رحمه الله في كلامه عن الرضا، ضمن «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٨٢)، ووقع عنده كذلك تصحيف في النقل: «الرضا غريزة...»!
ونسبه ابن تيمية إلى عمر بن عبد العزيز في موضع آخر (١٠/ ٤٠) باللفظ الذي هنا، ونسبه إلى الحسن: ابن كثير في ترجمته في «البداية والنهاية» (٩/ ٢٧٢) بلفظ: الرضا صعب شديد.

(٣) في (ش): «والرضا»، وفي (ف) و(س): «فالرضا».

نزولِ المصيبةِ راضٍ[١] بأي ذلك[٢] كانَ، والصَّبرُ أنْ يكونَ بعدَ نُزُولِ المصيبةِ يَصْبِرُ[٣].

**وحقيقةُ الفَرْقِ بينَ الصَّبْرِ والرِّضا**: أنَّ الصَّبْرَ: كَفُّ النَّفْسِ وحَبْسُها عن التَّسَخُّطِ معَ وُجودِ الألَمِ، والرِّضا: يوجِبُ انشراحَ الصَّدرِ وسَعَتَه، وإنْ وُجِدَ الإحساسُ بأصْلِ الألَمِ، لكنَّ الرِّضا يخفِّفُ الإحساسَ بالألَمِ لما يباشِرُ القلبَ مِنْ روح اليقينِ والمعرفةِ، وقد يُزيلُ الإحساسَ به بالكلِّيةِ على ما سَبَق تَقْرِيرُه[٤].

ولهذا قالَ طائفةٌ كثيرة من السَّلفِ، منهُم: عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[٥]، والفُضَيلُ[٦]، وأبو سليمانَ[٧]، وابنُ المبَارَكِ[٨] وغيرُهم: إنَّ الراضيَ لا يتمنَّى غيرَ حالِهِ[٩] التي هُو عليها بخلافِ الصَّابِرِ.

---

(١) كذا في نسخنا جميعاً مع الضبط في (ب) و(ش). والصواب: راضياً.

(٢) في (س): «شيء».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الرضا عن الله بقضائه» (٤٨)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٧٧).

(٤) تصحفت في (ش) و(ف) إلى: «تقديره».

(٥) قال رحمه الله: «ما كنت على حالة من حالات الدنيا فسرني أني على غيرها». أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٠٠).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٢٣).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٤).

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٢٢).

(٩) في (ف): «الرضي»، وفي (ش) و(ف): «الحالة».

وقد رُوِيَ عن طائفةٍ من الصَّحابةِ هذا المعنى أيضاً، وأنَّهم كانُوا لا يتمنَّونَ غيرَ ما هُمْ عليهِ من الحالِ، منهُم: عُمرُ[١] وابنُ مسعودٍ[٢] رضي الله عنهما.

قالَ عبدُ العزيزِ بنُ أبي رَوَّادٍ: كانَ عابدٌ يتعبَّدُ في بني إسرائيلَ، فرأى في مَنامِه أنَّ فلانةَ زوجتُكَ[٣] في الجنَّةِ، فاستَضَافَ بها[٤] ثلاثَ ليالٍ لينظُرَ عَمَلَها، فكانتْ تنامُ وهو يَقُومُ، وتفطِرُ وهو يَصُومُ، فلمَّا فارقَها سألها عَنْ أوثَقِ عَمَلِها عِنْدَها؟ قالتْ: هُو ما رأيتَ إلا خُصْيلةً[٥] واحِدةً: إنْ كُنْتُ في شِدَّةٍ لم أتمنَّ أني[٦] في رَخَاءٍ، وإنْ كنتُ في مَرَضٍ لم أتمنَّ أني[٧] في صِحَّةٍ، وإنْ كُنْتُ جائعةً لم أتمنَّ أني شَبْعانَة، وإنْ كنتُ في شَمْسٍ لم أتمنَّ أني في فيءٍ[٨]. فقالَ العابدُ: هذهِ واللهِ خِصْلَةٌ يعجِزُ عنها العُبَّادُ[٩].

وكما أنَّ الصبرَ إنَّما يكونُ عندَ الصَّدمَةِ الأُولى، كمَا صَحَّ ذلكَ عن النبيِّ ﷺ[١٠]، فالرِّضا إنَّما يكونُ بعدَ نُزولِ البَلاءِ كما كانَ ﷺ يقولُ في دُعائِه: «وأسألكَ الرِّضا بعدَ

---

(١) قال رضي الله عنه: «ما أبالي على أي حال أصبحت. على ما أحب، أو على ما أكره، لأني لا أدري!، الخيرُ فيما أحبُّ أو فيما أكره؟». أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٣٠).

(٢) قال رضي الله عنه: «... وما أصبحت على حال فتمنيت أني على سواها».
أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٥٩).

(٣) في (س): «زوجته» وفي حاشيتها كالمثبت.

(٤) في (س): «فاستضافها».

(٥) في (ب): «خصلة».

(٦) في (صل): «أن أكن».

(٧) في (صل): «أن أكن».

(٨) في (ف): «ظل».

(٩) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٩٣) وهو خبر إسرائيلي أورده لبيان حال الرضا الذي كانت عليه المرأة، ولا يستدل به فيما سوى ذلك.

(١٠) أخرجه البخاري (١٢٨٣) (١٣٠٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

القَضا»[١] لأنَّ العبدَ قدْ يعزمُ على الرِّضا بالقَضاءِ قَبْلَ وُقُوعِه، فإذا وَقَعَ انفسَخَتْ تلكَ العزيمةُ! فمَنْ رَضِيَ بعدَ وقُوعِ القضاء[٢] فهُو الرَّاضِي حقيقةً.

وفي الجُملَةِ: فالصَّبرُ واجبٌ لابُدَّ مِنْهُ، وما بعدَهُ إلا السَّخَطُ[٣]، ومَنْ سَخِطَ أقدارَ اللهِ فلَهُ السَّخَطُ مَع ما يتعجَّلُ لهُ مِن الألمِ، وشَماتةُ الأعداءِ بهِ أعظمُ مِنْ جَزَعِه، كما قالَ بعضُهُم:

لا تَجْزَعَنْ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ عَرا ... ولا تُرِي الأعداءَ ما يَشْمَتُوا[٤]

يا قومُ بالصَّبْرِ يُنَالُ المُنى ... إذا لَقِيتُم فئةً فاثْبتُوا[٥][٦].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ يتصبَّر يُصبِّرْهُ اللهُ، وما أُعطِيَ أحدٌ عطاءً خَيراً ولا أَوسَعَ مِن الصَّبْرِ»[٧].

وقالَ عُمَرُ: وَجَدْنا خَيرَ عَيْشِنَا الصَّبرَ[٨].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢١٦٦٦) من حديث زيد بن ثابت الذي شرحه المصنف رحمه الله في جزء مفرد.

(٢) في (صل) و(ب): تصحفت إلى: «الرضا»، وفي (ف) كذلك وكتب في الحاشية: «لعله البلاء».

(٣) في (س): «التسخط».

(٤) في «المدهش» لابن الجوزي: «يُشْمِتُ».

(٥) في (ف): «فاصبروا» وكتب إشارة إلى نسخة كالمثبت، وفي حاشية (س): «بلغ مقابلة».

(٦) البيتان ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٤٧٦). وهما لأبي نصر سهل بن المرزبان، ذكرهما له الثعالبي في «يتيمة الدهر» (٤/ ٤٥٤).

(٧) أخرجه البخاري (١٤٦٩) (٦٤٧٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وفي (صل) و(ش): «تصبَّر».

(٨) سقط الأثر من (صل)، وفي (ف): «بالصبر»، وهو من معلقات البخاري في باب الصبر عن محارم الله، قبل حديث (٦٤٧٠). وأخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٦١٢)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٠) وغيرهما.

وقالَ عليٌّ: إنَّ الصَّبْرَ مِن الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ مِن الجَسَدِ، ولا إيمانَ لمنْ لا صَبْرَ له[١].

وقالَ الحَسَنُ[٢]: الصَّبْرُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجنَّةِ لا يُعطيه اللهُ إلا لمنْ كَرُمَ عليهِ[٣].

وقالَ ميمونُ بنُ مِهران: ما نَالَ أحدٌ شيئاً مِنْ جَسِيمِ الخيرِ نبيٌّ فمَنْ دُونَه إلا بالصَّبْرِ[٤].

وقالَ إبراهيمُ التَّيْميُّ: ما مِنْ عَبْدٍ وهَبَ اللهُ له[٥] صَبراً على الأذى، وصَبراً على البَلاءِ، وصَبراً على المَصائب إلا وَقد أُوتِيَ أَفضَلَ ما أوتِيَهُ أَحَدٌ بعدَ الإيمانِ باللهِ عزَّ وَجلَّ[٦].

وهذا منتَزَعٌ مِنْ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ إلى قولِهِ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) أخرجه معمر في جامعه بآخر «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٤٦٩) ومن طريقه: البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٦٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٤٧).
وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٨) من وجه آخر، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٥).

(٢) في (س): «الحسن البصري».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٦)، ولفظه: «الصبر كنز من كنوز الخير». وفي حاشية (ش): «بلغ».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٩).

(٥) في (ف) و(س): «وهبه الله».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٧).

والمرادُ بالبأسَاءِ: الفَقْرُ ونحوُه، وبالضَّرَّاءِ: المَرضُ ونحوُه، وحينَ البأس: حالُ الجِهَادِ.

وقالَ عُمرُ بنُ عبدِ العَزيز: ما أنعَمَ اللهُ على عبدٍ نِعمَةً فانتَزعها مِنْه، فعاضَه مكانَ ما انتزعَ منْه الصبرَ إلا كانَ ما عوَّضَهُ خَيراً ممّا انتزعَ منه[١]، ثم تلا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

كانَ[٢] بعضُ الصَّالحينَ في جَيْبِه ورَقَةٌ يفتَحُها كلَّ ساعَةٍ، فينظرُ فيها، وفيها مكتوبٌ ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨][٣].

**والصَّبْرُ الجميلُ هو أَنْ يكتُمَ العبدُ المصيبةَ، ولا يخبرَ بها.** قال طائفةٌ من السَّلَفِ في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] قالُوا: لا شَكوى معه[٤].

وكانَ الأحنفُ بن قيسٍ قدْ ذهبتْ عينهُ مِنْ أربعينَ سنةً ولمْ يذكُرْها لأحَدٍ[٥].

وذهبتْ عينُ عبدِ العزيزِ بنِ أبي رَوَّاد مِنْ عشرينَ سنةٍ فتأمَّلَهُ ابنُه يوماً، فقالَ له: يا أبَتِ، قَدْ ذهبتْ عينُك؟ فقالَ: نَعَمْ يا بُنَيّ. الرِّضا عن اللهِ أذهبَ عينَ أبيكَ مِنْ عشرينَ سنةً[٦].

---

(١) في (صل): «مما انتزعه».

(٢) في (ف) و(س): «وكان».

(٣) ذكر القشيري ذلك في «الرسالة» (١/ ٣٢٦) في فقير كان يطوف بالبيت العتيق كل يوم وينظر في الرقعة، ثم نظر فيها يوماً بعد طوافه ثم سقط ميتاً، فإذا في الرقعة هذه الآية الكريمة.

(٤) في (صل) و(ف): «قال: لا شكوى...»، ذكر هذا المعنى مرفوعاً، وذكر عن مجاهد والحسن رحمهما الله. انظر: «الدر المنثور» للسيوطي عند تفسير هذه الآية.

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زياداته على «الزهد» (١٣٠٦).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٩١).

وكانَ الإمامُ أحمدُ لا يشتكي ما بِه مِن المرضِ إلى أحدٍ[١]، وذُكِرَ له أنَّ مُجاهِداً كانَ يَكْرَهُ الأنينَ في المَرضِ[٢]، فلم يَئِنَّ حتَّى مَاتَ[٣]، وكانَ يقولُ لنفسِه: يا نَفْسِي اصبِري وإلَّا تَنْدَمِي[٤].

دخَلَ[٥] بعضُ العَارِفينَ على مريضٍ يقولُ: آه. فقالَ له[٦] العارفُ: مِمَّنْ؟![٧]

وفي هذا المعنى يقولُ بعضُهم.

تَفيضُ[٨] النُّفوسُ بأوصَابِها ... وتكتُمُ عُوَّادَها ما بِها

وما أنصفتْ مُهْجةٌ تَشْتكي ... هَواهَا إلى غيرِ أحبَابِها[٩]

قالَ يحيى بنُ معاذٍ: لو أحبَبْتَ ربَّك ثمَّ جَوَّعَكَ وأعراكَ، لكانَ يجبُ أنْ تَحتَمِلَهُ

---

(١) في (س): «لأحد».

(٢) زاد ناسخ (س) بعدها: «فتركه».

(٣) إنما يُعرف هذا عن طاوس لا عن مجاهد رحمهما الله. وقصة الإمام أحمد ذكرها ابنه صالح في «سيرة الإمام أحمد» (ص: ١٢٧)، وابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٥٤٦). وأثر طاوس في «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٦٥٦١).

(٤) في (ف) و(س): «ولا». ولم أجد هذا عن الإمام أحمد عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) في (ف) و(س): «ودخل».

(٦) زاد ناسخ (س) بعدها: «ذلك».

(٧) العارف هو أبو حفص النيسابوري، والقصة في «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٣١٢).

(٨) في (صل): «تموت».

(٩) البيتان لصردر علي بن الحسن بن علي. أبو منصور الكاتب، المتوفى ٤٦٥هـ. ذكرهما له ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٤٠١). وكان الإمام ابن تيمية رحمه الله كثير الإنشاد لهما، كما في «أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي (١/ ٢٣٩).

وتكتُمَه عن الخَلْقِ، فقَدْ يحتمل الحبيبُ لحبيبهِ الأذى، فكيفَ وأنتَ تَشكُوهُ فيمَا لم يَصْنَعْه بِك[١].

ويَقبُحُ مِنْ سِواكَ الفعلُ عندي وتفعلُه فيحسنُ منك ذاكا[٢]

كانَ الرَّسُولُ ﷺ وأصحابُه يشدُّونَ على بطونهم الحجارةَ من الجُوعِ[٣].

كانَ أويسٌ [القَرَني] رحمه الله يلتَقِطُ الكِسَرَ مِن المزابلِ، والكلابُ تُزاحِمُه، فنبَحَ عليه كلبٌ يوماً، فقالَ: يا كلبُ لا تؤذِ مَنْ لا يُؤذِيك، كُلْ ممَّا يليكَ وآكلُ مما يليني، فإنْ دخلتُ الجنَّةَ فأنا خيرٌ مِنْكَ، وإنْ دَخلتُ النارَ فأنتَ خيرٌ منِّي[٤].

كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ يلتَقِطُ السُّنْبُلَ مع المساكين، فرأى مِنهم كراهةً[٥] لمزاحمَتِه، فقالَ: أنا تركتُ ملكَ بَلْخ، أَفأُزاحِمُ المساكينَ على لقاطِ السُّنْبُلِ؟ فكانَ بعدَ ذلكَ لا يلتَقِطُ إلَّا مَع الدَّوابِّ التي ترعَى فيه[٦].

---

(١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله تعالى، وقد أورده أيضاً في «استنشاق نسيم الأنس».

(٢) نسبه الراغب الأصفهاني في «محاضرات الأدباء» (٢/ ٥٤)، والمستعصمي في «الدر الفريد وبيت القصيد» (١٠/ ٤٧٧) للمتنبي. وفي «محاضرات الأدباء» (١/ ٥٣١)، و«اللمع في التصوف» للطوسي، أنشده الشِّبليُّ من قول فلانة الطبرانية تغني به. وهو من شعر أبي نواس يقول:

ويسمح من سواك الشيء عندي فتفعله فيحسن منك ذاكا

(٣) أخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه (٢٠٤٠) أنه ﷺ عصب بطنه بعصابة، وأخرج الترمذي (٢٣٧١) من حديثه عن أبي طلحة قال شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين. قال الترمذي: غريب، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يشد الحجر على بطنه من الجوع، كما في «البخاري» (٦٤٥٢).

(٤) ذكر القصة عن سيدنا أويس: ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٤٢٧).

(٥) في (صل): «كراهية».

(٦) لم أجد القصة عند غير المصنف رحمه الله تعالى.

وكانَ الإمامُ أحمدُ يلتَقِطُ السُّنْبُلَ معَ المساكينِ أيضاً[١].

وآجَرَ سفيانُ الثوريُّ نفسَه مِن جَمَّالينَ في طريقِ مكةَ، فطبخَ لهم طَعاماً فأفسَدَه فضَرَبُوه[٢].

كانَ فتحٌ الموصليُّ يوقِدُ النَّارَ للناس بالأُجرَةِ[٣]:

مِنْ أجلِكَ قدْ تركتُ خَدِّي أَرْضَا ... للشَّامِتِ والحسودِ[٤] حتَّى تَرْضى

مَولايَ إلى متى بهذا أَحظى ... عُمُري يَفْنى وحَاجتي ما تُقْضى[٥]

غيرُه:

كَمْ أَحْمِلُ في هَواكَ ذُلًّا وعَنا ... كَمْ أصبرُ فيكَ تحتَ سُقْمٍ وضَنا

لا تَطْرُدْنِي فلَيْسَ لي عَنْكَ غِنى ... خُذْ رُوحِيَ إنْ أردتَ منِّي الثمَنَا[٦]

غيرُه:

مِنْ أَجلِ هواكُمُ هَويتُ العِشْقا ... قَلْبي كَلِفٌ ودمعتي ما ترقا

---

(١) وذلك في طرسوس كما في «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص ٣٠٨).

(٢) في (صل): «فأفسدوه». وذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٥٩) أن سفيان ذهب إلى خراسان في حق له، فآجر نفسه من جمّالين.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على «الزهد» (١١٤٤)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٩٤).

(٤) في (صل): «والحاسد».

(٥) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٨١).

(٦) في حاشية (س): «بلغ». وفي (ش): «خذ روحي إذا أردت...»، وفي (ف): «خذوا روحي إذا رددت»، وجاءت «مني» في (صل) لحقاً. والبيتان في «المدهش» (ص: ١٥٧).

في حُبِّكُمُ يَهُونُ ما قَدْ ألقَى ما يَسْعَدُ بالنَّعيمِ مَنْ لا يَشْقى[١]

كانتْ مصائبُ الدُّنيا عندَهُم نِعَماً، حتَّى قالَ بعضُهم: ليسَ بفقيهٍ مَنْ لم يعدَّ البلاءَ نعمةً والرَّخاءَ مُصِيبةً[٢].

ومن الإسرائيليات: إذا رأيتَ الغِنى مُقبلاً، فقُلْ: ذَنْبٌ عُجِّلتْ عُقُوبتُه، وإذا رأيتَ الفقرَ مُقْبِلاً، فقُلْ: مَرحَباً بشِعَارِ الصَّالحينَ[٣].

وقالَ بعضُ السَّلَفِ: إني لأُصابُ بالمصيبةِ فأحمدُ اللهَ عليها أربعَ مرَّاتٍ، أحمدُ اللهَ إذ لم تكنْ أعظمَ ممَّا هي، وأحمدُ اللهَ إذْ رَزَقني الصَّبْرَ عليها، وأحمَدُه إذ وفَّقَني للاسترجَاعِ، وأحمَدُه إذ لم يَجْعلها في دِيني[٤].

انتِظارُ الفَرَجِ بالصَّبْرِ عِبَادةٌ[٥]، فإنَّ البلاءَ لا يَدُومُ [كما قيلَ][٦]:

اصبِرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلَّدِ واعلمْ بأنَّ الضُّرَّ غيرُ مؤبَّدِ[٧]

---

(١) البيتان في «المدهش» لابن الجوزي (ص:١٥٨). وفي (صل): «وأدمعي ما ترقا» «ما يحصل بالنعيم». وفي (ب): «يحصل» بدل «يسعد»، وفي هامشها نسخة: «يسعد».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» عن سفيان قال: كان يقال... (٢/ ٢٥)، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٥٥).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٥) من حديث مجاهد عن كعب: إن الرب تعالى قال لموسى عليه السلام...

(٤) في حاشية (ش): «وهو ابن عمر رضي الله عنه». لكن الأثر أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٠٧) من كلام شريح رحمه الله تعالى.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ مرفوعاً القضاعي في «مسند الشهاب» (٤٦) من حديث ابن عمر، و(٤٧) من حديث ابن عباس.

(٦) زيادة من (س).

(٧) في حاشية (ش) من نسخة: «واعلم بأن المرء غير مخلّدِ». وهي موافقة لما في المصادر.

واصبرْ كمَا صبرَ الكِرامُ فإنَّهـا نُوَبٌ تنُوبُ اليومَ تُكْشَفُ في غَدِ[١]

إذا غُمِسَ أعظمُ النَّاسِ بلاءً كانَ في الدُّنيا في نعيمِ الجَنَّةِ غَمْسَةً، قيلَ لَهُ: هَلْ رأيتَ بؤساً قَطّ؟ هَلْ مَرَّ بكَ بؤسٌ قَطُّ؟ قال: لا يا ربّ[٢].

يـا نفسُ مـا هـيَ إلا صَبْـرُ أيامِ كـأنَّ مُـدَّتهـا أَضْغـاثُ أحـلامِ

يـا نفسُ جُـوزي عَـن الدُّنيـا مُبـادِرَةً وخَـلِّ عنهـا فـإنَّ العيـشَ قدامـي[٣]

غيرُه:

وما هِـيَ إلا سـاعةٌ ثـمَّ تنقضي ويـذهـبُ هـذا كلُّه ويـزُولُ[٤]

* * *

**قولُه ﷺ: «واعلَم أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْر»:**

هذا موافقٌ لقولهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ

---

(١) نسب المستعصي الشطر الأول منه لأبي العتاهية في «الدر الفريد» (٣/ ٤٠٢). وذكر البيتين باختلاف في الشطر الثاني الدينوري في «المجالسة» (٨/ ١١٥).

(٢) أخرج معناه الإمام مسلم (٢٨٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) البيتان لأبي العتاهية، وهما في «ديوانه» (ص: ٣٩١) من قصيدة طويلة مع تغيير يسير. وروى ابن الشجري في «ترتيب الأمالي الخميسية» (٢/ ٢٦٧)، والسِّلَفي في «المشيخة البغدادية» (الحادي عشر منها) بسندهما إلى من رأى البيتين في كتاب الشافعي.

لذلك ذكرهما ابن الجوزي وابن مفلح وابن رجب في «فضل علم السلف» منسوبين إلى الشافعي، لكنهما ليسا له.

(٤) في (صل): «وتنقضي». والبيت ذكره الإمام ابن القيم في عدد من كتبه، ومنها «مدارج السالكين» (٣/ ٢٢٩). ولبهاء الدين زهير بيت يشبهه في قصيدة طويلة في ديوانه (ص ٢١٠)، وصدره:

وما هي إلا غيبة ثم نلتقي... وفي حاشية (ش): «بلغ».

﴿ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿فإن تكُنْ[1] مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]، وقولِهِ تعالى في قصة طالوت: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقولِهِ تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، إلى غيرِ ذلكَ مِن الآياتِ.

والأحاديثُ في الأَمرِ بالصَّبْرِ عندَ لقاءِ العَدُوِّ كثيرةٌ جِدًّا.

وقالَ عُمَر لأشياخٍ من بني عَبْسٍ: بمَ قاتَلْتم النَّاسَ؟ قالُوا: بالصَّبْرِ، لم نَلْقَ قوماً إلا صَبَرنا لَهُم كما صَبَروا لنا[2].

وقالَ بعضُ السَّلَفِ: كلُّنا نَكْرهُ الموتَ وألمَ الجِراحِ، ولكنْ نتفَاضَلُ بالصَّبْرِ[3].

وسُئِلَ البَطَّالُ عن الشَّجَاعَةِ فقالَ: صَبْرُ ساعةٍ[4].

وهذا كُلُّه في جِهادِ العَدُوِّ الظَّاهِرِ، وهُو جِهادُ الكُفَّارِ، وكذلكَ في جِهادِ العَدُوِّ البَاطِنِ وهُو جِهَادُ النَّفْسِ والهوى، فإنَّ جِهادَهُما مِن أَعظَمِ الجهادِ، كما قَالَ النبيُّ ﷺ: «المجاهدُ مَنْ جَاهَدَ نفسَه في اللهِ»[5].

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو، وهي الشائعة في بلاد الشام زمن المصنف رحمه الله، وفي قراءة عاصم ﴿فَإِن يَكُن﴾.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٤٨) وبمعناه (٩٣). ووقع في المطبوع: «بم قابلتم الناس»!! وهو تحريف

(٣) من كلام زياد بن عمرو، أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٤٩).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٥٠)، والبطال مجاهد كان يغزو الروم.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٩٥١)، والترمذي (١٦٢١) وقال: حسن صحيح، من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

وقالَ عبدُ الله بنُ عمروٍ لرجلٍ سألَه عن الجِهاد: ابدأْ بنَفْسِكَ فجاهِدْها، وابدأ بنَفْسِكَ فاغزُها[١].

ورُوِي[٢] بإسنادٍ ضعيفٍ مِن حديثِ جابرٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لقومٍ رَجَعُوا مِن الغَزو: «قَدِمْتُم مِن الجِهادِ الأَصْغَرِ إلى الجِهَادِ الأكبرِ» قيلَ: وما الجهادُ الأكبرُ؟ قالَ: «مُجاهَدَةُ العبدِ لهواه»[٣].

وقالَ أبو بكرٍ الصديقُ في وصيَّتِه لعُمَرَ رضي اللهُ عنهما حينَ استخلَفَه: إنَّ أوَّلَ ما أُحَذِّرُكَ: نفسَكَ التي بينَ جَنْبَيكَ[٤].

ويُروى مِنْ حديثِ سَعد بن سِنان، عنْ أنسٍ [رضي الله عنه] عن النبيِّ ﷺ[٥]، ومن حديثِ أبي مالكٍ الأَشْجَعيِّ عَن النبيِّ ﷺ مُرْسلاً قال: «ليسَ عدوُّك الذي إذا قَتَلكَ أدخلكَ الجنَّةَ، وإذا قتلتَه كانَ لكَ نُوراً، أعدى عَدُوِّكَ نفسُكَ التي بينَ جَنْبَيكَ»[٦]، وأخذَ هذا المعنى العباسُ بنُ الأحنفِ[٧] الشَّاعِرُ، فَقَالَ:

قَلبِـي إلـى مـا ضَرَّنـي دَاعي ... يُكثِـرُ أَحزانـي وأَوجاعِـي

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٦٢)، ومن طريقه: البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٦٨).

(٢) في (ب) و(ف) و(س): «ويروى».

(٣) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٧٣).

**وقد أفردتُ لهذا الحديث جزءًا سمّيتُه: «نصر الجهادين بقهر العدوَّين» لبسط الكلام فيه.**

(٤) أخرجه ابن شبَّة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٧٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤١٦).
وليس فيه: «التي بين جنبيك» هي مدرجة!

(٥) لم أظفر بهذا الطريق!

(٦) أخرجه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٣٢).

(٧) زاد ناسخ (س): «بن قيس». وهو غلط.

لقلَّ ما أبقى على مَا أرى ... يُوشِكُ أنْ يَنْعَاني النَّاعِي

كيفَ احترازِي مِنْ عَدُوّي إذا ... كانَ عَدُوِّي بينَ أضلاعِي[1]

فهذا الجِهادُ أيضاً يحتاجُ إلى صبرٍ، فمَنْ صَبَرَ على مُجاهدةِ نفسِه وهواه وشيطانِه غَلَبَ، وحَصَلَ له النَّصرُ، ومَنْ جَزِعَ ولم يَصْبِر على مُجاهدةِ ذلكَ غُلِبَ وقُهِرَ وأُسِرَ، وصارَ ذليلاً أسيراً في يدي شَيطانه وهَواه [كما قِيل][2]:

إذا المرءُ لَمْ يغلبْ هَواه أقامَه ... بمنزلةٍ فيها العزيزُ ذَليلُ[3]

[غيره][4]:

رُبَّ مَستُورٍ سَبَتْهُ صَبْوةٌ ... فتعرَّى صبرُه فانهَتَكا

صَاحِبُ الشَّهوةِ عبدٌ فإذا ... غَلَبَ الشَّهوةَ صَار المِلِكا[5]

قالَ ابنُ المباركِ رحمه الله: مَنْ صَبَرَ فما أقلَّ ما يَصْبِرُ، ومَنْ جَزِعَ فما أقلَّ ما يتمتَّع[6].

وفي «الصَّحيحين» عن النبيِّ ﷺ: «ليسَ الشديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشديدُ الذي يَملِكُ نفسَه عندَ الغَضَبِ»[7].

---

(١) ذكرها الخرائطي في «اعتلال القلوب» (ص: ٢٦).

(٢) من (س).

(٣) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٤) من (س).

(٥) مما أنشده علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان، وهو في «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص: ٣٤).

(٦) في (ف): «يجزع» خطأ. أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٤٠).

(٧) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ووصفَ بعضُهم الأحنفَ بنَ قيسٍ فقالَ: كانَ أشدَّ النَّاسِ سُلطاناً على نَفْسِه[١].

قيل لبعضِهِم: إنَّ فُلاناً يمشِي على الماءِ، فقالَ: مَنْ مَكَّنَه اللهُ مِنْ مُخالَفَةِ هواه، فهُو أقوى ممَّن يمشِي على الماءِ[٢].

واعلمْ أنَّ نفسَكَ بمنزلةِ دابَّتِكَ، إنْ عرفَتْ مِنْكَ الجِدَّ جَدَّتْ، وإنْ عرفَتْ منكَ الكَسَلَ طَمِعَتْ فيكَ، وطلبَتْ مِنْكَ حُظوظَها وشَهواتِها.

كانَ أبو سليمان الدَّارَانيُّ يقولُ: كنتُ بالعراقِ أَمُرُّ على تلكَ القصورِ والمراكبِ والملابِسِ والمطاعِمِ التي للمُلوكِ، فلا تلتفتُ نفسِي إلى شيءٍ مِنْ ذلكَ، وأَمُرُّ على التَّمْرِ فتكادُ نفسِي تقعُ عليه، فذكَرَ ذلكَ لبعضِ العارفينَ، فقالَ: تلكَ الشهواتُ آيسَ نفسَهُ مِنْها فيئِسَتْ[٣]، والتَّمْرُ أطمَعَها فيه فطَمِعتْ[٤]. كما قيلَ:

صَبرتُ على اللَّذَّات حتى تولَّتِ ... وألزمتُ نفسِي هَجْرَها فاستَمَرَّتِ

وما النَّفْسُ إلا حيثُ يجعَلُها الفَتى ... فإنْ أُطْمِعَتْ[٥] تاقَتْ وإلا تَسَلَّتِ

وكانتْ على الأيَّامِ نفسي عزيزةً ... فلمَّا رأتْ عَزْمي على الذُّلِّ ذَلَّتِ[٦]

**فقولُه** ﷺ: «إنَّ النَّصرَ مَع الصَّبْرِ»: يشمَلُ[٧] الصَّبْرَ على جِهادِ العَبْدِ لعدوِّهِ الظَّاهِر وجهادِهِ لعدُوِّه البَاطِن، وهو نَفسُه وهَواه.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (١١٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ٣١٧، ٣٢٢).

(٢) القائل هو أبو محمد المرتعش النيسابوري. أخرجه عنه: السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٦٧).

(٣) في (س): «فأيست»، وفيها: «أمر على التمرة»، «والتمرة أطمعها فيها».

(٤) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) في (ب): «طمعت».

(٦) أنشده أبو العباس القاسم السياري، كما في «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ٣٣٢).

(٧) في (ش) و(ف): «يشتمل».

وكانَ السَّلَفُ يفضِّلونَ هذا الصَّبْرَ على الصَّبْرِ على البَلاء.

قالَ ميمونُ بن مِهْرانَ: الصَّبْرُ صبرانِ: الصبرُ على المصيبةِ حَسَنٌ، وأفضلُ مِنْ ذلكَ الصَّبرُ عن المعاصِي[١].

وقالَ سعيدُ بن جُبيرٍ: الصَّبرُ على نَحْوين[٢]:

أحدُهما: الصَّبْرُ عمَّا حَرَّمَ اللهُ، والصَّبرُ لما افترضَ اللهُ مِنْ عِبادته، وذلكَ أفضَلُ الصَّبْرِ.

والصَّبرُ الآخَر: في المصائِب[٣].

وقدْ وَرَدَ في هذا حديثٌ مرفوعٌ منْ حديثِ عليٍّ، لكنَّه لا يثبتُ[٤].

* * *

قولُه ﷺ: «وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْب». هذا يشْهَدُ له قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، وقولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ إلى قولِهِ: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٨ ـ ٤٩].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٨).

(٢) في (س): «نوعين».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٨٨).

(٤) أخرج ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٢٤) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً: «الصبر ثلاث...». وفيه رجل لم يسمَّ.

وقولُ النبيِّ ﷺ في حديثِ أبي رَزينٍ[١] العُقيليِّ: «ضَحِكَ ربُّنا مِنْ قُنُوطِ عبادِه، وقُرْبِ غِيَرِهِ»[٢]. خَرَّجَهُ الإمامُ أحمدُ[٣].

وخرَّجَ ابنُه عبدُ الله مِنْ حديثِ أبي رَزينٍ أيضاً في حديثٍ طَويلٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «عَلِمَ اللهُ يومَ الغَيْثِ إنَّه ليُشْرِفُ[٤] عليكم أَزِلينَ[٥] قَنِطينَ، فيظلُّ يَضْحَكُ قَدْ علم أنَّ غِيرَكَمُ إلى قُرْبٍ»[٦].

والمعنى: أنَّه سُبحانَه يَعْجَبُ مِنْ قُنُوطِ[٧] عِبادِه عندَ احتباسِ المَطَرِ عنهُم، وخوفِهم وإشفاقِهم ويَأْسِهم مِن الرَّحمة، وقَدْ قَدَّرَ اللهُ تغييرَ هذهِ الحالِ عَنْهُم عَنْ قُرْبٍ بإنزالِ المَطَرِ، ولكنَّهم لا يَشْعُرون.

وهَذا كمَا اشتكى ذلكَ الرجلُ إلى النبيِّ ﷺ وهُو قائِمٌ يخطُبُ يومَ الجُمُعةِ احتباسَ المطَرِ، وجَهْدَ النَّاسِ[٨]، فرفعَ النبيُّ ﷺ يدَيْهِ فاستَسْقى لَهُم فنَشَأ[٩] السَّحابُ

---

(١) تحرف في (ف) إلى: «إدريس».

(٢) في حاشية (س): «غيثه». خطأ.

(٣) في «المسند» (١٦١٨٧)، وأخرجه ابن ماجه (١٨١). والقنوط هو اليأس، وقوله «غِيَرِه» بمعنى: قضائه سبحانه بتغيير الحال لعبده.

(٤) في (ش): «أشرف».

(٥) أي صائرين إلى الضيق والشِّدة.

(٦) في (س): «غيثكم إلى قريب»! خطأ. والحديث أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» (١٦٢٠٦) بطوله.

(٧) في (ب): «قنط».

(٨) في (س): «وجهد الناس فسألوه»

(٩) في (صل) و(ب): «حتى نشأ».

ومُطِروا إلى الجُمُعة الأخرى، حتى قامُوا إليه ﷺ فطلبوا[١] منه أن يَسْتصحيَ لهم فَفَعَلَ، فأقلَعَت السَّماءُ[٢].

وقَدْ قَصَّ اللهُ تعالى في كِتابِهِ قِصَصاً كثيرةً تتضمَّنُ وقُوعَ الفَرَجِ بعدَ الكَرْبِ والشِّدَّةِ، كما قَصَّ نجاةَ نُوحٍ ومَنْ مَعَه في الفُلْكِ مِنْ الكَرْبِ العَظِيمِ معَ إغراقِ سائرِ أهلِ الأرضِ[٣].

وكمَا قَصَّ نَجاةَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ من النَّارِ التي ألقاهُ المشركونَ فيها، وأنَّه جَعلها عليهِ بَرداً وسلاماً[٤].

وكمَا قَصَّ قصةَ إبراهيمَ عليه السلام مَع وَلَدِه الذي أُمِرَ بذَبْحِه ثم فَدَاهُ اللهُ بِذبْحٍ عظيم[٥].

وكما قَصَّ قِصَّةَ مُوسى عليه السَّلام مع أُمِّه لمَّا ألقَتْهُ في اليَمِّ حتى التَقَطَه آلُ فِرعونَ[٦]، وقصَّتَه مَع فِرعونَ لمَّا نَجَّى اللهُ موسى في البَحْرِ وأغرقَ عَدُوَّه[٧].

وكما قَصَّ قِصَّةَ أيوبَ[٨] ويونسَ[٩].....

---

(١) في (س): «فسألوه».

(٢) أخرجه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه (٩٣٢) (٩٣٣) (١٠١٣) (١٠١٤) (١٠٢٩) (١٠٣٣) وأخرجه غيره...

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٧٦ ـ ٧٧).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٦٨ ـ ٧٠).

(٥) سورة الصافات، الآية (١٠٢ ـ ١٠٧).

(٦) سورة القصص، الآية (٧ ـ ١٣).

(٧) في مواضع متعددة منها في سورة الشعراء، الآية (٦١ ـ ٦٦).

(٨) سورة الأنبياء، الآية (٨٣ ـ ٨٤).

(٩) سورة الأنبياء، الآية (٨٧ ـ ٨٨).

ويعقوبَ[١] ويوسفَ[٢] عليهم السلام، وقِصَّةَ قومِ يُونُسَ لمَّا آمنوا[٣].

وكما قَصَّ[٤] قِصَصَ محمَّدٍ ﷺ ونَصْرِه على أعدائِه وإنجائِه منهم في عِدَّةِ مواطِن، مثلَ قِصَّتِهِ في الغَار[٥]، وقِصَّتِهِ يومَ بدرٍ[٦] ويومَ أُحُدٍ[٧] ويومَ حُنَيْن[٨].

وكما قَصَّ سُبحانه قِصَّة عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها في حَدِيثِ الإِفكِ وبرَّأها [الله] مما رُمِيتْ بِه[٩]. وقصةَ ﴿ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْ﴾ [التوبة: ١١٨].

وفي السُّنَّةِ من هذا المعنى شَيءٌ كثيرٌ أيضاً، مثلُ قِصَّةِ الثَّلاثةِ الذينَ دَخلوا الغَارَ، فانطبقتْ عليهم صَخْرَةٌ، فدعَوا اللهَ بأعمالِهمُ الصَّالحةِ ففرَّجَ عَنْهُم[١٠].

ومثلُ قِصَّةِ إبراهيمَ وسَارة مَع الجبَّارِ الذي طَلَبها مِنْ إبراهيمَ، ورَدَّ الله كَيْدَ الفَاجِر[١١].

---

(١) سورة يوسف، الآية (٨٤ ـ ٩٦).

(٢) سورة يوسف، الآية (٣٣ ـ ٣٤).

(٣) سورة يونس، الآية (٩٨).

(٤) في (ب): «وكما قصَّ الله».

(٥) سورة التوبة، الآية (٤٠).

(٦) سورة آل عمران، الآية (١٢٣ ـ ١٢٧).

(٧) سورة آل عمران، الآية (١٤٠) وما بعدها.

(٨) سورة التوبة، الآية (٢٥ ـ ٢٦).

(٩) سورة النور، الآية (١١ ـ ٢٥).

(١٠) أخرجها البخاري في مواضع منها: (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(١١) أخرجها البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحكاياتُ الواقعةُ في هذا المعنى في الإسلامِ وقبلِهِ كثيرةٌ جِدّاً، لا يُمكن [حصرُها و][1] استِقْصاؤها، وكثيرٌ منها مذكور في الكُتُبِ المصنَّفَةِ: في «الفَرَجِ بعدَ الشِّدَّةِ» لابن أبي الدُّنيا، وغيرِه، وكتابِ «مُجابي الدَّعوةِ» لابن أبي الدُّنيا، وكتاب «المستغِيثينَ باللهِ»[2] و«المستَصْرِخينَ بـه»[3]، وكُتُبِ كراماتِ الأولياءِ وأخبَارِ الصَّالحينَ، وفي كُتُبِ التَّواريخِ وغيرِها.

ونحنُ نذكُرُ هاهنا طَرَفاً يَسيراً من أطرف[4] ما حكي في هذا الباب ليُعتبر به.

## [حكاياتٌ في الفَرَجِ بعد الشِّدَّة][5]

### [الأولى]:

ذَكَرَ بعضُ العُلماءِ في مُصَنَّفٍ له ـ وأظنُّه مِن المغارِبَة ـ أنَّه سَمِعَ مِنْ أبي ذَرٍّ الهَرَويِّ الحافظِ يَحكِي أنَّه كانَ ببغدادَ يقرأُ على أبي حَفْصِ بنِ شاهين، في دُكَّانِ عَطَّارٍ، وأنَّه شَاهَدَ رُجلاً جاءَ إلى العطَّارِ فدَفَعَ إليه عَشَرَةَ دراهمَ، وأخذَ منه بِها حوائجَ، وجَعَلَها في طَبَقٍ، ووَضَعَهُ على رَأْسِه، فزَلِقَ، وَوَقَع طبقُه، وتفرَّقتْ حوائِجُه، فبكى واشتدَّ بُكاؤه، وقالَ: لقَدْ ضَاعَ مِنِّي في قافلةِ كَذا وكَذا هِمْيانٌ فيهِ أربعُ مئةِ دِينارٍ، أو قَالَ: أربعةُ آلافِ دِينارٍ، ومَعَها فُصوصٌ قيمَتُها أكثرُ مِنْ[6] ذلكَ، فما جَزِعْتُ لضَياعِها، ولكنْ وُلِدَ ليَ الليلةَ ولدٌ، فاحتَجْنا في البيتِ إلى ما تَحتَاجُ إليهِ النُّفَسَاءُ،

---

(١) من (س).

(٢) للحافظ ابن بشكوال رحمه الله.

(٣) للقاضي أبي الوليد بن الصفار رحمه الله.

(٤) في (صل): «أطراف».

(٥) من حاشية (صل) وكذلك تعداد القصص فيما يأتي. وفي حاشية (ف): «حكاية لطيفة».

(٦) في (صل) و(ب): «مثل».

ولمْ يَكُنْ عِندِي غيرُ هذهِ العَشَرة دراهم، فلمَّا قَدَّرَ اللهُ بما قَدَّرَ جَزِعْتُ، وقلتُ: لا أنا عِنْدِي ما أَرْجِعُ به اليومَ إلى أهلِي، ولا ما أكتَسِبُ لهم[١] غَداً، ولمْ يبقَ لي حيلةٌ إلا الفِرارُ عَنْهُم، وتركُهم على هذهِ الحالِ، فيهلِكُون بَعْدِي، فلمْ أملِكْ نفسِي أنْ جَزِعْتُ هذا الجَزَع. قالَ أبو ذرٍّ: ورجلٌ[٢] من شيوخِ الجُنْدِ جالسٌ على بابِ دارِه فسمعَ[٣] هذا كُلَّه، فسألَ الجنديُّ أبا حَفْصٍ أنْ يدخُلَ هو وأصحابُه والرَّجُلُ المصابُ معه إلى بيتِهِ، ففعَلَ، وطَلَبَ من الرَّجُلِ المَصَابِ إعادةَ حِكايتِهِ في الهِمْيانِ، فأعادَ ذلكَ عليه وسَأَلَهُ عَنْ مَنْ كانَ في تلكَ القافلةِ وعن المكانِ الذي ضَاعَ فيهِ الهِمْيان، فأخبَرَه، ثم سَأَله عِنْ صِفَةِ الهِميانِ وعلامَتِه، فأخبَره بذلِكَ، فقالَ: لو رأيتَه كنتَ تعرِفُه؟ قالَ: نَعَمْ. قالَ: فأخْرَجَه إليهِ، فلمَّا رآهُ قالَ: هذا الهِميانُ الذي سَقَطَ منِّي، وفيه مِن الأحجارِ ما صِفَتُه كذا وكذا، ففَتَحَ الهِميان، فوجدَ الأحجارَ على ما وَصَفَ، فدَفَعَه إليه، وخَرَجَ مِنْ عِنْدِه، وقَدْ صارَ مِن الأغنياءِ، فلمَّا خَرَجَ بكى الشَّيخُ الجُنْدِيُّ بكاءً شديداً، فسُئِلَ عَنْ سَبَبِ بُكائه، فقالَ: إنَّه لمْ يَكُنْ بَقِيَ لي في الدُّنيا أملٌ ولا أُمنيةٌ أتمنَّاها إلا أنْ يأتيَ اللهُ بصَاحِبِ هذا المالِ فيأخُذَه، فلمَّا قَضَى اللهُ ذلكَ[٤] بفَضْلِه، ولم يبقَ لي أملٌ علمتُ أنَّه قَدْ حانَ أَجَلِي. قالَ أبو ذَرٍ: فما انقَضَى شَهْرٌ حتى تُوفِّي وصَلَّينَا عليهِ رَحِمَهُ الله[٥].

---

(١) في (صل): «أتكسب لهم».

(٢) بين أسطر (ف): «حال» أي هذه الجملة.

(٣) في (ب) و(صل): «يسمع». وفي (ب): «سمع».

(٤) في (ب) و(ف): «بذلك».

(٥) روى القصة أبو بكر الطرطوشي في «سراج الملوك» (ص: ١٦٨) عن أبي الوليد الباجي، عن الحافظ أبي ذر الهروي صاحب الرواية المشهورة من صحيح الإمام البخاري.

ومن هذا الكتاب نقل المصنف القصة، والله أعلم. وقد عقد فيه باباً في (الفرج بعد الشدة).

[الثانية]:

وحكى[١] هذا المصنِّفُ أيضاً في كِتابِه عَنْ رَجُلٍ حكى له بالمَوْصِل: أنَّ رجُلاً كانَ عندَهُم تاجِراً يُسافِرُ بتِجَارَتِهِ إلى البُلْدَانِ، فسافَرَ[٢] مَرَّةً بجميعِ مالِه و[٣]ما يَمْلِكُه إلى الكُوفةِ، فرافَقَهُ في تلكَ السَّفْرةِ[٤] رجلٌ فخَدَمَهُ فأحسنَ خِدْمَتَه وَأَنِسَ به، حتَّى وَثِقَ به، ثمَّ استغْفَلَه في بَعْضِ المنازِلِ، وأخذَ دابَّته وما عَليها مِن المالِ والمتاعِ، ولم يبقَ لهُ شيءٌ ألبتة، واجتهدَ في طَلَبِه فلمْ يَقعْ له على خَبَرٍ [ولا أَثَر][٥]، فرجَعَ إلى بَلَدِه راجِلاً جائِعاً، فدَخَل إلى المدينةَ لَيْلاً، وهُو على تِلكَ الحالِ، فطَرقَ بابَه، فلمَّا عَلِمَ[٦] بِهِ أهلُه سُرُّوا[٧]، وقالُوا: الحمدُ للهِ الذي جَاءَ بكَ في هذا الوقتِ، فإنَّ أهلَكَ قَدْ وَلَدَت اليومَ وَلداً، وما وَجَدْنا ما نَشْتَرِي به ما تَحتَاج إليهِ النُّفَسَاءُ، ولقدْ كانتْ هذه الليلةَ طاويةً، فاشترِ لنا دَقِيقاً ودُهْناً نُسْرِجُ به، فلمَّا سَمِعَ ذلك زادَ في غَمِّه وكَرْبِه، وكَرِهَ أنْ يُخبِرَهُم بما جَرى له[٨]، فيحزِنَهم، فخَرجَ إلى حانُوتِ رجلٍ كانَ بالقُربِ مِنْ دَارِه فسَلَّم عليهِ، وأخذَ منهُ دُهناً وغيرَه مما يُحتاج إليه[٩]، فبينا هُو يخاطِبُه إذ التفتَ فرأَى خُرْجَه الذي هَرَبَ بهِ خادِمُه مَطْروحاً في داخِلِ الحانوتِ، فسألَه عنهُ؟ فقالَ:

---

(١) في (س): «وخَرَّجَ».

(٢) في (س): «فسار».

(٣) في (س): «أو».

(٤) في (س): «ذلك السفر».

(٥) من (س).

(٦) في (س): «أحس».

(٧) في (ف): «سروا به».

(٨) «له» من (ب) ومن (ف) و(س).

(٩) في (صل): «به إليه».

إنَّ رَجُلاً وَرَدَ عليَّ بعدَ العِشاءِ، واشترى مِنِّي عشاءه، واستَضَافَني فأَضَفْتُه، فجعلتُ خُرْجَه في حانُوتي، ودابَّتَه في دارِ جارِنا، والرَّجُلُ بائِتٌ في المسْجِدِ، فنَهَضَ إلى المسْجِدِ، ومعَه الخُرْجُ، فوجَدَ الرَّجُلَ نائِماً فَرفَسَهُ فاستيقَظَ مذعُوراً، فقالَ لهُ: أينَ مالي يا خائِنُ؟ فقالَ: هو ذَا على عُنُقِكَ، واللهِ ما فُقِدَ[1] منه ذَرَّةٌ، واستخرجَ الدابَّةَ مِن مَوضِعِه[2]، ووسَّعَ على أهلِه وأخبَرهم حينئذٍ بخبَرِه[3].

[الثالثة]:

ويشبِهُ هاتَينِ الحكايتينِ ما حَكاه التَّنُوخِيُّ في كتابِه [الفَرَجُ بعدُ الشِّدَّةِ][4]، والحكايةُ طويلةٌ، وملخَّصُها: أنَّ رَجُلاً كانَ ببغدادَ في زَمَنِ الرَّشِيدِ، وكانَ صَيْرفياً، فابتاعَ جاريةً بخمسِ مئةِ دِينارٍ، وشُغِفَ بها حتى تعطَّلَ عَنْ معاشِه بسَبَبِ مُلازَمتِها، وأنفقَ رأسَ مالِه، حتَّى لمْ يبقَ مَعَه مِنْهُ شيءٌ، وحَمَلتْ جاريتُه، فصَار ينقُضُ دارَه، ويبيعُ أنقاضَهَا حتَّى فَرَغَتْ، ولم يبقَ له حيلةٌ، فضربَها الطَّلْقُ وهُو على تلكَ الحالِ، وطلبتْ مِنْه ما يَصْلُحُ للنُّفَسَاءِ[5]، وشَكَتْ إليهِ أنَّها تموتُ إنْ لم يُعَجِّلْ عليهَا بذَلكَ، فبَكى وخَرَجَ على وَجْهِه، وهَمَّ أنْ يُغرِقَ نفسَه في دِجْلَة، ثمَّ خَافَ عِقابَ اللهِ فامتَنَعَ، وخَرجَ ماشِياً على قَدَميهِ من قَريةٍ إلى قريةٍ[6]، حتَّى بلغَ خُراسانَ، فأقامَ بها واكتَسَبَ بها مَالاً، وكتَبَ إلى بَلَدِه سِتَّةً وستينَ كِتاباً ليتعرَّفَ[7] خَبَرَ الجاريةِ، فلمْ يَعُدْ إليه

---

(١) في (صل): «تفقد» وفي (ش): «نفقتُ».

(٢) في (ب): «على موضعها».

(٣) لخصها المصنف رحمه الله، وهي أطول في «سراج الملوك» للطرطوشي (ص: ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٤) من (ف) و(س).

(٥) في (ف): «يصلح النفساء».

(٦) في (صل) و(ش): سقطت «قرية» الأولى، وفي (ف): «من قريته حتى بلغ»!

(٧) في (ش): «ليعرف أخبار الجارية».

جوابٌ، فلَمْ يشكَّ أنَّها ماتَتْ، ثم رَجَعَ إلى بغدادَ بعدَ مُدَّةٍ طويلةٍ، ومعَه ما قِيمتُه عشرونَ ألفَ دينارٍ، فخَرجَ على قافِلَتِهِ اللُّصوصُ، فأخَذُوا ما مَعَه كلَّه[١]، وعادَ بثيابِه فَقِيراً، ولم يَزَلْ يتوصَّلُ حتَّى دَخَلَ بغدادَ فَقِيراً كمَا خَرَجَ مِنْها بعدَ أنْ غَابَ عَنْها قريباً مِنْ ثلاثينَ سنةً.

فقَصَدَ دارَهُ فوجَدَها عَامِرَةً، وبابُها حَسَنٌ، وعليهِ بَوَّابٌ وغِلمانٌ وبِغالٌ، فسألَ عن الدَّارِ لمنْ هي؟ فقيلَ: هي لابنِ فلانٍ الصَّيْرفيِّ، وسمَّوا الرجلَ باسمِه، قالُوا: وهُو ابنُ دايَةِ أميرِ المؤمنين، وهُو جِهْبِذُه وصاحبُ بيتِ مالِه، وأخبرَه الذي سَأله: أنَّ أباه أخبره أن أبا هذا الرَّجلِ صاحَبِ الدَّارِ كانَ صَيْرفياً جَليلاً، فافتَقَرَ، وأنَّ أمَّ هَذا الصَّبِيِّ ضَرَبها الطَّلْقُ، فخَرَجَ أبوهُ يطلُبُ لها شَيئاً، ففُقِدَ وهَلَكَ، وأنَّ أُمَّهُ أَرسلَتْ إلى بعضِ الجِيرانِ تَستغيثُ بهم، فقاموا لها[٢] بحوائِجِ الولادَةِ، ثمّ أنَّه وُلِدَ لأميرِ المؤمنينَ ولدٌ ذَكَرٌ، وذلكَ الولدُ هُو المأمونُ، وأنَّه عُرِضَ عليه جميعُ الدَّاياتِ فلم يَقْبَلْ أثداءهن فأرشَدُوا إلى أمِّ هذا الصَّبِيِّ فحُمِلتْ إلى دارِ الرَّشِيد فحينَ[٣] وُضِعَ فَمُ المولودِ على ثَدْيها قَبِلَه، وأرضَعَتْه وصَارتْ عندَهُم في حَالٍ جَليلةٍ، ثمَّ لما وُلِّي المأمونُ الخلافةَ كانت المرأةُ وابنُها مَعَه، وبنى ابنُها هذهِ الدَّارَ، وسألَه عَنْ أُمِّه أحَيَّةٌ هي؟ قال[٤]: نَعَمْ، وهيَ تمضِي إلى دَارِ الخَليفةِ أيَّاماً، وتكونُ عندَ ابنِها أيَّاماً.

فجَاءَ الرَّجُلُ الصَّيرَفيُّ حتَّى دَخَل الدَّارَ معَ النَّاسِ، فرآها في غَايَةِ الحُسْنِ، ورأى في صَدْرِهَا شَاباً يُشْبِهُه وبينَ يدَيْهِ الكُتَّابُ والأموالُ والموازينُ يَقْبِضُون ويُقَبِّضُونَ،

---

(١) في (س): «كان معه كله».

(٢) في (ف) و(س): «إليها».

(٣) في (صل): «فحال».

(٤) في (صل) و(ب): «قالوا».

فجَلَسَ الرَّجُلُ في غِمَارِ النَّاسِ حتَّى تَفَرَّقُوا ولَمْ يَبْقَ غيرُه، فقالَ له الشَّابُّ: يا شيخُ هَلْ مِنْ حَاجَةٍ؟ قالَ: نَعَمْ أنا أَبُوكَ، قال: فتغيَّرَ وجهُهُ، ووَثَبَ مُسْرِعاً، ثم استَدْعَاه إلى دارٍ، وأَجْلَسَه على كُرْسِيٍّ، وهناكَ سِتَارةٌ، فقالَ له الشيخُ: لعلَّك تريدُ أنْ تَخْتَبِرَ صِدْقَ قَولي مِنْ جِهَةِ فُلانَةٍ ـ وذكرَ اسمَ جارِيَتِه أمِّ الصَّبِيِّ ـ فسمعت الجاريةُ صوتَهُ فرَفَعَتْ الستارة، وخَرَجَتْ إلى مَولاها[1]، وجعلَتْ تقبِّلُه وتَبكِي، وأخبرَها بخَبَرِه مِنْ حين خُروجِه مِنْ عندِها إلى أنْ رَجَعَ.

فقامَ وَلَدُه حينَئِذٍ، واعتَذَرَ إليهِ مِنْ تقصِيْرِه، وأَصْلَحَ حالَه، ثم أَدْخَلَهُ[2] على المأمونِ فحدَّثَه بحديثِه، فخَلَعَ عليه، وصَيَّرهُ جِهْبِذاً له على ما كانَ عليه ابنُه، وأجرى لـه[3] الرِّزقَ، وقلَّدَ ابنَه عَملاً أَجَلَّ مِنْ عَمَلِه[4].

[الرابعة]:

وروى المُعافَى بنُ زكريّا النَّهروانيُّ بإسنادِه عَن سَوّارٍ القَاضي: أنَّه خَرَجَ يَوماً مِنْ دَارِ المَهدِيِّ، فدَخَلَ دارَهُ فدعا بغَدَائِه، فجَاشَتْ نفسُه، فردَّهُ ثم دَعا بجاريةٍ لـه فلَمْ تَطِبْ نفسُه، فدَخَلَ للقَائِلةِ فلم يأْخُذهُ النَّومُ، فنَهَضَ وركبَ بغلَتَه، فلقِيَه[5] وكيلٌ لـه مَعَه ألفا دِرهمٍ، فقالَ له: أمسِكْها مَعَك واتْبَعْني، وخَلَّى بغلَتَه، فذهبتْ بـه[6]، فحَضَرت الصلاةُ وهُو في بعضِ الشَّوارعِ فدخَلَ فصلَّى في مَسْجِدٍ هناك، فلمَّا قَضَى صلاتَه إذا هُو بأعمى يَتَلمَّسُ، فقالَ له: ما تُريد؟ قال لَهُ: أريدُكَ، قالَ: وما حَاجَتُك؟

---

(١) في (ف): «سيدها» نسخة.

(٢) في (صل): «أدخل».

(٣) في (ف): «عليه».

(٤) في حاشية (ش): «بلغ ثانياً». والقصة في «الفرج بعد الشدة» للتنوخي (٣/ ٣١٤ ـ ٣٢٠).

(٥) في (س): «فلقي».

(٦) يعني ذهبت به حيث تريد لا يقودها إلى مكان معين.

قال: شَمِمتُ مِنْكَ رِيحَ الطِّيبِ فظَنَنْتُ أَنَّكَ مِنْ أهل النَّعيم، فأردتُ أنْ أُلقِيَ إليك شَيئاً. قالَ: قُلْ. قالَ: أترى[1] هذا القَصْرَ ـ لقصرٍ هُناك ـ؟ قالَ: نَعَمْ. قالَ: فإنَّه كانَ لأبي فبَاعَهُ، ثمَّ خَرَجَ إلى خُراسانَ، وخرجتُ مَعَه فزالتْ عَنَّا النِّعَم التي كُنَّا فيها، فقدمتُ[2] فأتيتُ صاحِبَ الدَّارِ لأسأَله شيئاً يَصِلُني بهِ وأَصيرُ[3] إلى سَوَّارٍ [القاضي][4] فإنَّه كانَ صَدِيقاً لأبي. قالَ: سَوَّارٌ! فقلتُ[5]: فمَنْ أبوكَ؟ قالَ: فلانُ بنُ فلانٍ، فإذا هُو أَصدَقُ النَّاسِ إليَّ، فقلتُ له: فإنَّ اللهَ قَدْ أتاكَ بسَوَّارٍ، منَعَهُ الطَّعامَ والشَّرابَ والنَّومَ، وجاءَ به بينَ يَدَيكَ، ثم دعا سَوَّارٌ وكيلَهُ فأخَذَ منه الدَّراهِمَ، فدَفَعَها إليهِ، وقالَ له: إذا كانَ غَدٌ فصِرْ إليَّ. قالَ سَوَّار: ثمَّ دَخَلْتُ[6] على المَهدِيِّ، فحدَّثتُه بهذا الحديثِ فأعجَبَهُ، وأَمَرَ للأعمى بألفَي دِينارٍ، وأمرَ لسَوَّار بمئةِ ألفِ دينارٍ.

قالَ سَوَّارٌ: فجَاءَني الأعمى فدفعتُ إليهِ الألفي[7] دِينَارٍ: وقلتُ له: قَدْ رَزَقَ اللهُ بكَرَمِهِ بِكَ[8] خَيراً كثيراً، وأعطيتُه مِـنْ مالي ألفَي دينارٍ أيضاً[9].

**[الخامسة][10]:**

وخَرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا في كِتابه «الفَرَج بعدَ الشِّدَّة» بإسنادِه عَنْ وَضَّاحِ بن خَيْثَمَةَ

---

(١) في (س): «هل ترى».

(٢) في (س): «فتقدمت».

(٣) في (صل): «وأصل».

(٤) من (ف) و(س).

(٥) في (صل): «قلت».

(٦) في (صل): «فدخلت».

(٧) في (س): «ألفي».

(٨) التبس على ناسخ (س) فكتب: «بكربة أبيك» وكتب في الحاشية «لعله: ببركة».

(٩) ذكر القصة المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» (ص: ٦٣).

(١٠) في حاشية (ف): «حكاية أخرى».

قال: أمرني عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز رحمهُ اللهُ بإخراجِ مَنْ في السِّجنِ، فأخرجتُهم إلا يزيدَ بنَ أبي مُسلمٍ، فنذر هدرَ دَمِي، فإني لبإفرِيقِيَّة، إذْ قيلَ لي: قَدِمَ يزيدُ بنُ أبي مُسْلِم ـ يعني أَميراً على إفريقيَّة ـ فهربتُ مِنْه، وأرسلَ في طَلَبي، فأُخِذْتُ، فأُتيَ بي إليه، فقالَ لي: واللهِ لطالما سألتُ اللهَ أن يُمكِنَني منكَ، فقلتُ: وأنا واللهِ طالما استعذتُ باللهِ مِنْ شَرّك، قالَ[1]: واللهِ ما أَعاذَكَ اللهُ، واللهِ لأقتلنَّكَ، ثم واللهِ لأقتُلنَّكَ، ثمَّ واللهِ لأقتلنَّكَ، لو سابَقني مَلَكُ الموتِ إلى قَبْضِ رُوحِكَ لسبقتُهُ. عليَّ بالسَّيْفِ والنِّطَع. قال: فجِيءَ بالنِّطَع، فأُقعِدْتُ فيه[2]، وكُتِّفْتُ، وقامَ قائمٌ على رأسِي بسيفٍ مَشْهُورٍ، وأقيمَت الصَّلاةُ، فخَرَجَ إلى الصَّلاةِ، فلمَّا سَجَدَ أخذتْهُ سُيوفُ الجُنْدِ، فقُتِلَ، فجاءَني رَجُلٌ فقَطَعَ كِتافي بسَيْفِه، وقالَ لي: انطَلِقْ[3].

[السادسة][4]:

وبإسناده عن عَمرِو السَّرايا، وكان يُغيرُ[5] في بلادِ الرُّومِ وحدَه، فبينَما هو نائمٌ ذاتَ يومٍ إذ وردَ عليه عِلْجٌ مِنْهُم، فحرَّكَهُ برِجْلِهِ فانتبَه، فقال: يا عَرَبي[6] اخترْ إنْ شئتَ مُطاعَنةً، وإنْ شِئْتَ مُسايَفَةً، وإنْ شِئْتَ مُصارَعَةً، فقلتُ: أما المطاعَنَةُ والمسايَفَةُ فلا بُقيا[7] لهما، ولكن المُصَارَعة. فنَزلَ فصَرَعَني، وجَلَسَ على صَدْرِي، وقال: أيَّ

(١) في (صل) و(ب): «فقال».

(٢) في (س): «عليه».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٧١).

(٤) في حاشية (ف): «حكاية أخرى».

(٥) في (ش): «يغزو».

(٦) في (س): «أعرابي».

(٧) في (ب): «فلا بقاء».

قِتْلَةٍ أقتُلُكَ؟ فرفعتُ رَأسي، وقلتُ: أشهدُ أنَّ كُلَّ مَعبُودٍ ما دُونَ عَرْشِكَ إلى قرارِ الأَرَضين باطلٌ غيرَ وجهِك الكَريم، قَدْ ترى ما أنا فيهِ فَفَرِّجْ عَنِّي. قال: فأُغميَ عليَّ، فأفقتُ، فإذا الرُّومِيُّ قتيلٌ إلى جَنْبِي[1].

[السابعة]:

ورَوى أبو الحَسنِ بنُ جهضم بإسنادِه، عن حاتمٍ الأصَمِّ قالَ: لَقِينا التُّركَ، فكانَ[2] بينَنَا جولةٌ، فرماني تُركيٌّ فقَلَبني عَنْ فَرَسي، ونَزلَ فقعدَ على صَدرِي، وأخذَ بلِحْيتي، وأخرجَ من خُفِّه سكِّيناً ليذبَحني، فما كانَ قلبي عندَه، ولا عندَ سِكِّينه، وإنَّما كانَ عندَ سيِّدي، فقلتُ: سيِّدي، إنْ[3] قضَيتَ عليَّ أنْ يَذْبَحني هذا فعلَى الرَّأسِ والعَين، إنَّما أنا لكَ ومُلْكُكَ، فبينَما أنا على هذهِ الحالِ إذْ رَماهُ بعضُ المسلمينَ بسَهْمٍ فما أَخْطأ حَلْقَه، فسَقَط عَنّي، فقمت أنا إليهِ، وأخذتُ السِّكِّينَ مِنْ يدِه فذَبَحْتُه بها، فما هُو إلّا أنْ تكونَ قُلُوبكم عِنْدَ السَّيِّدِ حتى تَروا مِنْ عَجَائِب لُطْفِه ما لم تَروا مِن الآباءِ والأُمَّهاتِ[4].

وهذا بابٌ يطُولُ ذِكرُه جِدًّا، فلنَقْتَصِرْ على ما ذَكرناهُ، ففيهِ كِفايةٌ[5].

* * *

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٦٠).

(٢) في (صل): «فكانت»، وفي (ش): «وكان».

(٣) سقطت «إنْ» من (صل).

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٥٢).

(٥) في حاشية (ش): «بلغ ثانياً».

قولُه ﷺ: «وإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسراً»: هذا مُنْتَزَعٌ مِنْ قَولِهِ سُبحانَه وتعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وقولِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦].

ورَوى حميدُ بنُ حَمّاد بنِ أبي الخوَّار[١] ثنا عائذُ بنُ شُريحٍ، سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ: كانَ النبيُّ ﷺ جالِساً وحِيالَه جُحْرٌ فقالَ: «لو جَاءَ العُسْرُ فدخَلَ هذا الجُحْرَ لجاءَ اليُسرُ حتى يَدْخُلَ عليه فيخْرِجَه»، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجَلّ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦]. خَرَّجُه ابنُ أبي حَاتم في «تَفْسِيره»[٢].

وخَرَّجه البزَّارُ في «مُسْنَدِه»، ولفظهُ: «لو جَاءَ العسْرُ حتى يَدخُلَ هذا الجُحْرَ لجاءَ[٣] اليسرُ حتى يُخرِجَه»، ثمَّ قالَ: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٤].

وحميدُ بنُ حمّاد هذا: ضَعَّفُوه[٥].

وخَرَّجَ ابنُ أبي حَاتمٍ من روايةِ مباركِ بنِ فَضَالةَ عن الحَسَنِ قالَ: كانوا يقولونَ: لا يَغْلِبُ عُسْرٌ واحدٌ يُسْرَينِ اثنينِ[٦].

وَخرَّجَ ابنُ جَرير مِنْ روايةِ مَعْمَرٍ عن الحَسن قالَ: خَرجَ النبيُّ ﷺ يَوماً مَسرُوراً

---

(١) هذا صوابه، وفي (صل): «بن أبي...» بياض، وفي (ش): «حميد بن أبي حماد بن أبي الجوزا». وفي (ف): «أحمد بن حماد بن الحواري». وفي (س): «حميد بن حماد بن أبي الحواري».

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٣٩٥).

(٣) في (س): «لجاء إليه».

(٤) أخرجه البزار (٧٥٣٠).

(٥) في (س): «ضعيف». قال الآجري عن أبي داود: ضعيف. كما في ترجمته من «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٧).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٣٩٦).

فَرِحاً، وهُو يقولُ: «لنْ يَغْلِبَ عسرٌ يُسرين، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسرَين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦]»(١).

وخَرَّجَه أيضاً مِنْ روايةِ عوفٍ ويونسَ عن الحسنِ مُرسلاً أيضاً(٢).

ومِنْ حَديثِ قتادةَ قال: ذُكِرَ لنا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بَشَّرَ أصحابَه بهذهِ الآيةِ فقالَ: «لنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَين»(٣).

وروى ابنُ أبي الدُّنيا مِنْ حديث معاويةَ بن قُرَّة عمَّن حدَّثه(٤) عن ابنِ مسعودٍ قالَ: لو أنَّ العُسرَ دَخَلَ في جُحرٍ لجاءَ اليسرُ حتى يدخُلَ معَه، ثم قالَ: قالَ الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦](٥)

ومِنْ حديثِ عبدِ اللهِ(٦) بنِ زيدِ بنِ أسلَمَ، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ: أنَّ أبا عُبيدةَ حُصِرَ، فكتبَ إليه عُمر يقولُ: مهما ينزلُ بامرئٍ شدةٌ يجعلِ اللهُ له بعدَها فَرَجاً(٧)، وإنَّه لنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَينِ، وإنّه(٨) يقولُ: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠](٩).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٦).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٥).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٦).

(٤) من عجائب التصحيف ما وقع في (ش): «عَن جَدَّته».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٣٠). وهو في «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٩٦)، وغيره.

(٦) في (ب): «عبد الرحمن» وهو خطأ.

(٧) في (صل): «مَخرجاً».

(٨) في (س): «وإن الله تعالى».

(٩) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٣١)، وغيره.

وكذا قالَ ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه من المفسِّرين في هذهِ الآيةِ: لن يغلِبَ عُسْرٌ يُسرَين[١].

كانَ بعضُ المتقدِّمين ليلةً في الباديةِ في غَمٍّ شديدٍ، فأُلقيَ في رُوْعِه بيتٌ مِنَ الشِّعرِ فَقالَ:

أرى الـــموتَ لـمـــنْ أصبَـ ـحَ مَـغـمُـــوماً لـه أَصْلَـحْ

فلما جَنَّ عليه الليلُ سمع هاتِفاً يهتِفُ:

ألا أيـهـــــا الـمـــــرءُ الـ لـــذِي الهـــمُّ بـــهِ بَـــرَّحْ[٢]

وقـــد أنـشـــــدَ بيتـــاً لـــم يَـــزَلْ فـــي فِكْـــرِه يَسْـــنَح[٣]

إذا اشـتـــــدَّ بـــكَ العسـرُ[٤] ففكِّـــرْ فـــي (أَلَـــمْ نَشْـــرَحْ)

فـعُـسْـــــرٌ بـــين يُسـرَيْنِ إذا أبـصَـرْتَـــه فـافْـــرَحْ

قالَ: فحفظتُ الأبياتَ وفرَّجَ الله غَمِّي[٥].

وقد أكثرَ الشعراءُ مِنَ القَولِ في هذا المعنى، ونحنُ نذكرُ قطعةً مُنتَخبةً مِنْ محاسِنِ ما قيلَ في ذلكَ:

---

(١) أخرجه عن ابن عباس: الفراء في «معاني القرآن» (٥/ ٢٢١). وذلك لأن «العسر» مذكور في الآيتين بلفظ التعريف، و«اليسر» مذكور بلفظ التنكير، فدل على أن العسر واحد واليسر اثنان، والعرب إذا ذكرت نكرة ثم أعادتها بنكرة صارت اثنتين.

(٢) في (س): «به الهم لم يبرح».

(٣) في (ف) و(س): «ذكره». وفي (صل) و(ف): «يَسْبَح».

(٤) في (ش): «إذا ضاق بك الأمر».

(٥) أخرجه من كلام العتبي رحمه الله: الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥١٩)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٥١).

## [أبيات في الفَرَجِ بعد الشِّدَّة][1]

فممَّا قيل في هذا المعنى:

تَصَبَّرْ إنَّ[2] عُقبى الصَّبْرِ خَيْرٌ ... ولا تَجْزَعْ لِنائِبَةٍ تَنُوبُ

فإنَّ اليُسْرَ بعدَ العُسْرِ يأتي ... وعِنْدَ الضِّيقِ تَنْكَشِفُ[3] الكُرُوبُ

وكَمْ جَزِعَتْ نُفُوسٌ مِنْ أُمُورٍ ... أتى مِنْ دُونِها فَرَجٌ قَرِيبُ[4]

ولبَعْضِهِم:

عَسى فَرَجٌ يكونُ عَسَى ... نُعَلِّلُ أَنْفُساً بِعَسَى

وأقربُ ما يَكونُ المَرْ ... ءُ مِنْ فَرَجٍ إذا يَئِسَا[5]

ولآخر[6]:

إذا تضايقَ[7] أمرٌ فانتظِرْ فَرَجَا ... فأضيقُ الأمرِ أدناهُ مِنَ الفَرَجِ[8]

ولِبَعْضِهم:

فلا تَجْزَعْ وإنْ أَعْسَرْتَ يوماً ... فقدْ أيسَرْتَ في الزَّمَنِ الطَّويلِ

---

(١) من حاشية (صل).

(٢) في (س): «فإن».

(٣) في (صل): «تنفرج».

(٤) لم أجد الأبيات عند غير المصنف.

(٥) أنشده الحسين بن عبد الرحمن لابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٧٧).

(٦) في (ش): «ولبعضهم»، وفي (ب) و(ف) و(س): «ولغيره».

(٧) في (صل): «ضاق».

(٨) من قول مجنون سمعه محمد بن الحسين كما في «الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا (٨٣).

ولا تَظْنُنْ بربِّكَ ظَنَّ سُوءٍ فإنَّ اللهَ أولى بالجَمِيلِ
ولا تيأسْ فإنَّ اليأسَ كُفْرٌ لعلَّ اللهَ يُغنِي عَنْ قَلِيلِ
فإنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسارٌ وقِيْلُ اللهِ أصدَقُ كُلِّ قِيْلِ[1]

ولِبَعْضِهم:

مفتاحُ بابِ الفَرَجِ الصَّبْرُ وكلُّ عُسْرٍ بعدَهُ يُسْرُ
والدَّهْرُ[2] لا يَبقى على حَالةٍ والأمرُ يأتي بعدَه الأمرُ[3]

ولغيره[4]:

إذا اشْتَملتْ على اليأسِ القُلوبُ وضاقَ لما به الصَّدْرُ الرَّحيبُ
وأوطنتِ المكارِهُ وأطمأنَّتْ وأرسَتْ في أماكِنِها الخُطُوبُ
ولم تَرَ لانكشافِ الضُّرِّ وَجْهاً ولا أَغْنَى بحِيْلَتِه الأريبُ
أتاكَ على قُنُوطٍ منكَ غَوْثٌ يمُنُّ بهِ اللَّطِيفُ المُسْتَجِيبُ
وكلُّ الحادثاتِ وإنْ تَناهَتْ فمَوْصُولٌ بها الفَرَجُ القَرِيبُ[5]

---

(١) ذكر ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٩٧) الأبيات الثلاثة الأولى لجعفر بن محمد رحمه الله في قصة. وانظر: «الفرج بعد الشدة» للتنوخي (١/ ٢٩٦). وذكرت الأبيات كلها مما أنشده ابن أبي الدنيا لمحمود الوراق كما في «ذكر ابن أبي الدنيا وما وقع عالياً من حديثه» لأبي موسى المديني (٣٣).

(٢) في (س): «فالدهر».

(٣) لأحمد بن يحيى، كما في «الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا (٧٣).

(٤) في (ش) و(س): «ولبعضهم».

(٥) أنشده محمد بن إبراهيم، كما في «الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا (ص: ٨١). ونسبه في «الحماسة البصرية» (٢/ ١) لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «وتروى لحسان بن ثابت رضي الله عنه».

ولبَعْضِهم:

عَسى ما تَرَى أنْ لا يَدُومَ وأنْ تَرى ... له فَرَجاً مِمَّا ألَحَّ بِهِ الدَّهْرُ

عسى فَرَجٌ يأتي بِهِ اللهُ إنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يومٍ في خَلِيقَتِهِ أمرُ

إذا لاحَ عُسْرٌ فارْجُ يُسراً فإنَّه ... قَضَى اللهُ أنْ العُسْرَ يَتْبَعُهُ اليُسْرُ(١)(٢)

* * *

## [نبذةٌ في ذكرِ لطائفِ البلايا وحكمها وفوائدها]

ولنختم الكتابَ بذِكْرِ نُبْذَةٍ يسيرةٍ منْ لطائفِ البَلايا وفوائِدِها وحِكَمِها:

* **فمِنْها: تكفيرُ الخَطايا بها، والثوابُ على الصَّبْرِ عليها**، وهَلْ يُثابُ على البَلاءِ بنفسِه؟ فيه اختلافٌ بينَ العُلَماءِ.

* **ومِنْها: تذكيرُ العبدِ بذنوبه**(٣)، فربَّما تابَ ورجعَ مِنْها إلى اللهِ عَزَّ وجَلّ.

* **ومِنْها: زَوالُ قَسْوةِ القُلُوبِ وحدوثُ رقَّتِها**. قالَ بعضُ السَّلَفِ: إنَّ العبدَ ليمرَضُ فيذكرُ ذنوبَه، فيخرجُ منه مثلُ رأسِ الذُّبابِ مِنْ خَشيةِ اللهِ، فيغفرُ له(٤).

* **ومِنْها: انكسَارُه للهِ عَزَّ وجَلّ وذُلُّه لهُ**، وذلكَ أحبُّ إلى اللهِ منْ كثيرٍ من طَاعاتِ الطَّائعين.

---

(١) في حاشية (س): «بلغ مقابلة».

(٢) كان يتمثل به القاسم بن محمد بن جعفر، كما في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٩١).

(٣) في (ش): «تذكر العبد بذنوبه»، وفي (س): «ذنوبه».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٧) من كلام يزيد بن ميسرة رحمه الله، بنحوه. وفي حاشية (صل): «قال ابن عطاء: ليخف عليك ألم البلاء لعلمك سبحانه هو المبلي» وهي من حكمه.

ومِنْها: أنَّها تُوجِبُ للعبدِ الرجوعَ بقلبِه إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، والوقوفَ ببابِه، والتضرُّعَ له والاستكانةَ، وذلكَ مِنْ أعظَمِ فوائِدِ البَلاءِ.

وقَدْ ذَمَّ اللهُ مَنْ لا يَسْتكينُ[١] لهُ عندَ الشَّدائِدِ. قالَ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، وقالَ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢].

وفي بعضِ الكُتُبِ السَّابِقةِ[٢]: إنَّ اللهَ تعالى لَيبتَلي العبدَ وهُو يحبُّه ليسمعَ تَضَرُّعَه[٣].

وقالَ سعيدُ بنُ عبدِ العزيز[٤]: قال داودُ عليه السَّلام[٥]: سبحانَ مُستخرِجِ الدُّعاءِ بالبلاء[٦]، وسبحانَ مستَخْرِجِ الشُّكْرِ بالرَّخاء[٧].

ومَرّ أبو جَعْفرٍ محمَّدُ بنُ عليٍّ بمحمَّدِ بنِ[٨] المنكَدِرِ وهو مَغْمُومٌ فسألَ عَنْ سَبَبِ غَمِّه؟ فقيلَ له: الدَّينُ قَدْ فَدَحه[٩]، فقالَ أبو جَعفرٍ: أفُتِحَ له في الدُّعاءِ؟ قيلَ:

---

(١) في (ش): «يَسْتكِنُّ».

(٢) في (ش): «السَّالفة».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٣٩) من كلام كردوس بن عمرو، وكان ممن قرأ الكتب... ويروى مرفوعاً، ولا يثبت.

(٤) في حاشية (س): «بن عبيد». ولا وجه له.

(٥) من هنا خرم بمقدار ثلاث ورقات من (ش) إلى آخر الكتاب.

(٦) انقلب في (ف) و(س) إلى: «البلاء بالدعاء».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٢٢)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٩٨) وفيه طريق آخر.

(٨) في (صل): «بابن».

(٩) أي: أثقله، وتصحف في (ب) و(ف) إلى: «قرحه» وفي (س) إلى: «قدحه».

نَعَمْ. قالَ: لقدْ بُورِكَ لعبدٍ في حَاجَةٍ أكثرَ مِنها[١] مِنْ دُعاءِ رَبِّهِ[٢] كائنةً ما كَانَتْ[٣].

وكانَ بعضُهم إذا فُتِحَ لهُ في الدُّعاءِ عندَ الشَّدائدِ لم يحبَّ تعجيلَ إجابَتِهِ خشيةَ أنْ ينقطعَ[٤] عمَّا فُتِحَ له[٥].

وقالَ ثابتٌ: إذا دعَا اللهَ المؤمنُ بدعوةٍ، وكَّل [اللهُ] جبريلَ بحاجَتِه، فيقولُ اللهُ: لا تَعْجَلْ بإجابَتِه، فإنِّي أحبُّ أنْ أسمعَ صوتَ عَبْدِي المؤمنِ[٦].

ورُوِيَ مرفوعاً مِنْ وجوهٍ ضَعيفةٍ[٧].

رأى بعضُ السَّلَفِ[٨] ربَّ العِزَّةِ في نَوْمِه، فقال: يا ربِّ! كم أدعوكَ ولا تُجِيبُني؟ قال: إنِّي أحبُّ أنْ أسمعَ صَوتك[٩].

* **ومِنْهَا: أنَّ البَلاءَ يُوصِلُ إلى قَلْبِه لذَّةَ الصَّبرِ عليه أو الرِّضا به**، وذلكَ مقامٌ عظيمٌ جِداً، وقدْ تقدَّمت الإشارةُ إلى فَضْلِ ذلكَ وشَرَفِه.

---

(١) لعل الصواب: «فيها».

(٢) في (صل): «من دعائه»

(٣) أخرج البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩٥)، والخطيب البغدادي نحو هذه القصة في «تاريخ بغداد» (٤/ ٤٨٠) لكنها لعمر بن عبد العزيز ومحمد بن المنكدر!

(٤) في (س): «يقطع».

(٥) في (صل): «يفتح له». ذكر نحوه الإمام ابن تيمية، وهو في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٣٣).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٧).

(٧) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٤٤٢)، وفي «الدعاء» (٨٧) من حديث جابر رضي الله عنه، وفيه رجل متروك.

(٨) في حاشية (س): «الصالحين».

(٩) ذكره ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (ص: ٨٤) لما حكي عن يحيى البكَّاء. وانظر ما علقته على «المحجة في سير الدلجة» في ذكر خبر رؤيا أبي يزيد. وأنه لا إشكال في ذلك.

* ومِنْها: أنَّ البَلاءَ يَقْطَعُ قَلْبَ المؤمنِ عن الالتفاتِ إلى مَخْلُوقٍ[١]، ويوجِبُ له الإقبالَ على الخالقِ وحدَهُ.

وقَدْ حكى اللهُ عن المشركينَ إخلاصَ الدَّعاءِ لهُ عندَ الشدائدِ، فكيفَ بالمؤمنِ؟ فالبلاء[٢] يوجِبُ للعبْدِ تحقيقَ التَّوحيدِ بقَلْبِه، وذلكَ أعلى المقاماتِ وأشرفُ الدَّرجَاتِ.

وفي الإسرائِيليَّات: يقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: البلاءُ يجمعُ بيني وبينَك، والعافيةُ تَجْمَعُ بينَكَ وبينَ نَفْسِك[٣].

* * *

## فصل[٤]

وإذَا اشتَدَّ الكَرْبُ وعَظُمَ الخَطْبُ كانَ الفَرَجُ حينئذٍ قَريباً في الغَالِبِ[٥] قالَ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]، وقالَ تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وأخبرَ عَنْ يعقوبَ عليه السَّلامُ أنَّه لم يَيأسْ مِنْ لقاءِ يُوسف، وقالَ لإخْوَته: ﴿ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣].

* ومِنْ لطائِفِ أسرارِ اقترانِ الفَرَجِ باشتِدادِ الكَربِ: أنَّ الكَربَ إذا اشتَدَّ وعَظُمَ

---

(١) في (س): «المخلوق».

(٢) في (صل): «والبلاء».

(٣) ذكر هذا الأثر الإمام ابن تيمية في مواضع من كلامه، ومنها ما في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٣٤).

(٤) في (صل): «قال بعضهم».

(٥) زاد بعدها في (س): «كما».

وتناهى وُجِدَ الإياسُ مِنْ كَشْفِه مِن جِهةِ المخلوق[١]، ووقعَ التعلُّقُ بالخالقِ وحدَه، ومَن انقطَعَ عن التعلقِ بالخَلائِقِ[٢]، وتعلَّقَ بالخالقِ[٣]: استجابَ اللهُ لهُ، وكَشَفَ عنهُ، فإنَّ التَّوكُّلَ هو قَطْعُ الاستشرافِ باليأسِ من المخلُوقين، كما قالَ الإمامُ أحمدُ، واستدلَّ عليهِ بقولِ إبراهيمَ عليه السلامُ لمَّا عَرَضَ له جبريلُ في الهواءِ، وقال[٤] لَهُ: ألكَ حاجَةٌ؟ فقال: أمَّا إليكَ فلا[٥].

والتوكُّلُ مِنْ أعظمِ الأسبابِ التي تُطلَبُ بها[٦] الحوائِجُ، فإنَّ اللهَ يكفِي مَنْ توكَّلَ عليهِ، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

قالَ الفُضيلُ: واللهِ لو يَئِسْتَ مِن الخَلقِ حتَّى لا تريدَ منهُم شيئاً، لأعطاكَ مولاكَ كلَّ ما تريد[٧].

* **ومِنْها: أنَّ العبدَ إذا اشتدَّ عليه الكَربُ، فإنه يحتاج حينئذ إلى مجاهدة الشيطان**، لأنَّه يأتيه فيُقَنِّطُه ويُسَخِّطُه، فيحتاجُ العبدُ إلى مُجاهَدَتِه، ودَفْعِهِ، فيكونُ ثوابُ مجاهَدةِ عَدُوِّه ودفعِه دفعَ البلاءِ عنه ورَفْعَه، ولهذا: في الحديثِ الصَّحيحِ:

---

(١) في (س): «المخلوقين».

(٢) في (س): «بالخلق».

(٣) في (س): «بالخالق وحده».

(٤) في (س): «فقال».

(٥) أخرجه أبو يعلى ابن الفراء في «التوكل» (ص: ٨٣) وفي «طبقات الحنابلة» (١/ ٤١٦) مما سأل أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن بختان الإمامَ أحمد. وقصة إبراهيم عليه السلام ذكرها البيهقي في «شعب الإيمان» من كلام بشر الحافي (١٠٤٥).

(٦) في (صل): «به».

(٧) في (صل): «كما تريد». وذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٩٤)، ولم أظفر به عند غيره.

«يُستَجابُ لأحَدِكُم ما لم يَعْجَل يقول[١]: قَدْ دَعَوتُ فَلَمْ يُستَجَبْ لي، فيَدَعُ الدُّعَاءَ»[٢].

* **ومِنْها: أنَّ المؤمنَ إذا استَبْطأ الفَرَجَ ويَئِسَ مِنْه**، ولا سيَّما بعدَ كثرةِ دعائِه وتَضَرُّعِه، ولم يَظْهَرْ لهُ أثرُ الإجابَة **رَجَعَ**[٣] **إلى نَفْسِه باللَّائِمَةِ**، ويقولُ لها: إنَّما أُتِيتُ مِنْ قِبَلِكِ، ولو كانَ فيكِ خيرٌ لأُجِبْتِ.

وهذا اللَّومُ أَحَبُّ إلى اللهِ مِنْ كَثِيرٍ من الطَّاعاتِ[٤] فإنَّه يُوجِبُ انكسارَ العبدِ لمولاهُ، واعترافَه له بأنَّه ليسَ بأهلٍ لإجابةِ دُعائِه، فلذلكَ يُسرِعُ إليهِ حينئذٍ إجابَةُ[٥] الدُّعاءِ، وتفريجُ الكَربِ فإنَّه تعالى عِنْدَ المنكسِرةِ قلُوبُهمْ مِنْ أجلِه[٦]، وعلى قَدْرِ الكَسْرِ يكونُ الجَبْرُ.

قَالَ وَهْبٌ: تعبَّدَ رجلٌ زماناً، ثم بَدَتْ له إلى اللهِ حاجةٌ، فصامَ سبعينَ سَبْتاً، يأكلُ في كُلِّ سَبْتٍ إحدى عَشْرة تمرةً، ثم سألَ الله حاجَتَه، فلم يُعطَها، فرجَعَ إلى نَفْسِه، فقالَ: مِنْكِ أُتِيتُ، لو كانَ فيكِ خيرٌ أُعطِيْتِ حَاجَتَكِ، فنزلَ إليه عِنْدَ ذلكَ مَلَكٌ، فقالَ: يا ابنَ آدم! ساعَتُكَ هذهِ خيرٌ مِنْ عِبادَتِكَ التي مَضَتْ، وقَدْ قَضَى اللهُ حَاجَتَك[٧].

---

(١) في (صل) و(ب): «فيقول».

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (صل): «يرجع».

(٤) في حاشية (ف): «من أعظم المهمَّات».

(٥) في (س): «بإجابة».

(٦) كما جاء في آثار إسرائيلية عند أبي نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٦٤) و(٤/ ٣١) و(٦/ ١٧٧). وغيره.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٦٠). ووهب هو ابن منبه رحمه الله. وفي حاشية (ف): «من أعظم المبشرات. الحمد لله تعالى».

قالَ بعضُهم:

أُهِينُ لهمْ نفسِي لِكَيْ يُكرِمُونَها ولَنْ[١] تُكْرَمَ النَّفسُ التي لا تُهِينُها[٢]

فمَنْ تحقَّقَ هذا وعَرَفه وشَاهَدَه بقَلْبِه: عَلِمَ أنَّ نِعَمَ اللهِ على عَبْدِه المؤمنِ بالبَلاءِ أعظمُ مِنْ نِعَمِه في الرَّخاء[٣]، وهَذا تحقيقُ مَعنى الحديثِ الصَّحِيْحِ عن النبيِّ ﷺ: «لا يَقْضِي اللهُ للمؤمِنِ قضاءً إلا كانَ خَيْراً له»[٤].

«إنْ أصَابَتْه سَرَّاءُ فشَكَرَ كانَ خَيراً له، وإنْ أصابَتْه ضَرَّاءُ صبرَ[٥] كانَ خَيراً له، وليسَ ذلكَ إلا للمُؤمِن»[٦]، ومِنْ هَاهُنا كانَ العارفونَ باللهِ لا يختَارُونَ إحدَى الحالَتينِ على الأُخرى، بلْ أيَّهُما قَدَّرَهُ اللهُ رَضُوا به، وقامُوا بعُبُودِيَّتِهِ اللائِقَةِ به.

وفي «المُسنَدِ» و«التِّرمذِيِّ» عن أبي أُمامةَ، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «عَرَضَ عليَّ ربي لِيجْعَلَ لي بَطْحَاءَ مكَّةَ ذَهباً، فقلتُ: لا يا ربِّ، ولكنْ أَشْبَعُ يَوماً، وأَجوعُ يَوماً، فإذا جُعتُ تَضَرَّعتُ إليكَ وذَكَرْتُكَ، وإذا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وحَمِدْتُكَ»[٧].

---

(١) في حاشية (س): «ولم».

(٢) كان الشافعي رحمه الله تعالى يتمثل بهذا البيت كثيراً كما قال البويطي، وأخرجه عنه: البيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (١٧٤٦).

(٣) في حاشية (صل): «يخفف عني ما ألقى من البلاء لعلمي بأنت [بأنك أنت] المبتلي والمقدر».

(٤) هذا من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه الإمام أحمد (١٢١٦٠) (٢٠٢٨٣)، وهذا اللفظ للقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٩٦)، وأدرج عليه المصنف الحديث التالي!

(٥) في (س): «فصبر».

(٦) وهذا من حديث صهيب رضي الله عنه عند مسلم (٢٩٩٩).

(٧) أخرجه الإمام أحمد (٢٢١٩٠)، والترمذي (٢٣٤٧) وقال: حديث حسن.

وقالَ عُمَرُ: ما أُبالي أصبَحْتُ على ما أُحِبُّ، أو عَلى ما أَكرَهُ، لأنِّي لا أَدرِي الخيرَ فيما أُحِبُّ أو فيما أَكْرَهُ[١].

وقالَ عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ: أصبحتُ وما لي سُرُورٌ إلا في مَوَاقِعِ القَضَاءِ والقَدَرِ[٢].

* * *

يا هَذَا! كَمْ نَستَدْعيكَ إلينَا وأنتَ تَفِرُّ مِنَّا؟ نُسبغُ عليكَ النِّعَمَ فتَشْتَغِلُ بها عنَّا وتَنْسانا؟ فنفرِغُ عليكَ البلاءَ لِتُرَدَّ إلينَا وتَقِفَ على بَابِنَا ونَسْمَعَ تَضَرُّعَكَ، البلاءُ يجمَعُ بيننَا وبينَك، والعافيةُ تجمعُ بينَكَ وبينَ نَفْسِكَ.

إنْ جَرى بيننَا وبينَكَ عَتْبٌ ... أو تَنَاءَتْ مِنَّا ومِنْكَ الدِيَارُ

فالوِدَادُ الذي عَهِدْتَ مُقيمٌ ... والأيادي التي عَهِدْتَ غِزارُ[٣]

كَمْ لنا في طَيِّ البلايَا مِنْ مِنَحٍ وعَطايا، وفي الزَّوايا خَبَايا.

يا هَذا! إنْ شَكَرتَ نِعَمَنا[٤] عليكَ، فتوفيقُكَ للشُّكْرِ مِنْ جُملَةِ نِعَمِنا، فاشكره.

وإنْ صَبَرتَ على بلائِنا فالصَّبْرُ مِنْ جُملةِ فَضْلِنا، فاذكُرْه.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٢٥)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (١٣).

(٢) أخرجه بنحوه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٣٦٣)، وابن عبد الحكم في «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص: ٩٧)، وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٠) (٤٦).

(٣) البيتان للبحتري، من قصيدة طويلة يمدح بها المهتدي بالله، وهي في ديوانه (ص: ٨٥٢)، وفيه: «والدموع التي عهدت غزار». وكتب ناسخ (س) بعدهما: «غيره... » وليس بشعر.

(٤) في (صل): «نعمتنا».

فكُلُّ ما تَتَقلَّبُ فيه فهو مِنْ نِعَمِنا، فلا تَكْفُرْه، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]:

إذا كَانَ شُكْري نعمةَ اللهِ نِعْمَةً ... عَلَيَّ لَه في مِثْلِها يَجِبُ الشُّكْرُ

فكيفَ وقوعُ الشُّكْرِ إلا بِفَضْلِهِ ... وإنْ طَالَت الأيَّامُ واتَّصَلَ العُمْرُ

إذا مَسَّ بالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُها ... وإنْ مَسَّ بالضَّرَّاءِ أعقَبَها الأَجْرُ

وما مِنْهُما إلا لَهُ فيهِ مِنَّةٌ ... تَضِيقُ بها الأوْهَامُ والبَرُّ والبَحْرُ[1][2]

**تمَّت، والحمدُ للهِ وحدَه، وحسبُنا الله ونعْمَ الوكيل**

---

(١) الأبيات لمحمود الوراق رحمه الله، وهي في «الشكر» لابن أبي الدنيا (٨٣)، و«فضيلة الشكر لله على نعمته» للخرائطي (٤٥)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٤٠٩٩).

(٢) **في آخر النسخة «الأصل»**: «وكان الفراغ من نسخها يوم الجمعة بعد العصر سادس جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وسبع مائة في منزلي بالقرب من جامع الخطيري، أحسن الله تقضيها وبقية العمر في خير وعافية بلا محنة، على يد الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد بن محمد بن عبد الدائم الباهي الحنبلي عامله الله بلطفه الخفي والجلي، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً».

**وفي آخر النسخة (ب)**: «تم الكتاب بحمد الله ومنه وكرمه وحسن توفيقه، والحمد لله وحدهُ وصلى الله على سيدنا محمد أكرم الخلق وحبيب الحق ورسول الرحمة والهادي إلى الجنة وإلى صراط مستقيم، وعلى آله وصحبه المكرمين، ورضي الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. ووافق الفراغ منه في خامس ذي القعدة الحرام سنة ست عشر وثمانمئة، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل».

ثم جاء على هامش النسخة ما نصه: «الحمد لله، بلغ قراءة ومقابلة على الشيخ الإمام العالم علاء الدين أبي الحسن علي بن زيد نفع الله به، فصحَّ [...] على الشيخ الإمام داود الحنبلي [على] مؤلفه الإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب تغمده الله تعالى برحمته، وأجاز لنا ما يجوز له وعنه روايته بشرطه. واتفق ذلك في [...] من شهر ذي الحجة الحرام سنة ست وأربعين =

= وثمانمئة. قاله وكتبه: محمد بن محمد [...] غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين».

ثم جاء في آخر قيد السماع هذا «صحيح ذلك. وكتبه علي بن زيد عفا الله عنه».

**وفي آخر النسخة (ش) بعد انتهاء الخرم:** «... بكرة نهار الأحد تاسع وعشرين من شهر المحرم سنة ستة عشر وثمانمائة، على يد العبد الفقير الذليل المذنب، الراجي عفو ربه الكريم علي بن عمر بن أحمد بن محمود المقري الدمشقي، كان الله له عوناً ومعيناً على كل خير، وحافظاً له من كل سوء ولجميع المسلمين، ولمن دعا له بالمغفرة والرحمة، ونفعه الله بما قرأ وكتب وسمع، في الدنيا والآخرة، وغفر الله لمن قرأ في هذا الكتاب أو سمعه، ودعا لكاتبه بالمغفرة والرحمة ولجميع المسلمين. آمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي، وعلى آله وأزواجه وذريته صلاة دائمة باقية منجية من آفات الدنيا وأهوال الآخرة، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين».

**وفي آخر النسخة (ف) وهو آخر المجموع:** «آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، يا رب العالمين، ووافق الفراغ منه في ليلة يسفر صباحها عن ليلة الثلاثاء، خامس شهر ربيع الأول من شهور سنة ثلاث وتسعين وثمان مائة، على يدِ فقيرِ عفوِ ربِّه الممجَّد عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي، عامله الله بلطفه الخفي، بمحمَّد وآله، وغفر له ولوالديه، ولمنْ نظر فيه ودعا لي بالمغفرة، وحسن الخاتمة، إنه بر رحيم جواد، لا يخيب من دعاه».

**وفي آخر النسخة (س):** «آخره والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، تم الكتاب، ولله الحمد والمنة، على يد كاتبه لنفسه عبده عبد الله ابن إبراهيم بن محمد بن ربيعة، المعروف بالربيعي، وذلك في عشية الأربعاء يوم ستة وعشرين رجب سنة ١٣٣٣، ولله الحمد والمنة، على بدئه وختامه، جعله الله معونة على طاعته، ومقرباً إلى رضاه وكرامته، آمين». وفي حاشية النسخة «بلغ مقابلة وتصحيحاً على حسب الطاقة، على يد كاتبه غفر الله له ولوالديه وللمسلمين، إنه أرحم الراحمين، وذلك في ٣٠ شوال سنة ١٣٣٣».

*** تمَّ تحقيق هذا الكتاب النافع المبارك أذان المغرب من ليلة الأربعاء ٢٤ المحرم (١٤٤٣هـ) أحسن الله تقضّيها، والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلّم.**